

تاريخ الدولة العربية

ف تاريخ الدولة العربية

دكتورة
نبيلة حسن
أستاذة التاريخ والمضائق الإسلامية المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
ب. ش. مكتبة - الإسكندرية
٤٨٣٠١٦٣ : ٤

الباب الأول

(مصر الرسول والخلفاء الراشدين)

الفصل الأول

التعريف بالمصنادر

التعريف بالمصادر

المقصود بتاريخ الدولة العربية هو تاريخ الفترة الاولى من دولة الاسلام التى تبدأ بظهور النبى صلى الله عليه وسلم والدعوة المحمدية وذلك فى مطلع القرن السابع الميلادى التى تنتهى بانتهاء الدولة الاموية حوالى منتصف القرن الثامن الميلادى حوالى سنة ٧٥٠ ميلادية . ولقد اتفق المؤرخون على تسمية هذه الفترة بالدولة العربية لان العرب كانوا مادة الاسلام فى هذا العصر بمعنى أن السلطة فى الدولة الاسلامية كانت للعرب مؤسس هذه الدولة ، وذلك تعييزا لعصر صدر الاسلام هذا عن العصر العباسى الذى تلاه والذى يبدأ بسيادة عنصر جديد على الدولة هو العنصر الفارسى ، والذى انتهى بسيادة عنصر ثالث هو العنصر التركى . مما ادى الى تسمية العصر العباسى الاول بالعصر الفارسى والعصر العباسى الثانى بالعصر التركى (١) و ينقسم تاريخ الدولة العربية الى ثلاث مراحل : أولهما العصر النبوى ثم عصر الخلفاء الراشدين ثم العصر الاموى الذى يبدأ بمعاقية وينتهى بمروان الثانى (مروان ابن محمد) وذلك يعنى أن تاريخ هذه الفترة يعتبر بمثابة القاعدة التى انبثت عليها حضارة العرب والاسلام .

(١) انظر ، أ. د. د. سعد زغلول ، تاريخ الدولة العربية ، ص ١٠١

وننتكلم الآن عن المصادر التي يرجع إليها لدراسة هذا العصر نبدأ بالإشارة إلى أن المصادر التي يرجع إليها الدراسة تاريخ العرب والإسلام تنقسم إلى قسمين كبيرين : الأول منهما هو المصادر التي تتصف بالأصالة أو التي لا يتطرق إليها الشك وإن تطرق فإلى حد محدود وهذه المصادر الأصلية تنقسم إلى أنواع فالأول منها هو الأوراق الرسمية أو الأوراق الحكومية وهي التي تعرف باسم الوثائق أو الأرشيف وهذه قليلة نادرة وما وصل إلينا منها لا يكفي لكتابه التاريخ الإسلامي ، بشكل يمكن أن نرضى عنه وهذه هي نقطة الضعف بالنسبة لمؤرخ التاريخ الإسلامي بوجه عام وذلك أنه يضطر إلى الرجوع إلى مصادر من الدرجة الثانية مثل : روايات المؤرخين من معاصرين ومحدثين ويمكن أن نفسر ندرة الوثائق التي وصلتنا من العصور الإسلامية ونرجعها إلى عدة أسباب نشير منها إلى قلة الورق و غلاء ثمنه فالمعروف أن الورق الذي استخدم في العصور الأولى هو المصنوع من نبات البردي وكان يعرف باسم القبطاس أو القراطيس وذلك قبل أن تعرف صناعة الورق الرخيص المعتمد الذي عرف باسم الكاغد والذي دخل بلاد الإسلام منذ منتصف القرن الثاني الهجري (القرن الثامن الميلادي) .

و من هذه الأسباب أيضا عدم انتشار الكتابة بالشكل الذي آلت في العصور الحديثة حتى أن الكثير من الأوامر الحكومية

و كذلك المعاملات بين الافراد كانت تتم شفاهة دون حاجة الى التسجيل والى جانب هذا يمكن الاشارة الى الاضطرابات السياسية التى آلت بالدولة الاسلامية والعداء المرير الذى كانت تكنه الاسر الحاكمة الجديدة للاسر السابقة عليها مما كان يدعوها الى العمل على محو آثارها والقضاء على مخططاتها .

هذا كما يمكن الاشارة الى الظروف الاجتماعية فى تلك العصور القديمة والتى لم تكن تعمل على سلامة حفظ الاوراق الرسمية التى كانت تذهب ضحية للاهمال و عدم الرعاية ، الى جانب الكوارث مثل الحريق وخاصة بسبب استخدام الشموع والمواقد الزيتية من أجل الاضاءة او القراءة ليلا .

النقود : =====

بعد ذلك نشير الى النقود وهى تعتبر أيضا من الوثائق الاصلية وذلك بسبب النقوش التى تحملها والتى تتمثل فى اسماء الامراء والقباهم وكذلك فى العبارات المنقوشة عليها سواء اكانت سياسية او دينية ، الى جانب تاريخ سك العملة ، واسم البلد الذى ضربت فيه . فهذه المعلومات لها أهمية تاريخية هذا الى جانب أهمية النقود من الناحية الاقتصادية والتى تتمثل فى أنواع المعادن الثمينة المستخدمة فى ضربها ومدى نقاء الشبكة الذهبية او الفضية ومن هنا تصبح قوائم النقود الموجودة فى المتاحف الخاصة فى العالم من المراجع القيمة التى لا يستغنى المؤرخ المحدث عن الاستفادة منها .

النقوش :

يأتى بعد ذلك النقوش الموجودة على الاثار و على اللوحات التذكارية القديمة او شواهد القبور وغيرها . و هذه تحتوى مثلها مثل النقود على مادة أصلية بل هي أعلى من النقود بسبب طبيعة حجمها و تنوع مادتها .

الآثار :

و تأتى بعد ذلك الآثار و هي مثل النقود من حيث الأهمية الكبيرة بسبب اصلتها وذلك أنها شواهد مادية عن العصور التي أقيمت فيها و هي تنقسم الى معمارية وزخرفية .

و تتمثل الأهمية التاريخية للآثار من حيث انها تعطينى فكرة صحيحة عن طبيعة العصر الحضارية من الناحية المادية مما يعجز الوصف عن التعبير عنه مهما بلغ من الدقة والامانة ورغم التنقيب المستمر على الوثائق والنقود و الاثار، ورغم اهتمام الدارسين بذلك، فان ما وجد من العصور الاسلامية منها بشكل عام و من عصر صدر الاسلام بصفة خاصة لا تكفى لكتابة تاريخ موثق لهذه الفترة و بناء على هذا فلا يبقى أمامنا الاكتساب المؤرخين القدماء من معاصرين ومتأخرين .

القرآن الكريم :

يعتبر القرآن وهو كتاب الله تعالى الذى أنزله لفظاً

ومعنى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أول الكتب التي يرجع إليها فهو دستور الإسلام والمسلمين . ويرجع الفضل في الحفاظ على القرآن دون تغيير أو تبديل إلى أنه لم يكتفى بحفظه في صدور المسلمين الأوائل : بل أنه دون منذ البدايات فلقد اتخذ النبي كتابا لتدوين الوحي منهم معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن سعد بن أبي سرح . وهكذا بدأ جمع القرآن منذ نزوله و يظهر أن الجمع الأول للقرآن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كان في حياة أبي بكر الصديق . إذ يروى أن عمر بن الخطاب خشي بعد مقتل قسم كبير من القراء في الحرب مع مسيلمة الكذاب أن يقتل قراء آخرون في معارك أخرى فيضيع شيء من القرآن ، ولذلك اقترح على أبي بكر الصديق جمع القرآن و اقنعه بوجهة نظره ، وتروى أغلب الروايات أن أبا بكر عهد بذلك إلى زيد بن ثابت كاتب الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم وقد أتم زيد هذا الجمع من سور مكتوبة على العسب^(١) وعلى الأحجار و على قطع من الجلد و على صفح (أى أوراق متفرقة) و من صدور الرجال ولما أتم جمع القرآن أعطى نسخته لأبي بكر و قد خلفها أبو بكر لعمر بن الخطاب الذي تركها بدوره عند ابنته خفصة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما جمع القرآن النهائي فقد تم في عهد عثمان بن عفان عندما بدأت تظهر بعض القراءات المختلفة نتيجة لعدم النقط

(١) العسب : جمع العسيب و هو جريد النخل .

و الشكل فى الكتابة بصفة خاصة . والقرآن يحتوى على ١١٤ سورة و هذه تنقسم الى آيات والآيات بدورها تنقسم الى مكية ومدنية ولكل منها صفات خاصة فمن حيث الموضوع نلاحظ أنها تعالج الدعوة الى الدخول فى الاسلام ، وتعد المؤمنين وتوعدهم المشركين . اما الآيات المدنية فانها تعالج كل اسباب حياة الجماعة الاسلامية من دينية و دنيوية . هذا ولما كانت الآيات القرآنية قد نزلت تباعا على مدار أكثر من عشرين سنة أى الى وفاة الرسول فانها تعالج الاحداث التى عرفها العصر النبوى مما يترتب عليه انه لايمكن دراسة حياة الرسول بدون دراسة القرآن .

الأحاديث النبوية :

بعد ذلك تأتى مجموعة الاحاديث النبوية مثل : صحيح البخارى (توفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠م) و صحيح مسلم ، (توفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠م) وسنن الترمذى (توفى سنة ٢٧٩ هـ / ٨٦٢م) وسنن ابى داود ، والنسائى وغيرهم . وكلمة حديث تعنى فى الاصـ ل الخبر او الرواية الشفوية فى موضوع دينى او دنيوى وبعد الاسلام صارت الكلمة تعنى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم أما كلمة سنة فتعنى طريقة التصرف فى النواحي الاجتماعية والدينية والقانونية وقد عرفت تلك الكلمة عند العرب فى الجاهلية و معناها العادات المتبعة عندهم فلما جاء الاسلام

صارت تعنى عادة الرسول صلى الله عليه وسلم أى ماعمله او اقتره
أو رآه ولم ينكره . فالحديث يشير للمقول والسنة تشير للعمل
وقد تكون السنة مشمولة بحديث كما يتضح لنا من قول الامام
أحمد بن حنبل "فى هذا الحديث خمس سنن " .

ولقد دونت الاحاديث فى فترة متأخرة نسبيا وذلك منذ
منتصف القرن الثالث الهجرى أى التاسع الميلادى وذلك عندما
ظهرت احاديث مصطنعة منسوبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم
وذلك لتحقيق أغراض شخصية وهنا ظهرت الحاجة الى تدوين
احاديث النبى و ذلك حسب الاصول العلمية التى تسمح بالتفرقة
بين الاحاديث الصحيحة والاحاديث الموضومة ولهذا السبب ظهر
استخدام ما يسمى بالاسناد والاسناد هو سلسلة الرواة والقصر
منه هو معرفة اصل الرواية بمعنى أن يكون راويها الاول ثقة
أى يوثق فى قوله وفى كلامه ولهذا نطلب الاسناد شرطاً عرف عند
المشتغلين بعلم الحديث باسم التعديل او العدالة فالمعروف
ان يكون السند عدلاً : والعدل هنا هو الرجل الذى لا تشوب تصرفاته
شائبة أى المعروف بالاخلاق الحسنة الطيبة فلا يسرق ولا يشهد
الزور ولا يشرب الخمر ولا يؤخذ عليه ريع فى دينه وعقيدته ويعبد
ذلك هناك المتن أى نص الحديث وهذا له أسلوبه فى التوثيق
فالحديث الذى يروى بأكثر من رواية يقابل فيما بينها ومن
هذا الطريق تصحح الاخطاء ان كانت هناك أخطاء .

ولما كان الحديث يتناول كل أعمال الرسول فإنه يحتوى على موضوعات كثيرة جدا كما أنه يناقش بتفصيل الكثير من الموضوعات التي عالجها القرآن . ولهذا السبب اهتم العلماء بدراسة الحديث تلك الدراسة التي أصبحت تعرف فيما بعد بعلم الفروع .

كتب السير :

وبعد الاحاديث نذكر مجموعة كتب السير وأول كتب السير هي التي تتناول سيرة الرسول أى حياة الرسول .

و أشهر السير هي سيرة ابن هشام وهي فى الاصل لابن اسحاق المتوفى فى منتصف القرن الثامن الهجرى فى سنة ١٥٠ او سنة ١٥١ هـ (٧٦٧ / ٧٦٨ م) ولكن ابن هشام اخذ سيرة بن اسحاق وعرضها للنقد كما فعل اهل الحديث فاخرج منها ما يشك فى صحتها من الاشعار وغيرها و هذا يعنى أنه عمل على تحقيقها حتى انتهى الامر بأن نسب اليه السيرة وترك اسم صاحبها الاول أى ابن اسحاق .

ويوضع فى طبعة كتاب ابن هشام كتاب " الطبقات الكبير" لابن سعد المعروف بكاتب الواقدي والمتوفى سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م . هذا ولو أن كتاب ابن سعد يختلف عن كتاب ابن هشام وذلك لأنه حاول أن يعالج الموضوع على اساس الشخصيات الى جانب حياة الرسول.

كتب: المغازي والفتوح :

=====

و من كتب السير أيضا مجموعة الكتب التي عالجت غسزوات الرسول وهي التي تعرف بكتب المغازي و من أشهر من كتب في مغازي الرسول ابن اسحق والواقدي (وهو محمد بن عمر بن واقد ابو عبد الله وقد سكن بغداد و تقلد القضاء . بها للمأمون كما ولي القضاء أيضا من قبل الرشيد وقد روى عن مالك حديثا كثير وفقها ومسائل كان واسع العلم كثير المعرفة يقول عنه محمد بن سعد كاتبه في تاريخه الكبير " و كان عالما بالمغازي والسير و الفتوح " وتولى الواقدي ببغداد وهو على قضاء عسكر المهدي في سنة ٢٠٢ هـ) . و للواقدي كتاب اسمه مغازي الرسول و كانت مغازي الرسول هذه هي النواة التي ألفت على أساسها الكتب الخاصة بالفتوحات الاسلامية على أيام الراشدين ثم الامويين فهذه الفتوحات الاخيرة صارت تكمله لمغازي الرسول .

وبعد الواقدي يأتي البلاذري وهو احمد بن يحيى بن جابر و كان احمد نديما للخليفتين المتوكل والمستعين ومؤدبهما لعبد الله المعتز و هذا يعني أنه كان في موقف يسمح لــــه بالكتابة في التاريخ . وتوفي سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م وللبلاذري العديد من المؤلفات يهمننا منها بالنسبة لموضوعنا كتابة المرسوم باسم " فتوح البلدان " وهو من كتب الفتوح العامة و قد قرظه السعدي في مقدمة كتابه " مروح الذهب ومعادن الجواهر " بقوله " ولانعلم في فتوح البلدان أحسن منــــه "

و الكتاب تناول الفتوحات الإسلامية بشكل عام ، البلاذرى مؤرخ
بدقق، يتحرى الحقيقة . وهو يتناول أخبار البلدان وفتوحها
بالصلح أو العنوة ، كما انه يحوى معلومات قيمة تبين تطور
النظم والادارة والتشريع والاقتصاد خلال القرون الاولى للدولة
العربية الإسلامية .

و من مصادره الواقدى نقلا عن كاتبه محمد بن سعد فى
معظم الاحيان وابن الكلبي ، وهو يعتمد أيضا على روايات عبد
الله بن صالح (توفى سنة ٢٢٣ هـ) الذى ينقل بدوره عن أبى
لهيعة ، ويزيد بن أبى حبيب و عن نافع مولى آل الزبير وغيرهم
من ثقات المؤرخين والخباريين والرواة .

و من كتب المغازى و الفتوح الإقليمية (الخاصة) التى
وصلتنا كتاب " فتوح مصر وأخبارها " أو فتوح مصر والمغرب
و الاندلس " لابن عبد الحكم المعرى ، و عبد الرحمن بن عبد الله
بن عبد الحكم ولد حوالى سنة ١٨٢ هـ / ٨٠٣ م ، وتوفى سنة ٢٥٧ هـ
٨٧٠ - ٨٧١ م ، وقد احتفظ لنا فى مؤلفه بروايات يرجع سندها
الاول الى شهود عيان للأحداث .

اما عن مركزه الاجتماعى فابن عبد الحكم ينتسب الى أسرة
عريقة كانت تحتل مركزا ممتازا فى مجتمع الفسطاط مكنها من
أن يكون لها دورها فى الأحداث السياسية التى وقعت بدولة
الخليفة يومئذ وتعرفت الأسرة لمحنة خلق القرآن سنة ٢٢٢ هـ / ٨٤١ -

٨٤٢م ، و قد اتهموا فى تبديد اموال والى مصر الجروى ، هذا ولو
أنه يفهم من روايات الكندى فى كتابه " القضاة " ان بنى عبد
الحكم قد استترجسوا مكانتهم الممتازة برضاء الخلافة العباسية
عنهم من جديد .

أما عن تكوين عبد الرحمن العلمى والثقافى فانه كان
يوهله لان يصل الى أرفع مراتب الحرفة فى ذلك الوقت (القرن
الثالث الهجرى . التاسع الميلادى) فهو قد شب ونما فى كنف
أسرة من الاثمة والاعلام : فوالده عبد الله بن عبد الحكم ابن
اعين بن الليث (مات سنة ٢١٤) انتهت اليه رئاسة المالكية
بمصر بعد وفاة أشهب و كان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوائمه
واتفقت الاقوال فيه أنه ثقة صدوقا محققا . و كان أستاذ مؤرخنا
الاول و عبد الرحمن يروى عنه أكثر من مرة .

أما اخاه محمد الذى كان أسن منه بحوالى خمس سنوات
والذى وافته المنية بعده بعشر سنوات و الذى ذاع ضيته فى
المغرب - حيث كان له تلاميذه الذين رووا لعلم عنه فلا يروى
مؤرخنا عنه شيئا .

و من أشهر تلامذه ابن عبد الحكم الذين كتبوا عنه ابو
جعفر الطبرى (المؤرخ الشهير) .

هذا وتقول رواية ابن ابى حاتم الرازى (صاحب كتاب الجرح
والتعديل) نقلا عن ابيه الذى روى عنه أنه " صدوق " بمعنى

والى جانب ذلك هناك ذكر مشايخ أهل مصر وقد نقل ابن عبد الحكم عنهم كثيرا من القصص ذات الطابع الشعبى والتى كانت متواترة بين أهل مصر .

و عن ابن عبد الحكم نقل الكثير من المتأخرين أمثال: المقرئى وابن تشرى بردى وغيرهم .

كتب التاريخ العام :-

=====

وأول الكتب التى نشر اليها هو كتاب خليفة بن خياط المتوفى فى سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م وخليفة من قدامى المؤرخين الثقات ، وصاحب اقدم رواية تاريخية وصلت الينا ، وهو يسبق تاريخ الطبرى بأكثر من نصف قرن .

و هو خليفة بن خياط العصفرى البصرى ، والمعروف بشباب تلقى العلم على علماء بلده البصرة ، والبصرة كانت فى القرن الثالث الهجرى مركزا هاما من مراكز اشاع الثقافة العربية الاسلامية ، خاصة فى علوم اللغة والحديث والسيرة والتاريخ .

فى هذا البلد ، العثمانى الهوى شب خليفة و نشأ و تعلم و هو ينتمى الى أسرة لها مكانتها العلمية ، فجدده واسه خليفة أيضا كان من ثقات رجال الحديث عند البخارى وابن ابى حاتم الرازى صاحب كتاب " الجرح والتعديل " وقد أخذ خليفة العلم من عدد من الشيوخ فى مقدمتهم يزيد بن زريع ، ويزيد هذا من

انه ثقة ممن يعتهد على روايتهم . فهو وان كان لا يهمل الروايات التي لاتستطيع الصمود امام النقد وان كان يسجل عدداً من الروايات ذات الطابع الاسطوري فان هذا لا يقلل من أهمية روايته . فلقد صار هذا الامر تقليدياً بالنسبة للكتاب حتى اولئك الذين اعتنوا بالنقد واهتموا بتصحيح الاخبار فلم تخل كتبهم من الاساطير والقصص الشعبية .

وابن عبد الحكم مؤرخ محدث بمعنى أنه يهتم بالاسناد الى جانب اهتمامه بالمتن . واهم من نقل منهم : ابن لهيعة (توفي سنة ١٧٤ هـ / ٧٩٠م) ، وفقيه مصر الليث بن سعد (توفي سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١م) . ويزيد بن أبي حبيب النبوي الاصل (توفي ١٢٨ هـ / ٧٤٦م) وهو من ثقات رواة فتوح مصر والمغرب و أستاذ ابن لهيعة والليث بن سعد ، ويحيى بن عبد الله بن بكير (مات في سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥م) وهو ممن تتلمذ على مالك بن أنس ودرس أيضا على الليث ابن سعد ، وعبد الله بن لهيعة ، وعبد الله بن وهب بن مسلم وغيرهم وصنف التصانيف من بينها كتاب كان يحوى عدداً من الوثائق وقد أعطاه لابن عبد الحكم . وعثمان بن مسلم (توفي سنة ٢١٩ هـ / ٨٣٤ - ٨٣٥ م) وهو من أهم رواة ابن عسند الحكم في الجزء الخاص بالمغرب وكان ثقة فيما يرويه . وعبد الله بن مسلمة (توفي سنة ٢٢٤ هـ) وهو يروي عن الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة كما يظهر من كتاب فتوح مصر والمغرب والاندلس .

ثقات أهل البصرة مع ميول عثمانية كما وصفه ابن سعد فـسـى طبقاته . كما سمع أيضا من سفيان بن عيينة وابن مهدي ، وهشام الكلبى ، وعلى بن محمد المدائنى وآخرين ، ومات فى سنة ٢٤٠ هـ ، ٨٥٤ م ، عن عمر يناهز الثمانين عاما .

مؤلفاته :

=====

صنف خليفة حسبا ذكر ابن النديم فى الفهرست ، أربعة كتب كتاب التاريخ ، وكتاب طبقات القراء " وكتاب " تاريخ الزمنى والسرفى والعميان " و كتاب أجزاء القرآن وأعاره واسباعه وآياته " .

ويكاد يجمع علماء الحديث على أن خليفة كان من الثقات وقد وثقة البخارى فى تاريخه الكبير عندما ترجم له وكذلك فعل المذهبى فى تذكرة الحفاظ " و " ميزان الاعتدال فى نقد الرجال " و " سير اعلام النبلاء "

منهجه فى الكتابه :

=====

و كتاب " تاريخ خليفة بن خياط " يؤرخ لفترة من تاريخ الاسلام تمتد حتى سنة ٢٣٢ هـ ، الكتاب مرتب على طريقة الحوليات او السنويات ، وخليفة مؤرخ محدث فهو يعتنى بسلسلة الاسناد أى الرواة الذين رووا الخبر بل يذهب ذلك الى الذين شهدوا الاحداث .

وقد بدأ تاريخه بالكلام عن بداية التاريخ : ثم شئ ذلك بالحديث عن مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أخذ يورد أخبار كل سنة على حدة ابتداء من السنة الأولى للهجرة ذاكرا أهم ما حدث فيها من أحداث ، حتى إذا انتهى من ذلك ذكر من أدركتهم الوفاة فى تلك السنة ، و من أقام الموسم . و بعد أن ينتهى من الكلام عن عهد خليفة من الخلفاء يتبع ذلك يذكر من ولو كل إقليم من اقاليم الدولة على عهده ثم من تقلدو خطة القضاء فى الامصار وخاصة فى المدينة ومكة والبصرة والكوفة ، وقد يورد أحيانا من تقلدوه فى الشام ، و بعد ذلك يذكر من تولوا حجابة الخليفة والشرط ، والكتابة ، وبيوت المال ، و الخاتم ، والبريد ، ثم يورد أسماء الرسل (أى السفراء) وهى معلومات ثمينة قيمة لدراسة تاريخ النظام الادارى والقضائى فى تلك الفترة .

ويحتوى الكتاب على احصاءات لاتوجد فى غيره لان منهج خليفة انه بعد الحديث عن كل وقعة هامة مثل : بدر ، واحد ، والحرّة وغيرها ، يورد اسماء من استشهدوا فى تلك المواقع .

وقد روى خليفة عن ائمة الرواه الثقات كالوليد بن هشام ، ويزيد بن زريع والمداينى .

وفيما يتعلق باخبار الفتوح خاصة نجد خليفة يوردها عن مصدرين احدهما : عن رواة من أهل كل مصر من هذه الامصار المفتوحة اى الرواية المحلية - والاخرى من طريق أهل المدينة - الرواية الرسمية .

فمثلا عندما يتحدث عن فتح مصر يورد خبر هذا الفتح عن يزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن لهيعة ، و من سمع عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد ثم يروي خبر الفتح عن عروة بن الزبير وغيره من رواة اهل المدينة .

و من الجدير بالملاحظة أن خليفة قد اهتم اهتماما خاصا بالاحداث الخارجية في دولة الاسلام و في تاريخه نجد تاريخ اوصيات كثير من أئمة الحديث ورجال الفكر والادارة والحكم .

و بعد خليفة يأتي الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ، ولد في أواخر سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م في مدينة أمل و هي من بلاد طبرستان و من هنا نسبته الطبري و توفي في ٢٦ شوال سنة ٣١٠ هـ ١٦ فبراير ٩٢٣ م) وللطبري عدد من المؤلفات يهمنها منها كتاب " تاريخ الرسل والملوك " أو تاريخ الامم والملوك " ولما كان الطبري من كبار الفقهاء المشتغلين بالقرآن والسنة حتى أن أشهر مؤلفاته هو " تفسير الطبري " فاننا نلاحظ أنه ينتهج نهج المحدثين في كتابته للتاريخ فهو يورد الروايات التاريخية مسبوقة بأسنادها الذي يرجع في بعض الاحيان الى شهود عيان هذا الى جانب انه يعطى للحدث الواحد اكثر من رواية وهو نزيه يظهر بمظهر المحايد الذي لا يرجح رواية على غيرها . هذا ولقد سار الطبري بدوره في تاريخه على طريقة الحوليات أي السنوات .

و بعد كتاب الطبرى نذكر كتاب ابن الاثير المعروف باسم " الكامل فى التاريخ " وابن الاثير متوفى فى سنة ٦٣٠ هـ ويلاحظ أن ابن الاثير ينقل كتاب الطبرى فيلخصه فيما يتعلق بالقرون الثلاثة الاولى ثم أنه يضيف اليه ويكمله حتى سنة ٦٢٨ هـ ورغم أنه يلخص الطبرى الا أنه يعتبر مرجعا أساسيا حتى بالنسبة للفترة القديمة من صدر الاسلام و ذلك بغضل ما يظهره ابن الاثير من المقدرة على النقد والتمحيص واكمال الموضوعات التى وجدها ناقصة عند الطبرى ولذلك يعتبر كتاب ابن الاثير مهما ليس بالنسبة للتاريخ الاسلامى العام بل بالنسبة لتاريخ الاقطار الاسلامية المختلفة سواء كانت فى أقصى المشرق او فى أقصى المغرب .

بعد ذلك ننتقل الى الكلام من كتاب " العبر و ديوان المبتدأ والخبر فى اخبار ملوك العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر " لابن خلدون وابن خلدون ولد فى تونس فى سنة ٧٣٢ هـ و درس على عدد من العلماء التونسيين والمغاربية و عمل فى خدمة ملوك الحفصيين فى تونس و كذلك بنى عبد الواد فى تلمسان وبنى مرين فى فاس وبنى الاحمر البنمرين فى غرناطة ثم رحل الى المشرق ووصل الى الاسكندرية ومنها الى مصر سنة ٧٨٤ / ١٣٨٣ م (فى سلطنة الظاهر) و جلس للتدريس فى الجامع الازهر وولى قضاء المالكية بمصر سنة ٧٨٦ هـ ثم عزل عن القضاء وتوجه لقضاء فريضة الحج سنة ٧٩٠ هـ و بعد أن قضى فريضة رجع

الى القاهرة و قضى بقية أيامه مائتاً على قراءة العلم وتدريسه
ومات فى القاهرة فى ٢٥ رمضان سنة ٨٠٨ / ١٧ مارس ١٤٠٦ م .

ويعتبر كتاب ابن خلدون من أهم المصادر وذلك للسببين
المعروفين اللذين يختص بهما ابن خلدون وأولهما ملكة المؤرخ
العبقري الموهوب التي جعلته يفهم التاريخ بمعناه الحقيقي
الشامل الذي يتلخص فى أن الحدث التاريخي أكبر من أن يكون
حدثاً سياسياً فقط بل هو نتيجة لتفاعل عدد من العوامل السياسية
والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك النفسية أيضاً
وهذا مادعا بن خلدون الى الكلام من كل هذه الفنون فسمى
المقدمة حتى جعل مفهوم التاريخ شبه ما يكون بمفهوم الحضارة
فى جعله تاريخاً للامم والشعوب بدلاً من سير الملوك والأمراء
او طبقات الأعيان وهذا ما سماه البعض فلسفة التاريخ - وهو
فى الحقيقة ليس الا التاريخ كما ينبغي ان يكون .

كذلك لابن خلدون نظريات فى التاريخ من هذه النظريات
نظرية أن الدولة مثل الفرد تمر بعدة مراحل ، اولها مرحلة
النشوء والطفولة ثم مرحلة الشباب والفتوة والقوة و أخيراً
تأتى مرحلة الشيخوخة التي يعقبها انهيار الدولة . وهو ينص
على نظرية اخرى فى قيام الدولة هى نظرية العصبية فهو يرى
أن الدولة ترتكز على عصبية والعصبية عند ابن خلدون هى تلك
الروح التي تدفع الجماعة من الأفراد او اعضاء القبيلة نحو

الالتفاف حول زعيمهم لإخضاع الجماعات أو القبائل الأخرى لتكوين الدولة . و تظل الدولة قوية متماسكة طالما ظلت عصبيتها قوية متماسكة فإداما ضعفت العصبية وانحلت انحلت الدولة لكي تقوم عصبية جديدة بإنشاء دولة جديدة . ويظهر نبوغ ابن خلدون في هذه النظريات التي قننها لقيام الدول التي جانب أنه نص على مسألة المنهج التاريخي الذي ينبغي على النقاد فهو يطالب المؤرخ بأن يعرف الروايات المختلفة للنقد ويقابل بينها وذلك على أساس من العقل والمنطق وبناء على هذا النقد فهو يرجح الرواية الصحيحة على الرواية الموضوعية ولهذا السبب نجد أنه يعطى نماذج لما يمكن أن يلحق التاريخ من الوضوح والاصطناع و يعطى أمثلة للروايات الأسطورية التي تحيط بتاريخ بني إسرائيل كما أنه يحاول أن ينقذ الروايات المختلفة التي نسجت حول الأمويين مثل معاوية أو عبد الملوك بن مروان وكذلك الروايات المشهورة التي نسجت حول هارون الرشيد واخته العباسة و نلاحظ أن ابن خلدون لم يستطيع أن يطبق قواعد النقد هذه عندما بدأ يكتب تاريخه فخرج تاريخه أشبه ما يكون بالتواريخ التقليدية السابقة ، هذا ولو أنه أظهر موهبة في النقد و ترجيح الروايات في بعض الأحيان .

بعد ذلك ننتقل إلى الكلام عن المسعودي المتوفى في سنة ٣٤٦ هـ في مدينة فسطاط مصر و يعرف كتابه باسم (مروج الذهب

و معادن الجوهر) و يعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة
 ليس لقدمه فحسب ولكن لوفرة اطلاع المسعودي وسعة معلوماته التي
 أتت الى جانب الدراسة والقراءة نتيجة لتجوله في مختلف
 البلدان اذ طوف المسعودي خلال اربعين سنة بفارس والهند
 والصين وسواحل شرق أفريقيا والشام و ذلك قبل ان يقدم الى
 مصر حيث توفي بها . ويفضل اسفاره ودقة ملاحظاته جمع اخبارا
 عن البلدان والشعوب والمذاهب والعادات والتقاليد لانجدها
 في غيره من كتب المؤرخين . ولقد تنبه المسعودي الى أهمية
 عامل البيئة في مسيرة الاحداث السياسية وهو لهذا السبب يهتم
 بالجغرافيا التطبيقية والبشرية في مقدمة الكتاب و هو بذلك
 يعتبر النموذج الذي حدا حذوه ابن خلدون (١) و مع أن المسعودي
 يتبع في كتابه طريقة الحوليات الا انه يمزج بينها وبين

(١) انظر ، ابن خلدون ، المقدمة ، طبع بيروت ، ص ٥٣ - حيث
 يقول " ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر
 أو جيل . فاما ذكر الاحوال العامة بالافاق والاجيال والامصار
 فهو أس المؤرخ تبني عليه اكثر مقاصده و تبين به أخباره
 وقد كان الناس يفرّدونه بالتأليف ، كما فعله المسعودي
 في كتاب مروج الذهب ، شرح فيه أحوال الامم والافاق لعهد
 في عصر الثلاثين والثلاثمائة غربا وشرقا ، و ذكر نحلهم
 و عواثدهم و وصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول
 و فرق شعوب العرب والعجم فصار أماما للمؤرخين يرجعون
 اليه و املا يعولون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه . ثم
 جاء البكري من بعده و فعل مثل ذلك في المسالك والممالك ==

الترتيب الموضوعى فهو يفرد بابا لكل دولة و يخص فصلا لكل أمير او حادثة فلا يفقد الموضوع وحدته . ويهتم بحياة الناس وخاصة افراد الطبقة العليا فى المجتمع ؛ من الخلفاء وكبار رجال الدولة ومشاهير العلماء والشعراء كما لا يهمل القصص الشعبى ولا الروايات الطريفة و هو لكل ذلك يعطى نوعا من الحياة والطرافة التاريخية وان كان المسعودى بخرج بمنهجه هذا على اصول البحث و تجري الحقيقة ولهذا السبب فرغم ما يحويه الكتاب من معلومات تاريخية قيمة الا أنه ينبغي ان تؤخذ هذه المعلومات بشئ من الحذر وان تعرض لقواعد النقد .

ولكثرة المعلومات الجغرافية التى يحويها الكتاب نجد أن بعض المباحثين يضعونه بين كتب المكتبة الجغرافية العربية - هذا لو أن للمسعودى كتابا خاصا فى الجغرافيا عنوانه كتاب " التنبيه والاشراف " هذا كما يمكن الاشارة الى انه بسبب كثرة المعلومات الادبية واهتمام المسعودى بالشعر يمكن ان يوضح الكتاب بين المؤلفات الادبية والحقيقة أن الكتاب يعتبر موسوعة

= خاصة دون غيرها من الاحوال ، لان الامم والاجيال لعهدده لم يقع فيها كثير انتقال ولاعظيم تغيرا لما لهذا العهد و هو آخر المائه الثامنة قد انقلبت احوال المغرب الذى مسمن شاهدوه - فاجتاح لهذا العهد من يدون احوال الخليطة والافاق واجيالها والعوائد والنحل التى تبدلت لاهلها و يقفء مسلك المسعودى لعصره ليكون أصلا يقتدى به من يأتى من المؤرخين .

كبرى تعالج الكثير من العلوم والفنون الى جانب التاريخ
و الجغرافيا .

هذا ويمكن ان نضيف الى قائمة كتب التاريخ العام هذه
مؤلفات المؤرخين الممريين من أمثال المقرئى المتوفى فى
سنة ٨٤٥ هـ والذي كان تلميذا لابن خلدون وابن تغرى بردى صاحب
النجوم الزاهرة المتوفى ٨٧٣ هـ والسيوطى المتوفى فى أوائل
القرن العاشر الهجرى صاحب كتاب (تاريخ الخلفاء) هذا الى
جانب اصحاب الموسوعات التاريخية والجغرافية الادبية مثل
القلقشندي صاحب كتاب " صبح الاعشى فى صناعة الانشاء " والنويرى
صاحب كتاب " نهاية الارب فى فنون الادب " وكذلك كتاب العمري
المعروف باسم " مسالك الابصار فى ممالك الامصار " .

ثم نتناول بعد ذلك مصدر من أهم المصادر والتي تناولت
الدعوة العباسية وهو كتاب " اخبار الدولة العباسية و فيه
اخبار العباسي وولده و هو لمؤلف من القرن الثالث الهجرى .

و هذا العنوان (اخبار الدولة العباسية) يرجعه الاستاذ
الدكتور عبد العزيز الدورى محقق المخطوط - وكلمة " دولة "
هنا كما يقول الدورى ، " لاتعنى بالضرورة الكيان السياسى
المفهوم . بل ان مؤلف " اخبار العباس وولده " استعملها بمعنى
" دعوة " اذ يقول : " ان ابراهيم الامام بن محمد اوصى ابى
العباس عبد الله بن محمد بالقيام بالدولة . وامره بالجد والحركة .

وان لا يكون له بالحميمة لبث ولا مرجة حتى يتوجه الى الكوفة - بناء على الدراسة المقارنة التي عقدها بين مخطوطه هذا ، والقطعة المصورة من مخطوط بعنوان : " نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول من القرن الحادى عشر " التى نشرها الاستاذ " غربا زنيويج مع ترجمة و تعليقات بالروسية ثم نشر المخطوط كنه مصورا بعنوان " تاريخ الخلفاء - للمؤلف المجهول من القرن الحادى عشر " وهذا الكتاب مهم لملته الوثيقة بمخطوط - الدكتور الدورى - وللضوء الذى يلقيه على بعض مشكلاته .

وفقد الاوراق الاولى من المخطوط كما يقول المحقق حرمنسا من اسم المؤلف ولكن دراسة أسلوب الكتاب ومصادره تدل على أنه كتب فى أواسط القرن الثالث الهجرى . فهو فى الاساس كتاب أخبار يعنى بإيراد الاسانيد ويلتفت الى اختلاف الروايات . ومع أنه يراعى تسلسل النسب فى اطاره الا أنه لم يحافظ بدقة على خط كتب الانساب ، اذ أنه لايعنى الا بالابن الاكبر . كما أن الاهتمام الخاص بالاسناد يبين الاثر الواضح لمدرسة اهل الحديث فى الأسلوب .

وتتنوع مصادر معلومات الكتاب حسب طبيعة الموضوع ، و تعدل على جهد واسع فى جمع الروايات . فقد أخذ المؤلف جل معلوماته عن الدعوة من روايات شفية وأخذ من مؤرخين سابقين ، وانفرد

بايراد وثائق ومعلومات هامسة .

أخذ مؤلف الاخبار عن مؤلفين معروفين سبقوه من أخباريين مثل أبي مخنف (توفى ١٥٧ هـ / ٧٧٤) وعوانه بين الحكم (توفى ١٤٧ هـ / ٨١٩) ، والهيثم بن عدي (توفى ٢٠٦ - ٢٠٧ هـ / ٨٢١ - ٨٢٢ م) . والمدائني (توفى ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م) ، وعن مؤرخين كالواقدى (توفى ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م) و نسابين مثل هشام بن محمد بن السائب الكلبي (توفى ٢٠٤ - ٢٠٦ هـ / ٩١٩ - ٨٢١ م) ، و مصعب الزبيري (توفى ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م) و غيرهم مثل محمد بن سلام (توفى ٢٣١ هـ / ٨٤٠ م) واتصل بمعاصرة و أخذ عنهم مثل محمد بن شبه (توفى ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ هـ) والعباس بن محمد الدوري (توفى ٢٧١ هـ / ٨٨١ م) . والمبرد (توفى ٢٨٥ هـ / ٩٨٩ م) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري (توفى ٢٧٩ هـ / ٨٩٣ م) و قد أخذ روايات المعاصرين بأسانيدها و خير مثل ذلك ما رواه من البلاذري فهو يعطى روايات باسناد متصل ، ولذا تختلف سلسلة الاسناد أحيانا عما جاء فى كتاب انساب الاشراف للبلاذري أو يعطى اسنادا حين لا يوجد اسناد فى رواية انساب الاشراف أو يورد نصا يختلف لحد ما عن النص الوارد فى انساب الاشراف مما يدل على أنه روى منه مباشرة .

وانفرد المؤلف بمعلومات عن بداية الدعوة (حتى سنة ١٠٠ هـ)

وعن بعض أحداثها واسرارها كما اورد قوائم مفصلة باسماء
 المنقباء والدعاة في خراسان ومراتبهم وتنظيماتهم و يبدو أنه
 أخذها من الحلقات الداخلية لرجال الدعوة ، اذ استقى الكثير
 منها من رؤساء الدعوة و من الدعاة البارزين فيها . والظاهر
 أن اخباره عن نشاط ابي مسلم في خراسان و عن نشاط المسودة
 العسكرية بقيادة قحطبة وانتصاراتهم ، تعتمد على هذه المصادر
 وعلى أناس متصلين بالحلقة العباسية مثل ابي اسحق بن الفضل
 الهاشمي كما اخذ بعض معلوماته عن أفراد من الاسرة العباسية
 مثل عيسى بن عبد الله وعيسى بن موسى و عيسى بن علي وابراهيم
 بن المهدي والرشيدي .

واعطى المؤلف صورة داخلية لطبيعة الدعوة واحاديثها
 وكشف عن جذور العلو فيها ، مما لايناسب العباسيين بعد مجيئهم
 للحكم و هذا يجعل بعض محتويات الكتاب أقرب الى الوثيقة
 السرية منها الى كتاب للجمهور .

و كل هذا يشير الى صلة خاصة للمؤلف بالعباسيين
 وباتباعهم و مصادر الكتاب كما يقول الاستاذ الدكتور الدوري
 تجعلنا نحدد زمن تأليفه بأواسط القرن الثالث الهجري . ويميل
 الى نسبة الكتاب الى محمد بن صالح بن مهران (ابن النطاح)
 توفي سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٨ م . و مع أن الاشارات الى ابن النطاح
 تجعله أول من صنف كتابا في اخبار الدولة .

ويقول الدكتور الدوري ويدفعنا الى هذا الافتراض
 فذة أمور : فابن النطاح مولى جعفر بن سئيمان بن علي بن
 عبد الله بن عباس، وهذا الولاء يجعله على صلة وثيقة بأخبار
 العباسيين و كان ابن النطاح ، اخباريا ، ناسيا راوية للسنة
 و هي عين المؤهلات التي يكشف عنها أسلوب " أخبار العباسي
 وولده . " و كان من بين من روى عنهم ابن النطاح الواقدي
 والمدائني .

هذا الى أن عنوان كتابه هو : " أخبار الدولة
 العباسية " :-

- أما محتويات الكتاب فهي على النسق التالي :-
- يبدأ بالكلام عن موت العباس بن عبد المطلب .
 - ثم أخبار عبد الله بن العباس .
 - أخبار علي بن عبد الله بن العباس .
 - أخبار محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .
 - أخبار إبراهيم بن محمد بن علي الامام .
 - خير ابي مسلم وابتداء امره .
 - مسير قحطية بن شبيب بالجنود الى العراق .
 - ظهور ابي سلامة بالكوفة .

وينتهي اخباره بوصول وصية ابراهيم الامام الى اخيه ابي العباس
 وقد قام بتحقيق الكتاب الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور
 عبد الجبار المطليبي و طبع في بيروت ، سنة ١٩٧١ .

كتب الجغرافية العربية :

و بعد هذا ننتقل الى لون جديد من الكتب هو مجموعة كتب الجغرافية العربية و كتب الجغرافية مهمة بالنسبة لدراسة الموضوع و ذلك للملة الوثيقة بين التاريخ والجغرافية فالجغرافية العربية كانت وثيقة الملة بالتاريخ وبمرور الوقت انفصلت عنه انفصالا غير تام على كل حال فاحتفظت كتب الجغرافية بالكثير من المعلومات التاريخية كما ظل الجغرافيون العرب يكتبون فى التاريخ والجغرافية جميعا والمثل لذلك اليعقوبى وابو الفدا .

والجغرافية العربية تنقسم الى نوعين : اولهما الجغرافية الرياضية و تضم فرعين هما : علم الاطوال والعروض و علم تقويم البلدان .

وثانيهما - الجغرافية الادبية او الوصفية وتشتمل على فرعين هما : علم المسالك و الممالك و علم عجائب البلدان .

و أهمية كتب الجغرافية فى أنها تكمل كتب التاريخ التى اهتمت بالاحداث السياسية بشكل خاص - من حيث اهتمامها الى جانب وصف الاحوال الطبيعية والبيئية بامدادنا بمعلومات ذات طبيعة متنوعة منها الاقتصادية والاجتماعية وما يختص بعبادات الشعوب وتقاليدها مما لا يستغنى عنه المؤرخ المحدث ولقد عرف الاوربيون ما للمكتبة الجغرافية من أهمية فاعتنوا بنشرها فى

أوروبا منذ أكثر من مائة عام تحت اسم " المكتبة الجغرافية العربية " وقد كان للمستشرق الهولندي " دجوية " مجهوده الذى لا يغفل فى نشر هذه المجموعة . وتحتوى هذه المكتبة على كتب ابن خرداذبة واليعقوبى وابن الفقيه والاصطخرى والمسعودى والمقدسى .

ثم يأتى بعد ذلك كتب الطبقات وهى نوعين طبقات عامة مثل كتاب ابن خلكان المتوفى فى سنة ٦٨١ هـ والمعروف باسم " وفيات الاعيان و انباء ابناء الزمان " وهو من كتب الطبقات العامة وهناك أيضا كتاب " فوات الوفيات " لابن شاکر الكتبى ، غيرها و كتب طبقات عامة اقليميا خاصة موضوعيا مثل : طبقات المالكية والشافعية وطبقات الصوفية و طبقات المحدثين وطبقات الاطباء والحكماء واللغويين والنحويين والقضاة والفقهاء وكتب خاصة اقليميا .

وميزة هذه الكتب تتلخص فى انها تهتم بالتاريخ الاجتماعى والحضارى أكثر من اهتمامها بالتاريخ السياسى .

ثم يأتى بعد ذلك مجموعة الكتب التى تعالج تاريخ الاديان و هذا اللون من الكتب تتناول بصفة خاصة المذاهب الاسلامية و فى مقدمة هذه الكتب كتاب ابن حزم الاندلسى القرطبى (ابو محمد على بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ) المعروف بكتيبات الفصل فى الملل والاهواء و النحل " و كتاب الملل والنحل للشهر

ستانى (ابو الفتح عبد الكريم الشهر ستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ) ر كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى .

هذه الكتب تتكلم عن الاسلام و عن فرقة المختلفة من : الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية والمعتزلة والسنة وطوائف كل فرقة منها . ولما كانت دولة الاسلام تحتوى على جماعات غير اسلامية تعيش داخل الدولة مثل اليهود والنصارى والمجوس والصائبة وغيرهم و جبت معرفة اصول دينهم لتحديد الدولة موقفها منهم ولهذا ، تكلم هؤلاء الكتاب عن نحلهم ومذاهبهم .

ننتقل بعد ذلك الى الكلام عن مجموعة الكتب التى تتناول تاريخ النظم والادارة و اصول الحكم واشهرها كتاب الاحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردى (توفى ببغداد فى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م) وقد عرف بالتدين والورع والتقوى وتقليد خطة القضاء و اصبح اقمى فضاء بغداد فى سنة ٤٢٩ هـ ١٠٣٧ م . ولقد كتب الماوردى فى تفسير القرآن والفقه والنحو التى جانب ماكتبه فى اصول الحكم . و كان من المجتهدين .

فمن بين ابواب الكتاب العشرين فى : الامامة والوزارة والقضاء والجهاد و تنظيم الاموال وولاية الاقاليم الخ ، يعتبر الباب الخاص فى عقد الامامة (او الخلافة) وهو اولها اهم الموضوعات التى عالجها الماوردى . وهو يستند فى معالجه

للتقنين للخلافة (التى يراها عقد مراضاه واختيار) السى
القرآن والسنة والإجماع الى جانب السوابق التاريخية المعتمدة

و أخيرا نتكلم عن كتب الادب التى تتضمن الكثير
من المعلومات التاريخية الى جانب معالحتها للحياة الثقافية
و من أهم تلك الكتب كتب الجاحظ و هو من أشهر أدباء العربية
و الذى حوت كتبه الادبية معلومات تمثل كل الوان الثقافة
العربية . و من أشهر مؤلفاته كتاب البيان و التبیین و كتاب
البخلاء هذا الى جانب رسائله العديدة .

و من أهم كتب الادب كتاب الأغاني لابن الفرخ الاصفهاني
الذى يحوى معلومات تاريخية لاتقدر بثمن عن كثير من الشخصيات
التي يترجم لها . وهو يتناول الطبقة التى احترفت الشعر
و الغناء والموسيقى .

و من كتب الادب الهامة ايضا كتاب العقد الفريد لابن
عبد ربه . وكتاب معجم الأدباء لبقاوت الحموى . وهناك دواوين
الشعر و هى تمثل اقدم النصوص التى تمدنا بالمعلومات عن
الحياة فى جزيرة العرب فى العصر الجاهلى وفى صدر الاسلام
والشعر يعبر عن حياة الناس وعن اهتماماتهم .

و من أهم الاشعار المعلقة وقصائد الشعراء المخضرمين
ودواوين شعراء العصر الاموى مثل : الاطل وجرير والفرزدق .

الفصل الثاني

جغرافية بلاد العرب

جغرافية بلاد العرب

تقع شبه الجزيرة العربية في القسم الغربي من قارة آسيا ، ويحكم انها شبه جزيرة تحيط بها البحار من جهات ثلاثة الخليج العربي (الفارسي في الكتابات الكلاسيكية) في الشرق والمحيط الهندي والذي يسمى أحيانا ببحر العرب في الجنوب ثم البحر الاحمر الذي سمي أحيانا بالخليج العربي أو بالبحر الايرتري عند الكتاب الاغريق واللاتين ، أما من ناحية الشمال فتنتهي ببادية الشام ورغم ذلك فقد اطلق الكتاب العرب القدماء على تسميتها بالجزيرة العربية وهم يفسرون هذه التسمية بأنه من الممكن القول بأن حدودها الشمالية تتمثل فيما وراء بادية الشام شرقا وغربا في نهري الفرات والدجلة والبحر الابيض المتوسط. ولهذا المعنى تكاد تحيط بها المياه من جميع جهاتها .

وقد اختلف في أمر انتمائها الجغرافي : فرغم أنها تقع في قارة آسيا حاليا الا أن هناك تفسيرا بأن الحزام الصحراوي الافريقي كان يتصل بالجزيرة العربية قبل أن يحدث الشق في قشرة الكرة الأرضية التي نتج عنه البحر الاحمر ومعنى هذا أن جيولوجيا أرض الجزيرة العربية جزء متمم للصحراء الكبرى الافريقية و بهذا المعنى تكون المقى بأفريقيا منها بآسيا .

ولكن نظرا لان مثل هذا الحدل يتحدث عن عصور جيولوجية موعلة في القدم وربما تعود الى ما قبل وجود الانسان على هذه

الأرض، فلعل الأمر الواقع والقائم في العصور التاريخية، هو
الأنسب للأخذ به و أن الجزيرة العربية تدخل في آسيا وأكثر
اتصالا بها بشريا وثقافيسا .

أما عن تضاريس بلاد العرب، فلعل أبرز معالمها سلسلة
الجبال التي تمتد على طول ساحل البحر الأحمر و التي تعرف باسم
" السراة " (لاستوائها وارتفاعها كسراة الفرس أى ظهره)
و تمتد هذه السلسلة من الجبال من أعالي اليمن في الجنوب
حتى مشارف فلسطين في الشمال . و يقع بين سلسلة جبال السراة
و ساحل البحر الأحمر سهل ساحلي ضيق غير صالح للاستيطان والسكن
في معظم أجزائه كما أنه قليل الموانئ الطبيعية أما من ناحية
الشرق فتبدأ من جبال السراة هضبة تنحدر انحدادا بطيئا في
اتجاه الشرق الى منطقة الخليج العربي (الفارسي) وأرض وادي
الرافدين . أما في الشمال، فتنتهي أرض الجزيرة ببادية الشام
التي تفصل بين أرض الرافدين في الشرق وسوريا و فلسطين في
الغرب و تتكرر الظاهرة التضاريسية ذاتها فنجد في الشرق
سلاسل جبال لبنان التي تبلغ أقصى ارتفاعها في الوسط و في
الشمال و يفصل بينها سهل البقاع ثم البادية التي تنحدر الى
نهر الفرات . و بصفة عامة، نجد أن تضاريس الجزيرة العربية
يغلب عليها الطابع الجبلي و الصخري في الغرب و تتحول الى
صحراء رملية في الشرق .

ورغم أن البحار تحيط بالجزيرة العربية من معظم أرجائها إلا أنها بصفة عامة ، قليلة أو نادرة الأمطار ، فبعض سواحل البحر تتعرض أحيانا لامطار اعمارية فجائية التى لا تستمر سوى أيام قليلة و تتسرب معظم مياهها فى الرمال بغير طائل ولكن أكثر الاقاليم مطرا و خصبا هو الركن الجنوبى الغربى لشبة الجزيرة العربية و الذى يعرف ببلاد اليمن ، فهذه المنطقة بحكم موقعها الجنوبى و ارتفاع جبالها فهى تتعرض للرياح الموسمية المطيرة فى الصيف و نظرا لغزارة امطار هذه الرياح فهى كثيرا ماتتسبب فى جريان مايمكن أن يسمى بأنهار مؤقتة من جبال اليمن و تنحدر جنوبا فى اتجاه الساحل الجنوبى وللدلالة على أهمية هذه الأمطار و غزارتها يكفى أن نذكر أن الرياح الموسمية هذه ، هى التى تهب على جبال الحبشة وينتج عن امطارها فيضان نهر النيل فى أشهر الصيف .

أما بالنسبة لليمن ، فقد نتج عن جريان تلك الانهار الموقته أن جلبت معها من أعالي الجبال مواد فرينية ومعدنية خصبة فأفادت السهول والوديان فجعلتها شديدة الخصوبة و صالحة للزراعة و خاصة بعد أن قامت فى اليمن حضارة قديمة راقية استطاعت أن تتحكم فى وديان الانهار وأن تقيم السدود وأن تحفر القنوات لتجميع المياه و تخزينها ثم توزيعها بنظام دقيق من أجل اغراض الزراعة والرى ولعل هذا هو السبب الذى جعل الكتاب القدماء من اليونانيين واللاتين يطلقون على بلاد اليمن

اسم " العربية السعيدة " أما سائر أرجاء الجزيرة العربية فأمطارها بصفة عامة قليلة و نادرة ولكنها كافية في بعض الاقاليم لانبات العشب الذي يصلح للرعى الذي كان من أهم أعمال بلاد العرب القديمة . ولكن بلاد العرب لم تقتصر مصادر المياه فيها على هذا القدر من المطر وانما وجد بها مصدرا آخر شديد الأهمية و نقصد به المياه الجوفية التي تتجمع وتظهر في شكل آبار أو عين و هي أكثر تركيزا على الهضبة غير بعيد من سلسلة الجبال و خاصة في منطقة الحجاز ، حيث وجدت تجمعات للآبار تشكل واحات منتشرة ساعدت على الاستقرار و نشأة المدن بها و من أشهرها مكة و يثرب . و لهذه المياه الجوفية أهمية كبيرة جدا في الجزيرة العربية ليس فقط لانها ساعدت على الاستقرار السكاني . و لكن استطاع العرب القدماء أن ينظموا طرق المواصلات بين أرجاء صحرائهم الواسعة بالانتقال بين تلك الآبار والعيون . ونظرا لانتشار هذه الواحات و الآبار في اتجاه عام بين الشمال والجنوب فقد ساعدت على نشاط تجارة القوافل المشهورة و مما زاد في أهميتها ان سواحل الجزيرة العربية على طولها فقيرة في الموانئ الطبيعية . و هكذا لم تساعد الطبيعة العربى القديم على أن يآلف البحر و أن يستخدمه وسيلة للانتقال و خاصة على طول سواحل البحر الاحمر الخطيرة والمليئة بالمفاجآت ، و تنتشر تحت مياهها وعلى امتداد سواحلها الشعب المرجانية التي تهدد الملاحة و تخدع الملاحين . و هكذا

كان الانتقال عن طريق البحر أكثر ألفة بين العرب القدماء .

أما عن أقسام الجزيرة العربية مبتدئين بالقسم الغربى فنجد الحجاز وسمى كذلك على عادة العرب لانه يحجز بين الشمال والجنوب يليه الى الشرق نجد لانه يمثل منطقة مرتفعة من قولهم " انجد الرجل أى معد فى الارض " وسمى السهل الساحلى الواقع بين جبال السراة وبين البحر الاحمر " بتهامة " وبمعنى أنه منخفض . أما المنطقة الجنوبية فقد غلب عليها اسم اليمن وقد اختلف فى سبب اطلاق هذا الاسم عليها فهناك من يفسرها أنها مشتقة من اليمن بمعنى السعد والرخاء و أن هذا هو السبب أن اطلق عليها الاغريق واللاتين اسم العربية السعيدة . ولكن لعل السبب الحقيقى لهذه التسمية هى ما اعتاد القدماء عليه من تقسيم البلاد الى يمين وشمال إذا ما توجه الانسان بوجهة صوب الشرق فيكون اليمينين هو الجنوب والشمال (أى اليسار) وهو الشمال الجغرافى وهذا هو أكثر التفسيرات احتمالا لوقوع بلاد اليمن فى الجنوب كما أن الشمال يمثل الشام المشتقة من الشام . و مما يؤكد هذا التفسير الذى أورده الهمدانى والذى يعتبر أكثر المؤرخين العرب خبرة باليمن ، موطنه الاصلى أننا عثرنا فى بعض النقوش اليمنية القديمة استخدام اصطلاح " ايعنن " و " أشامن " بمعنى شمال و جنوب . ويلى اليمن شرقا اقليم حضرموت وقد اختلف فى تفسير تسميته أيضا ، فأخذ بعض كتاب اليونان مثل صاحب كتاب " الملاحة حول البحر الاحمر "

بظاهر التسمية وفسرها بأنها " وادى الموت " ولكن من الواضح أنها مشتقة من اسم أحد الآلهة وهو الاله " موت " المعروف في الديانات السامية والمصرية .

والى الشرق من حضر موت تقع بلاد " مهرة " التى تغزف أيضا باسم مدينتها " الشحر " وبعدها " عمان " فى الركن الجنوبى الشرقى للجزيرة عند مدخل الخليج و هى بلاد غنيشة نسبيا بالتخيل وبالزراعة و عاصمتها " صحر " البحرية ويليه شمالا " للبحرين " و عاصمته هجر " ويسمى القسم الجنوبى منها " بالاحساء " بمعنى الارض الرملية التى تحوى الماء فى باطنها على بعد قليل ولذلك عرفت بكثرة نخيلها، و يتاخمها غربا منطقة " اليمامة " و يقع الى جنوب " اليمامة " اقليم الربع الخالى المشهور بجفافه وانعدام الماء فيه و يكاد يكون خاليا من المياه .

هذه هى الأقاليم التى تتكون منها شبه الجزيرة العربية (١)

(١) انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ابن رسته ، الامـلاق النفيسة ، اليعقوبى ، كتاب البلدان ، أ.د. سعد زغلول ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، أ.د. مصطفى العبادى ، محاضرات فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص ٧ - ١٢ .

الفصل الثالث

في بيان ما يقع عليه اسم العسرب
وذكر أنواعهم

في بيان ما يقع عليه اسم العرب وذكر انواعهم وما ينخرط في سلك ذلك
 أما من يقع عليه اسم العرب فقد قال الجوهري في
 صحاحه : العرب جيل من الناس . وهم أهل الامصار و الاضراب
 سكان البادية . والنسبة الى الاعراب اعرابي . والذي عليه
 العرف العام اطلاق لفظة العرب على الجميع .

وقد ذكر صاحب " العبر " أن لفظة العرب مشتقة من
 الاعراب وهو أخذ من قولهم : أعرب الرجل عن حاجته ، إذ إبان
 سموا بذلك لان الغالب عليهم البيان والبلاغة ثم ان كل من
 كان عدا العرب فهو عجمي . سواء الفرس او الترك او الروم
 أو فيزهم . وليس كما تتوهمه العامة من اختصاص العجم بالفرس
 بل أهل المغرب الى الآن يطلقون لفظ العجم على الروم والفرنج
 و من في معناتهم . أما الاجم فإنه الذي لا يفصح في الكلام وان
 كان عربيا . و منه سمي زياد الاهجم الشاعر ، وان كان عربيا
 و أما انواع العرب : فقد اتفقوا على تنويعهم الى
 نوعين :-

عربية ، ومستعربية :

فالعربية : هم العرب الاولى الذين فهمهم الله اللغة
 العربية ابتداء فتكلموا بها ، فقليل لهم عاربة ، اما بمعنسى
 الراسخة في العروبية ، كما يقال : ليل لائل . و عليه ينطبق
 كلام الجوهري . و اما بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدئة
 لها ، لما كانوا اول من تكلم بها .

قال الجوهري : وقد قيل فيهم العرب العرباء .

والمستعربة : هم الداخلون في العربية بعد العجم
أخذا من استفعل بمعنى الصيرورة . نحو استنوق الجمال اذا
صار في معنى الناقة لما فيه من الخنوثة ، واستحجر الطيبين
اذا صار في معنى الحجر ليبسه . قال الجوهري : وربما قيل
لهم المستعربة ، لانهم ليسوا بخلص .

ثم اختلف في العاربة والمستعربة ، فذهب ابن اسحاق
والطبري الى أن العاربة هم : عاد ، وثمود ، طسم ، وجديس
و أميم ، و غبيل ، والعمالقة ، و عبد صنم ، و جرهم ، و حضرموت
و خضراء ، و بنو ثابر ، و من في معناهم .

والمستعربة : بنو قحطان بن عابر وبنو اسماعيل عليه
السلام ، لان لغة عابر واسماعيل عليه السلام كانت عجمية ، اما
سريانية واما عبرانية ، فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة
ممن كانوا قرا زمانهم ، وتعلم بنو اسماعيل العربية من جرهم
و من بنى قحطان حين نزلوا عليه وعلى امة بمكة .

وذهب آخرون ، منهم صاحب حصة - الى أن بنى قحطان هم
العاربة ، و أن المستعربة هم بنو اسماعيل فقط . والذي رجحه
صاحب العبر ، الرأي الاول محتجا بأنه لم يكن في بنى قحطان

من زمن نوح عليه السلام الى عابر من تكلم بالعربية ، وانما
تعلوها نقلا عن كان قبلهم من عاد و ثمود و معاصريهم ممن
تقدم ذكرهم .

ثم قد قسم المؤرخون ايضا العرب الى بائدة وغيرها
فالبائدة هم الذين بادوا ووزت آثارهم ، كعاد و ثمود و طسم
و جديس و جرهم الاولى . ويلحق بهم مدين فانهم ممن ورد القرآن
بهلاكهم .

و غير البائدة و هم الباقون في القرون المتأخرة بعد
ذلك كجرهم الثانية وسبأ و بنى عدنان ، ثم منهم من باد بعد
ذلك كجرهم ، و من تأخر منهم الى زماننا كقبلى ياسبأ و بنى
عدنان .

في معرفة طبقات الانساب وما يلحق بذلك عند أهل اللغة

طبقات الانساب ست طبقات :

الطبقة الاولى : الشعب بفتح الشين ، وهو الانسب الابعس
كعدنان مثلا . قال الجوهري : وهو ابو القبائل الذى ينسبون
اليه : ويجمع على شعوب . قال الماوردي في " الاحكام السلطانية "
ويسمى شعبا لان القبائل تتشعب منه .

وذكر الزمخشري في كتابه نحوه .

الطبقة الثانية : القبيلة و هي ما انقسم فيها الشعب
كسبعة و مضر : قال المارودي : وسميت قبيلة لتقابل
الانساب فيها . و تجمع القبيلة على القبائل . وربما سميت
القبائل جماع أيضا ، كما يقتضيه كلام الجوهري حيث قال :
و جماع العرب هي القبائل التي تجمع البط - زن .

الطبقة الثالثة : العمارة ، بكسر العين ، و هي ما انقسم
فيه اقسام القبيلة ، كقريش او كنانة ، و تجمع على عمارات
و عمار .

الطبقة الرابعة : البطن ، و هو ما انقسم فيه اقسام
العمارة ، كبنى عبد مناف و بنى مخزوم ، و يجمع على بطون
و أبطن .

الطبقة الخامسة : الفخذ ، و هو ما انقسم فيه اقسام
البطن كبنى هاشم و بنى امية و يجمع على افخاذ .

الطبقة السادسة : الفيلة ، بالصاد المهملة ، و هي
ما انقسم فيه اقسام الفخذ كبنى العباس .

قلت : هكذا رتبها المارودي في الاحكام السلطانية وعلى
نحو ذلك جرى الزمخشري في تفسيره في الكلام على قوله تعالى
(وجعلناكم شعوبا و قبائل) . الا أنه مثل للشعب بخزيمتوسنة
وللقبيلة بكنانة ، وللعمارة بقريش ، وللبطن بقصى ، وللفخذ

بهاشم و للفصيلة بالعباس ،وبالجملة فالخذ يجمع الفصائل
والبطن يجمع الافخاذ و القبيلة تجمع العماثر و الشعب يجمع
القبائل .

قال النوى فى تحرير التنبيه : وزاد بعضهم العشرة
قبل الفصيلة .

قال أبو عبيدة ،عن ابن الكلبي ،عن ابيه : يقدم الشعب
ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم الفخذ ،فأقلم الفصيلة
مقام العمارة فى ذكرها بعد القبيلة ،والعمارة مقام الفصيلة
فى ذكرها قبل الفخذ و لم ينكر ما يخالفه . ولا يخفى أن الترتيب
الاول أولى . و كأنهم رتبوا ذلك على بنية الانسان ،فجعلوا
الشعب بمثابة أعلى الرأس و هى القطع الشعوب بعضها الى بعض
تتمل بها الشؤون ،وهى القنوات التى فى القحف لجريان الدمع .
وقد ذكر الجوهري أن قبائل العرب انما سميت بقبائل
الرأس .

وجعلوا العمارة تلو ذلك ،اقامة للشعب و القبيلة مقام
الاساس من البناء و بعد الاساس تكون العمارة ،وهى بمثابة
العنق والصدر . وجعلوا الفخذ تلو البطن ،لان الفخذ من الانسان
بعد البطن . و جعلوا الفصيلة تلو الفخذ ،لانها النسب الادنى
الذى يفصل عنه الرجل بمثابة الساق والقدم ،اد المــــراد

بالفصيلة العشيرة الادنون ، بدليل قوله تعالى (وفصيلته
التي تؤويه) أى تضمه اليها ، ولا يضم الرجل اليه الا اقرب
مشيرته .

وأعلم أن أكثر ما يدور على اللسنة من الطبقات
الست المتقدمة : القبيلة ثم البطن ، وقل أن تذكر العمارة
والفخذ والفصيلة . وربما عبر عن واحد من الطبقات الست
بالحى ، أما على العموم مثل أن يقال : حى من العرب ، وأما
على الخصوص ، مثل أن يقال : حى من بنى فلان (١) .

(١) انظر ، القلقشندي ، نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب
تحقيق ابراهيم الابيارى ، طبع دار الكتاب اللبناني
بيروت ص ١١ - ١٤

الفصل الرابع

أحوال بلاد الحجاز قبل الإسلام

.

أحوال بلاد الحجاز قبل الاسلام

تطل بلاد الحجاز مثلها مثل اليمن على البحر الاحمر ولكنها ليست معرضة للمؤثرات الخارجية كما هو الحال بالنسبة لليمن واسم الحجاز ظهر قبل الاسلام ولكنه كان أقل استعمالاً من نجد وتهامة و عـ و ر .

وطبيعة البلاد قاسية من حيث الجو الاستوائي فالحرارة مرهقة والارض قاحلة جدية باستثناء بعض الواحات المرتفعة على تخوم نجد او اليمن و أهم أمثلة لذلك هي مدينة الطائف القريبة من مكة . و مع أن أهل الحجاز لم يأخذوا بفكرة الملكية الوراثية الا أنهم كانوا قد اتخذوا لهم عادات و تقاليد تختلف عن تقاليد و عادات أهل الصحراء في الشمال احترفوا الزراعة و خاصة في منطقة يثرب التي ستعرف بالمدينة و التي تقع في منطقة بركانية امكن زراعتها بغفل تنظييم وسائل الري والمياه والتي تأتي الى المدينة من بعض الادوية و من أشهرها وادي قناة و وادي العقيق .

يثرب :-

=====

و تقع يثرب او المدينة على طريق القوافل التي تتجه من الجنوب نحو الاراض الرومانية نحو خليج العقبة و كانت هذه القوافل تنتهي اما الى غزة أو الى جبل حوران ولقد سكن يثرب جماعة من اليهود و من طريق هؤلاء اليهود

و كذلك عن طريق القوافل كان أهـل

المدينة على اتصال بما يدور حولهم بالعالم الخارجى .

مكة :-

=====

أما من مدينة مكة التى كانت تعتبر عاصمة للحجاز
قبل الاسلام فانها تقع بواى قحـل تحيط به الجبال المجدية
وهى فى الصيف شديدة الحرارة وفى الشتاء تنزل بهـا
السيول التى تغمر الاجزاء المنخفضة منها والتى تعرف
بالسفلة .

ورغم ماكانت تسببه هذه السيول من الاخطار الا أنها
كانت أساس الحياة فى مكة اذ تعد الابار بالمياه التى
تجعلها اكثر ملاحية للشرب والظاهر أن الذى أعطى لمكة
شهرتها القديمة هو بشر زمزم الذى تقول الروايات أنه نبع
بطريقة اعجازية عندما ضرب اسماعيل الصغير الارض برجليه
وترتب على وجود الماء أن أصبحت مكة محطة للمياة على طريق
القوافل المتجهة من الجنوب أى من اليمن نحو الشمال الى
بصرى و كانت القوافل تحمل العطور بمفة خاصة و هى من
منتجات بلاد اليمن فى القديم . و كان هناك طريق آخر يصل
مكة بالخليج الفارسى متجها نحو الشمال الشرقى ولكن هذا
الطريق لم يكن مطروقا قبيل الاسلام بسبب الحروب الدائرة

بين فارس الروم و هكذا نجد أن مكة على عكس غيرها من مدن الحجاز مثل المدينة أو الدلائف تعيش على التجارة عن طريق تصدير المنتجات المستجلبية من المطور والبخور و الجلود و الزيوت والمعادن الثمينة والأشياء المصنوعة و تسير بها الى الشمال لكي تعود بمنتجاتها من الزيوت والقمح والمصنوعات البيزنطية . ويفضل مهارة أهل مكة تمكنوا من تحويل جزء كبير من تجارة الهند نحو مدينتهم و عبر الحجاز بدلا من طريق الخليج الفارسي نحو بلاد الشام و هو الطريق الذي كان ميدانا للقتال بين الفرس والروم .

و هكذا كانت القوافل تسير من مكة نحو بلاد الشام برغم أن هذه المهمة كانت شاقة و صعبة الا أنها كانت مجزية من حيث كثرة الارباح و هكذا عمل معظم سكان مكة في التجارة و كان زعماء المدينة من كبار التجار وأصحاب قطعان الانديونون مما يمكن أن يشبه بطبقة ارسقراطية تولت شؤون البلد وادارتها . وبناء على هذا نق لبعض الكتاب أن يصفوا مكة بأنها كانت جمهورية تجارية مثلها في ذلك مثل الجمهوريات التجارية الايطالية التي ازدهرت ابان العصور الوسطى و قد كان لمكة مجلس من كبار التجار ورؤساء القبائل يشرف على مصالحها و يتصل بالدول الاجنبية من أجل تنظيم تجارتها و حرية مرور قوافلها و بناء على ذلك لم يعد من الغريب أن تصبح مكة مركز جزيرة العرب . والحقيقة أن التجارة لم

تكن وحدها هي التي عملت على اعلاء شأن مكة فقد كان يوجد بها المعبد الشهير و هو الكعبة و تقول الروايات انها بنيت من اقدم العهود الانسانية فآدم هو الذي عمرها عندما التقى بحواء في المكان الذي عرف بعرفات كما يقبل ان ابراهيم بناها بعد الطوفان على كل حال كان يوجد بمكة الكعبة والتي تمكن المكيون من اعلاء شأنها في كل أرجاء الجزيرة العربية و بفضل الكعبة أصبح لهم التفوق على سائر العرب . فلقد صارت الكعبة محبا للعرب من كل أنحاء الجزيرة و ذلك رغم تعدد آلهة العرب في الجاهلية كما سبقت الإشارة فلقد نجح القرشيون و هم سدنة الكعبة من اجتذاب كل العرب الى مدينتهم رغم اختلاف معتقداتهم والظاهر أن الكعبة بعد أن كانت معبدا لاله العربي الشهير هبل أصبحت مجمعا لعدد من آلهة العرب المشهورة مثلها في ذلك مثل الهنشيون فـ في آثينا .

ففي كل عام تنظم بعض رحلات الحج الى الكعبة و ذلك خلال فترة اتفق على اقرار الهدنة أثناءها في فترة الاشهر الحرم التي يتوقف فيها القتال بين القبائل المتخاصمة و في الوقت الذي كان يحج الناس نحو الكعبة للقيام بفرائضهم الدينية كان التجار يعرضون متاجرهم في الاماكن المجاورة وبذلك صاحب العيد الديني سوق تجاري عظيم كان أكبر الاسواق التي هرفت بها بلاد العرب وقتئذ . و هكذا كانت تلتقى

المصالح الدينية والمصالح الاقتصادية في صعيد واحد وكان
الحج فرصة لكي يتعارف أبناء القبائل المختلفة وليناقشوا
مشاكلهم المشتركة وليعملوا على تسوية مايقوم بينهم من
نزاعات كما كان السوق فرصة لسماع آخر مايبثكره الشعراء
وهكذا أصبح السوق سوقا أدبيا .

ويمكن أن نستنبط مما سبق أنه بينما كانت بلاد اليمن
و مناطق الحدود الشمالية للجزيرة العربية تستقبل التيارات
الاجنبية كانت بلاد الحجاز و مكة بصفة خاصة تظهر كاهـمـم
مركز في شبه الجزيرة من النواحي الاقتصادية والدينية
وان هذا المركز كان أصلح ما يكون لجمع شتات القبائل العربية
وتوحيدهم تحت سلطان جديد . ولكن هذا لايعنى أن هذه المهمة
التي سيطلع بها النبي صلى الله عليه وسلم كانت مهـلـة
نستبين ذلك من الصعوبات الشديدة والمحن الكبيرة التي
سيتعرض لها الرسول في سبيل نشر أصول التوحيد و تحقيق
الوحدة بين العرب .

و هكذا ننتقل الى النبي و ظهور الاسلام .

و أول مانشير اليه هو أنه لايمكن دراسة ظهور الاسلام
بغير دراسة حياة النبي فالدين الاسلامي هو أيضا الشريعة
المحمدية .

الدليل الخامس

سيرة الرسول

سيرة الرسول

سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم و شيقه الصلوة
بظهور الاسلام . و ذلك أن بداية الاسلام لاتفهم على وجهها
الصحيح الا بفهم حياة الرسول .

مولد النبي صلى الله عليه وسلم :

=====

و هو محمد بن عبد الله ، واسم محمد من الحمد لما
كان في النبي من المحاسن والمناقب . أما عن مولده فهو
غير معروف على وجه الدقة ، وذلك رغم أنه كان موضوعا لكثير
من الكتاب . فالمشهور أن الرسول ولد في يوم الاثنين لثاني
عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول . حوالي سنة ٥٧٠ م .

ورغم أن النبي ينتسب الى بنى هاشم وبنو هاشم ينتسبون
الى قبيلة قريش العُنية الا أن الرسول ولد في ظروف صعبة
اذ توفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة أثناء مودته
من الشام و ذلك قبل مولده بقليل ، وتوفيت والدته السيدة
أمه و هو طفل صغير لم يجاوز السادسة من عمره . وبعد ثلاث
أو اربع سنوات توفي جده عبد المطلب فأخذه عمه أبو طالب
الذي كان كثير العيال قليل المال . وعلى ذلك كان على
الصبي الصغير أن يعاني من الجوع والعطش منذ نعومه أظفاره
فمارس ذلك حتى أصبح لايشكو جوعا ولا عطشا لاني صغره ولاني كبره
و على ذلك اضطر النبي بمجرد ان اشتد حوده الى الكفاح

من أجل الرزق فقام بالاعمال الشاقة فرعى الغنم ، واشتسمر
 فى قيادة القوافل التى تحمل المتاجر الى بلاد الشام ، كما
 اشترك فى تطهير بئر زمزم واعادة بنائها فكان يحمل الحجارة
 على رقبته و هو غلام ، كما أنه اشترك فى حروب قريش ولم يبلغ
 من العمر الا أربع عشر سنة " فكان ينبل أعمامه " أى يرد
 عليهم نيل عدوهم . و على ذلك عرف الصبي طفولة صعبة رغم
 أنه ينتسب الى قبيلة قريش الغنيمة .

و قبيلة قريش هذه تنقسم الى عشرة فروع أو بطون هى:
 "بنو عبد مناف وبنو قصي و بنو كلاب وبنو مرة وبنو كعب بن
 لؤى وبنو غالب و بنو فهر . ولانعرف على وجه الدقة أصل
 القبيلة قريش . ولكن نعرف أنه كان فى مدينة مكة فى القديم
 قبيلة تعرف باسم جذهم ثم اتت قبيلة أخرى اسمها خزاعة
 نجحت فى اخراج جرهم من مكة واستقرت مكانها . و فى هذا
 الوقت بدأ القرشيون يظهرون على أطراف مكة و هم أقرب ما
 يكونون الى البداوة فقد كانوا يشتغلون بقيادة القوافل
 وكراء الجمال ، و تمكن أحد زعماء قبيلة قريش و هو تميم من
 لم شتات القرشيين و نجح فى الدخول بهم الى مكة و هناك نظم
 قصي طريق العباداة . و شرع ما يمكن أن نسميه بدستور لحكم
 المدينة و بنى فعلا دارا لاجتماع زعماء القبيلة لمناقشة
 شئونها بجوار الكعبة تلك الدار هى المعروفة باسم دار
 الندوة و نظم قصي طرق العباداة و سن ما يمكن أن يشبه بدستور
 للمكة و هكذا اصحت سدانة الكعبة عملا وراثيا فى القرشيين

و أنجب قصى ثلاثة أبناء هم : عبد الدار و عبد العزى
و عبد مناف و أنجب عبد مناف أربعة أبناء اكبرهم عبد شمس
الذى أنجب أمية جد الخلفاء الأمويين أما ابنه الثانى فهو
هاشم جد النبى الثانى . ويقول الكتاب أن بنى قصى هم
الذين عرفوا باسم قريش البطاح ، بينما سدى من بقى من القرشيين
خارج مكة بقريش الظواهـر .

و الحقيقة أنه رغم مايقوله بعض الكتاب من أن بنى
هاشم كانت لهم السيادة على مكة فالحقيقة أن التفوق فى
مكة كان للفرع الاموى صاحب قطعان الابل والتجارة .

واستمر النبى فى العمل فى قيادة القوافل الى أن هيات
له الظروف الدخول فى خدمة سيدة موسرة هى السيدة خديجة
التي كانت تشتغل بالتجارة . وبعد أن سار النبى بتجارة
السيدة خديجة فى عدة رحلات الى الشام ، تشير بعض الروايات
الى أنه التقي أثناءها ببعض رهبان التنصارى ، انتهى الامر
بزواج النبى من السيدة خديجة رغم أنها كانت تكبرة فى العمر
و طالما عاشت السيدة خديجة لم يتزوج غيرها من النساء فهى
أم جميع اولاده باستثناء ابراهيم .

و أهمية زواج النبى من السيدة خديجة تتلخص فى أن
هذا الزواج أراحه من مناء الجهد والتعب فى سبيل السعى
وراء الرزق . وبذلك تهيأ للنبى الفراغ اللازم لتأمل وبناء

على ذلك بدا الرسول يعيش عيشة الزهد والوحدة التى يمكن أن تشبه بحياة المتصوفة و أخذ يتأمل فى المسائل التى شغلته مثل مصير الانسان ويوم الحساب وبحكم التأمل اوحى اليه أن هناك قاضى أعلى له السيطرة التامة على كل قوى الطبيعة الا وهو الله الواحد الاحد خالق الكون والذى سيحاسب الناس على أعمالهم . وبعد فترة التأمل هذه ظهر له الوحي بشكل جلى و ذلك عندما نزلت عبه الاية التى تقول " اقرا باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم " . وهناك نجد أن السيدة خديجة هى أول من آمنت بالرسول فساندته وامدته بقوة من روحها و خاصة فى ساعات الضيق . ومع مرور الوقت ، وخلال دعوة النبی الى رسالته اصطدمت التعاليم الاسلامية وخاصة ماكان يدمو منها الى المبادئ الاشتراكية والاخذ بيد الفقراء والضعفاء ، اصطدم باغنياء مكة من كبار التجار و كذلك برجال الدين الذين كانوا يقومون بسد انسلت الكعبة ويعيشون على النذور والهبات . ولقد بشر النبی هؤلاء التجار الذين كانوا لايهتمون الا بالفكسب المادى بالعذاب الاليم اذا لم يخضعوا للاسلام ولرغبة الله الواحد الئهمار وكانت الايات فى أول الامر عبارة عن اذار عام تشير الى عذاب النار للكافرين و تبشر بحياة الخلد للمؤمنين ولكن هذه الدعوة اصطدمت بشك البعض ، وبسخرية الاخرين ، ولم يؤمن بالدعوة الا عدد قليل من اصدقاء النبی و بعض الفقراء والمبيد

الذين وجدوا في الدين الجديد ما يعزيبهم عن متاعب الحياة
 أما أكثرية الناس فانهم شكوا في صدق النبي واتهمه البعض
 بأنه شاعر أو أنه خيالي وقال البعض أنه مجنون . ولم
 يتورع بعض أهله وخاصة من كان يعيش منهم على سدانسة
 الكعبة من توجيه مثل هذه الاتهامات اليه . ولكن هذه
 المعارضة و تلك السخرية لم تؤد الا الى تقوية اعتقاد النبي
 في رسالته واشتداده في دعوته و كان له في قصص الانبياء
 السابقين ومآلحقهم من الاذى من أهليهم ما قوى عزيمته فالآية
 تقول : " ولقد استهزئ برسلك قبلك فحاق بالذين سخروا
 منهم ماكانوا به يستهزءون " .

واستمر المكيون في شكهم و أخذوا يطلبون المعجزات
 وترتب على ذلك أن الهوة أخذت تتسع بينهم وبين الدعوة
 الجديدة . واضطر النبي الى محاربة شركهم و تحطيم اصنامهم
 كما بدا يرد على سخريتهم بسخرية من آلهتهم . ولكنه ابتداء
 من سنة ٦١٩ م أخذ يفقد سنة عشيرته ففي خلال بضعة أسابيع فقد
 زوجته خديجة التي كانت تمتد، بقوة من روحها و معه أبا طالب
 الذي كان يشد أزره رغم عدم دخوله في الدعوة و أصبح النبي
 وحيدا بدون ظهير . و أصبحت حياته في مكة غير مستطاعة ولم
 يكن أمامه ازاء ذلك الا الهجرة .

هجرة الرسول الى يثرب :

=====

و تعتبر هجرة الرسول من الاحداث الهامة فى تاريخ الاسلام و ذلك لانها تفصل بين عهدين : عهد الدعوة و الدفاع ضد الاعداء . و عهده تكوين الدولة و الانتقال من الدفاع الى العمل على اخضاع الخصوم . و لقد تنبه الخليفة عمر بن الخطاب الى أهمية هذا الحادث فاتخذة بداية للتاريخ عند المسلمين و لقد سبقت هجرة النبی والمسلمين الى يثرب عدة هجرات منها هجرة المسلمين الى الحبشة التى عرف ملكها بالتسامح وسعة الافق . وكذلك حاول النبی المسير الى مدينة الطائف ، ولكنه قوبل هناك بمقابلة سيئة اذ حرض عليه الثقيفون صيانهم وسفهاءهم . وكان اللقاء تعيضا الى حد أن النبی خشى أن يكون الله قد تخلص منه فقال : " اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين انبت رب المستضعفين و أنت ربى ، الى من تكلنى الى بعيد يتجهمتلى أم الى عدو ملكته أمرى ان لم يك بك على فضب فلا أبالى " .

أما عن الهجرة الكبرى أى الهجرة الى يثرب فلقد أتت فكرتها الى النبی عندما التقى ببعض العرب الذين كانوا قد أتوا الى الحج من يثرب . ولقد كان اليهود عديدين فى المدينة مما جعل أهلها على استعداد لتقبل فكرة الاله الواحد ولهذا السبب يمكن ان تفسر بمتجابهة هذه الجماعة الى النبی ودعوتهم له الى المسير الى بلدتهم .

بيعة العقبة :

=====

ولقد تم بينهم وبين النبي حلف كما كانت تقضى التقاليد العربية و يشير الكتاب الى حلفين أو بيعتين تعرفان ببيعتي العقبة (والعقبة منزل في الطريق من المدينة الى مكة) .

و الحلف الاول يسمى العقبة الاولى او بيعة النساء وهذه البيعة لاتنص على الحرب اذ أنهم بايعوا النبي على أن لايشركوا بالله شيئا ولايسرقوا ولايؤزنوا ولايقتلوا أولادهم . ولقد أرسل النبي مع هذه الجماعة رسولا يعلمهم أصول الدين .

أما الحلف الثاني فيسمى بالعقبة الثانية او بالعقبة الكبرى . و في هذا الحلف قال النبي : " ابايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم " كما قال لهم " انا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم و أسالم من سالمكم " بمعنى أنه بمقتضى هذا الحلف أصبح النبي واحدا من أفراد المجتمع اليثربي له مالهم من حقوق و عليه ماعليهم من واجبات و كذلك الامر بالنسبة لأصحابه .

و في صيف سنة ٦٢٢ م ، سار النبي من مكة الى يثرب في رحلته التاريخية المشهورة التي تحيط بها الكثير من الروايات التي انتهت بالنبي الى الوصول الى ضواحي يثرب في موضع قباء ، حيث بنى النبي هناك أول مسجد و وكان قد

سبق النبي الى يثرب الكثير من أصحابه . وهاجر على بن أبي طالب بعد النبي .

و كانت هذه الهجرة بمثابة القطيعة بين مكة التي أصبحت تمثل مدينة الكفار و بين يثرب التي سميت بمدينة الرسول ثم اختصرت الى المدينة .

ولم يلبث الرسول بعد أن استقر في يثرب مع أصحابه المبكين أن بدا في تكوين أول مجتمع إسلامي كان النواة التي ستبنى عليها الدولة الإسلامية في كل أرجاء العالم ولقصد خرج هذا المجتمع على المثل الاجتماعية القديمة التي عرفها العرب والتي كانت تجعل من القبيلة وحدة سياسية مستقلة تعمل على الاحتفاظ بنقائها وعدم الاختلاط بغيرها من القبائل وذلك أنه لم يعد بالمدينة إلا جماعة المهاجرين وهم أصحاب النبي في الهجرة . وجماعة الانصار وهم أصحابه الذين ناصروه من أهل المدينة و خلال هاتين الجماعتين لم يعد للعصبية القبلية أي وزن فليقد وحد النبي بين المهاجرين والانصار فأصبحوا أخوة في الاسلام . ولقد كون النبي هذا المجتمع المدني المتحد وسط شعب متفرق متنافر تمام التنافر اذا كان ينقسم الى يهود ووثنيين من سكان الحضر و من العرب المهاجرين من اليمن (الاوس والخزرج) . والحقيقة ان يثرب كانت في أشد الحاجة الى الاسلام اذ كانت فريسة الصراع بين عسبتي الاوس والخزرج

الذين قتلوا بعضهم بعضا في يوم " بجاث " قبيل مبعث الرسول ورغم أن تحقيق الأمن والسلام في هذا المجتمع كان مشكلة صعبة إلا أن الاسلام تمكن من تحقيق اهدافه في الوحدة عن طريق نشر روح الإخاء والمحبة في سبيل الله .

وبدأ النبي في المدينة يرسم العقائد حسب متطلبات الجماعة الجديدة ولقد نص القرآن على أن الدين الجديد ما هو الا تجديد لشريعة ابراهيم جد العرب وباني الكعبة . ولهذا السبب سمي الاسلام بالدين الحنيفي فالاية تقول: " ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين " و من أجل اقامة شعائر الدين بنى النبي المسجد بالمدينة و كان مسجده بسيطا بدون زخرف فقد كئيب بل عبارة عن فناء او صحن ملاطق للدار التي يقوم فيها النبي ولقد كسيت المنطقة الواقعة في مقدمة المسجد أى المنطقة التي يقف فيها الامام بظللة من فروع و سعف النخل و ذلك لحماية المصلين من و هج الشمس ورغم بساطة هذا المسجد فانه سيصبح كما سنرى النموذج للمساجد الاسلامية في المستقبل بمعنى أنه سيحوى أهم ما في المساجد من اقسام و هي : بيت الصلاة المسقوف و امامه الصحن . ولكي يدعو الناس للصلاة اكتفى بالاذان دون أن تكون هناك مئذنة او صومعة . و هكذا تركز الاسلام في المدينة و بدأت الامة الاسلامية تنمو بتابعه يوم . واستمر الوحي ينزل على النبي في شكل آيات قرآنية

تكاملت و أصبحت قانونا مدنيا و جنائيا • الى جانب الآيات الخاصة بالعبادة وشعائر الدين • ومع نمو المجتمع الاسلامى فى المدينة كانت الهوة تتسع بين المسلمين وبين خصومهم المشركين والمكيين • وكان من الطبيعى أن ينتهى ذلك بالصراع والحرب •

غزوات الرسول :

=====

و هكذا بدأ الجهاد فرغم أن مركز النبى الديننى والسياسى كان قويا الا أن دعوته لم تقبل من جميع الناس و كان النبى يظن ان اليهود وهم أهل الكتاب سيساعدون على نشر الدين الجديد دين التوحيد. ولكن الذى حدث كان على العكس من ذلك اذ بدأ اليهود ينتقدون النبى وخاصة ما أتى به القرآن من قصص الانبياء كما انهم عملوا على زعمهم الوحدة التى بدأ النبى يحققها فى المجتمع الجديد عن طريق اثارتهم للحزازات القديمة بين العصبية العربية ومحاولتهم اخراج من لم يكونوا شديدى التحمس للدعوة وكان هؤلاء يمثلون جماعة صغيرة من بين الانصار ساءهم مجيء المهاجرين الى بلدتهم • ولقد مال أفراد هذه الجماعة الى اليهود وعرفهم القرآن بالمنافقين • واستمر الجدل بين اليهود وبين النبى طوال مقامه بالمدينة وسينتهى الامر الى استعمار العنف ضد مناهضة اذاكتفى النبى بانذار الكفار بعذاب

الآخرة و ترك الفصل بينه وبينهم الى الله فى يوم الحساب
ولكن أهل مكة رغم أنهم كانوا ينعمون بتجارتهم و يستأثرون
بالكعبة فانهم لم يتركوا المسلمين فى أمان فكانوا يسعون
دائما الى اعادة المكيين الذين هاجروا مع النبى الى مكة
و كان للنبي فى قصص الشعوب المعاصية التى نزلت بها لعنة
الله مثلا فالله يمكنه أن ينزل غضبه و ينقمته على الكافرين
بأيدي المؤمنين و هكذا نزلت الآية تقول : " قاتلوهم
بعذبهم الله بأيديكم و يفرهم و ينصركم الله " فكانت
بداية لتشريع الجهاد .

وبدأ الانتقام من المكيين عندما أبيع شن الغارات
عليهم و خاصة على قوافل المكيين التى كانت تمر بالقرب
من المدينة و التى كانت محروسة حراسة قوية و الحقيقية أن
مهاجمة قوافل مكة التجارية كان أشبه مايكون بفيرب نوع من
الحصار الاقتصادي على أولئك الذين أخرجوا المسلمين من
ديارهم .

و تنقسم الحملات التى أخذ النبى يوجهها من المدينة
ضد خصومه الى قسمين : الاول منهما يعرف عند الكتاب باسم
الغزوات ، والثانى باسم البعثات .

و من أشهر البعثات التى سيرها النبى ذلك البعث
الذى خرج قبيل غزوة بدر الكبرى بقيادة عبد الله بن جحش
و ذلك فى شهر رجب وهو من الأشهر الحرم مما ترتب عليه السماح
بمقاتله الكفار ولو فى الأشهر الحرام " الآية تقول :
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ " .

وقعة بدر :

=====

و كانت هذه الحملة بمثابة المقدمة لغزوة بدر الكبرى التي وقعت في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة وذلك بالقرب من ماء بدر (على بعد أربع مراحل من المدينة) هاجم المسلمون احدى القوافل المكية الاتية من الشام والتي كانت تحمل الكثير من البضائع والنقود ، والتي اشترك فيها معظم القرشيين . ورغم أن القافلة استطاعت النجاة بفضل قائدها ابي سفيان الذي تجنب طريق المدينة واتخذ طريق الساحل فان المشركين عندما علموا بالخطر ارسلوا عدة مئات منهم لحماية متاعهم وثروتهم . وكان من الممكن ان يعود المكيون من حيث اتوا لولا انهم ارادوا القيام بمظاهرة عسكرية الهدى منها تخويف المسلمين حتى لا يتعرضوا لقوافلهم .

وانتهت المواجهة بالقتال . ورغم قلة عدد المسلمين بالنسبة للمكيين فقد كان النصر خليفهم و خرج المسلمون من هذه الموقعة بكثير من المغانم كما بقى في أرض المعركة الكثير من زعماء القرشيين او المكيين . ويعتبر انتصار المسلمين في بدر حدثا خطيرا في تاريخ الجماعة الاسلامية الناشئة و ذلك انه قرر مصيرها كقوة لا تكتفى بالدفاع عن نفسها بل يمكنها ان تهاجم خصوما و أن تنبصر عليهم . ولقد قوت هذه المعركة مركز النبي كما دعمت الدعوة الاسلامية وذلك أن انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة ما كان يتم

الا بفضل الله . و هكذا كانت هزيمة المكيين نذيرا بنزول غضب الله على كل الكافرين من أهل الجزيرة سواء كانوا ملاحدة او يهود او غيرهم ولقد نزلت الايات بعد ذلك تحث على قتال المشركين وبدأت مهاجمتهم في كل أنحاء الجزيرة .

غزوة أحد :

=====

ولكن القتال لم يكن لينتهي دائما في صالح المسلمين و ذلك أنه في السنة التالية لبد رأى في السنة الثالثة للهجرة تنبيه أهل مكة من الصدمة التي أصابتهم من العرب واستعانوا بالمرتزقة من الاحابيش وجمعوا جيشا بلغت عدته حوالى ثلاثة آلاف رجل . بينما خرج النبي لهم في ربح هذا العدد ، و تتم اللقاء بالقرب من جبل أحد وانتهت الواقعة بانهزام المسلمين هزيمة منكرة حتى أن النبي نفسه جرح في الواقعة و يفسر الكتاب أسباب الهزيمة بسبب أخطاء تكتيكية حدثت أثناء المعركة يمكن أن تفسر على أنها خروج على النظام والطامة من أجل تحقيق مأرب شخصية ولقد قتل في هذه المعركة مسلم النبي حمزة و مثل به ورغم الهزيمة لم ييأس النبي وسرعان ما رفع من روح أصحابه إذ فسرت الهزيمة على أنها محنة امتحن الله بها المسلمين ليعرف مدى صلابتهم وتمسكهم بالدعوة .

غزوة الخندق :

=====

و أخذ النبي من جديد بوجه السرايا الى مختلف الجهات و القبائل و كان ذلك من الاسباب التي دعت المكيين النبي محاولة غزو المسلمين في عقر دارهم في المدينة و فعلا توجه المكيون و حلفاؤهم الذين كان قد أشارهم يهود بنى النضير نحو المدينة و كانت هزيمة احد قد علمت المسلمين الايتسرعوا في ملاقات اعدائهم و فعلا وقف المسلمون موقفا دفاعيا وكذلك أنهم حفرُوا خندقا يحيط بالاماكن الضعيفة في شمال المدينة ولما كان العرب لم يعرفوا مثل هذا النوع من القتال بالدفاع، تقول بعض الروايات أن سلمان الفارسي هو الذي أشار على النبي بعمل الخندق الذي كان يعرفه الفرس ولقد قام الخندق بما كان يرجى منه إذ كون عقبة أمام الأعداء نجحت في صدّهم بل و تحطّم عليها هجومهم و هكذا اضطر المهاجمون بعد مرور حوالي شهر على حصارهم للمدينة من الانصراف عنها نتيجة لآحوال جوية سيئة . وعرفت هذه الغزوة التي وقعت في السنة الخامسة باسم غزوة الخندق . كما عرفت أيضا باسم غزوة الأحزاب .

و كانت نتائج غزوة الخندق و فشل المكيين و حلفائهم في مهاجمة المدينة أهم من الانتصار الذي حققه المسلمون

في بدر . وذلك أن هذه الواقعة وضعت خاتمة للصراع بين
المدينة و بين مكة ، كما سمحت للنبي بأن يصبح صاحب السلطان
الأكبر في المدينة فبعد هذه الواقعة تم طرد اليهود نهائيا
من المدينة وذلك بعد ما اظهروه من العصيان ضد الدعوة
وموقفهم العدائي اثناء الصراع ضد المكيين فعقب بدر طرد يهود
بنو قنقاع الذين كانوا يشتغلون بالتجارة والصباغة فذهبوا
الى خيبر حيث استقروا ، وعقب وقعة أحد تم اجلاء يهود بني
النضير ، هؤلاء كانوا قد اشتركوا بعد طردهم في الدمايسة
ضد النبي وساهموا في تجميع الأحزاب ولحق بنو النضير باخوانهم
في خيبر . أما مصير بني قريظة فكان أشد من مصير اخوانهم
و ذلك لخيانتهم و تحالفهم مع الأحزاب اثناء حصار المدينة
فلم يكن من الغريب أن تكون عقوبتهم هي عقوبة الخولة .

أما بعد انتصار الخندق فقد تابع المسلمون اليهود
حتى خيبر واخضعوهم لسلطان المدينة وقاسوهم نخيلهم وزوعهم .

الحديبية :

=====

و كان النبي يريد من غير شك في أن يعود الى مسقط
رأسه هو ومن معه من المسلمين و خاصة من المهاجرين . وبدأ
النبي يفكر في العودة بطريقة سلمية وذلك عندما أعلن رغبة
المسلمين في الذهاب الى مكة لاقامة شعائر الحج . ويــــرى
البعض ان هذه الخطوة تعبر عن ذكاء سياسي فاذا قبل المكيون

دخول المسلمين الى مكة كان ذلك نصرا كبيرا للدعوة اما
 اذا رفض أهل مكة دخول المسلمين و منعوهم من أداء مناسك
 الحج فان ذلك يعنى الوقوف أمام فريضة الحج التى يقدها
 العرب على اساس انها من شعائر ابراهيم الخليل بانى الكعبة
 وجد العرب . ولقد قرر النبي الذهاب الى مكة فى السنة
 التالية للخطبة أى السنة السادسة و ذلك خلال الاشهر الحرام
 و توقف النبي و معه المسلمون فى موضع يسمى الحديبية
 و كان المسلمون فى حوالى ألف رجل مما دعا المكيين
 الى العرب و الفرع حتى أنهم فكروا فى الوقوف أمام النبي
 لولا أن الرسول اظهر نوايا المسلمين السلمية و بعث عثمان
 بن عفان رسولا الى مكة لمفاوضة القرشيين . وطالت المحادثات
 والمفاوضات ولكنها انتهت بعقد اتفاق تنازل فيه النبي
 عن بعض الاشياء مظهرا لكثير من القدرة السياسية . فرغم
 عدم اعتراف المكيين برسالته فانه اكتفى بأن يعاملهم
 معاملة الند لند بعد أن كان بالاس هاربا منهم . وتيسر
 الاتفاق على أن يدخل المسلمون مكة بعد أن يتركها القرشيون
 لمدة ثلاثة أيام ولكن فى العام التالى .

و الحقيقة أنه رغم ما اظهره بعض زعماء المسلمين من
 عدم الرضا بهذه الاتفاقية فما لاشك فيه أنها كانت انتصارا
 سياسيا عظيما للنبي وللمسلمين .

اتصالات الرسول مع الملوك الذين يحيطون بجزيرة العرب .:

ولقد رفعت هذه المعاهدة من شأن النبی الذي أصبح
الى جانب النبوة أشبه مايكون برئيس دولة . فبعد عودته
من الحديبية مباشرة قام باتصالات دبلوماسية مع الملوك الذين
يحيطون بجزيرة العرب . فأرسل بعوثا الى ملك فارس الذي
يفهم من النصوص انه رد على البعث بطريقة غير مرضية . وكذلك
سبر سفارة الى نجاشي الحبشة الذي أحسن استقبال سفراء
النبي حتى قالت بعض الروايات انه دخل في الاسلام (هذا غير
صحيح) و كذلك بعث الى حاكم مصر الذي يسميه الكتاب العرب
بالمقوقس (ربما كانت قيرس) و تشير الروايات بحسن استقبال
حاكم مصر لرسول النبي . وتنسب الى المقوقس انه بعث بهدية
تمينة الى النبي و كذلك تشير الروايات الى أن هرقل قيصر
الروم قابل رسول النبي بالكثير من الاتزان والتعقل .

هزيمة مؤتة :

=====

أما عن السفراء الذين ساروا الى أمراء القبائل
العربية في بادية الشام فانهم استقبلوا استقبالا سيئا مما
تطلب الرد عليهم بارسال حملة عظيمة الى حدود الشام وعهد
النبي بقيادة هذه الحملة الى مولاة زيد بن حارثة . ولكنه
رغم عظم الحملة التي بلغت حوالي ثلاثة آلاف رجل فانهم
انتهت نهاية نكسة إذ انهزم الجيش الاسلامي الكبير بموضع

يعرف " بموته " (فى اقليم شرق الاردن - بالقرب من البحر الميت) وقتل قائد الحملة و من كانا ي خلفانه فى القيادة وهما : جعفر بن ابى طالب وعبد الله بن رواحة . وعاد خالد بن الوليد بفلول الجيش الى المدينة .

و بطبيعة الحال يمكن أن تعتبر غزوة موته هذه بمثابة توسع خارج حدود جزيرة العرب . وبناء على ذلك فان هذه الهزيمة على الحدود البعيدة لم تكن لتقلل من شأن القوة الاسلامية الفتية و ذلك أن وفود قبائل العرب أخذت تأتي الى المدينة تعلن خضوعها وولاءها للنبي و تقبلها الدخول فى الاسلام . و كان ذلك يعنى استعداد قبائل العرب للدخول فى الدعوة و خاصة لو توقفت المعارضة من جانب القرشيين فى مكة .

دخول المسلمون مكة :

=====

وبناء على ذلك لم يكن من الغريب أن يدخل المسلمون مكة فى السنة الثامنة للهجرة رغم الاتفاقية التى كانت قد تمت فى الحديبية . والحقيقة ان اتفاقية الحديبية كانت قد نصت على اقامة الهدنة لمدة عشر سنوات . ولكن القرشيين خرقوا هذه الهدنة عندما سمحوا لبعض خلفائهم بمهاجمة بعض حلفاء المسلمين . وهنا رأى النبي أن يواجه الموقف بمسار يتطلبه من الحزم والشدة و كان مركز النبي قد اشتد لدرجة

أن أبا سفيان وهو زعيم مكة والنموذج المثالي للحريصة الجاهلية اضطر الى مفاوضة المسلمين . فحضر شخصيا الى المدينة وانتهت الزيارة بأن تزوج النبي إحدى بناته وهي: أم حبيبة . ولقد كان تقرب أبي سفيان من النبي والمسلمين من الاسباب التي سهلت دخول مكة دون مقاومة ملموسة .

ففي السنة الثامنة للهجرة سار النبي على رأس قوة كبيرة من المسلمين الى مكة و نجح في الاستيلاء عليها دون قتال يذكر . وتم بذلك تطهير الكعبة من الاصنام و اعلنت فيها وحدانية الله . وعلى عكس ما كان يظن لم يبق النبي في مكة سوى اسبوعين عاد بعدها الى المدينة .

وكان من الطبيعي أن تخضع سائر القبائل العربية بعد فتح مكة . وذلك ان معظم هذه القبائل كانت ترتبط بالقرشيين ارتباطا وثيقا من طريق المعاملات اليومية و عن طريق الحلف والماهرة .

يوم حنين :

=====

ولكنه رغم ذلك نجد أن بعض القبائل لاتقبل الخضوع للمسلمين طواعية بل أن قبيلة كبيرة من القبائل المتاخمة لمكة والتي كانت ترتبط بها بروابط وثيقة و هي قبيلة هوازن تقرر المسير الى مكة في محاولة لاسترجاعها من المسلمين وعندما يعلم النبي بهذه المؤامرة يسير على

رأس اصحابه للوقوف أمام هوازن ، ويتم اللقاء بين الفريقين في موضع يعرف " بوادى حنين " (على بعد عشرة أميال من مكة) و في هذا الوادى انقضت هوازن فجأة واثناء الليل على المسلمين الذين اضطربت صفوفهم واختل نظامهم وولّى الكثير منهم الادبار . ولو لاشجاعة النبی وثقته بنفسه ولولا موقف العباس بن عبد المطلب الحازم لانتهى الامر على فيسر ما يشتهي المسلمون فبعد أن تنبه المسلمون من شدة الصدمة تمكنوا من استرجاع شجاعتهم المفقودة و تمكنوا من رد أعدائهم و تشتيت شملهم . فهربت هوازن من امام المسلمين . وعادت الى مدينتها الطائف واعتصمت بجدرانها . وذلك أن مدينة الطائف ذات البساتين كانت تحيط بها الاسوار . ولقد تبع المسلمون المنهزمين الى هناك و ضربوا عليهم الحصار الذى طال بعض الوقت لعدم خبرة المسلمين بحرب الحصون . حتى انتهى الامر بانسحابهم ولكن بعد أن خضعت هوازن فى سبيل استرجاع اموالها وذرائعها الذين كانوا قد وقعوا بين أيدي المسلمين يوم حنين .

و بخضوع هوازن خضعت مدينة الطائف ، وقبائل ثقيف ، وتم تحطيم الهتها و صنمها وهو اللات بيدى أحد ابنائها وهو المغيرة بن شعبة الذى سيكون له شأنه فيما بعد .

عام الوفود :

=====

وبسمى المؤرخون العرب السنة التالية لفتح مكة وهى
السنة التاسعة بعام الوفود وذلك عندما اتت قبائل العرب
الى المدينة لتعلن خضوعها الى النبى .

تصور الروايات قصة تقبل هذه القبائل للاسلام بصورة
تتفق مع العادات التى كانت معروفة بين العرب . فمن ذلك
ان قبائل بنى تميم الذين كانوا ينتشرون فى كثير من أنحاء
جزيرة العرب فى نجد ، و فى البحرين ، و فى الشمال حتى تخوم
العراق . اتوا بشعرائهم و خطباءهم لمناظرة شعراء و خطباء
المسلمين و عندما انتهت المباراة الادبية بتلوق شاعر
المسلمين و خطيبهم اعترفوا بأن النبى مؤيد من الله
وقالوا : "خليفة اخنئب من خطيبنا ، وشاعره اشعر من شاعرنا"

و بطبيعة الحال يمكن أن يفسر مثل هذا الخضوع على
أنه خضوع سياسى أى خطوة لتقبل الاسلام بشكل تام .

ودخلت ايضا فى الاسلام قبائل منطقة نجران وكان كثير
منها يعتنق النصرانية كما دخلت ايضا قبيلة طى ، وهى
القبيلة اليمنية الاصل والتى هاجرت نحو الشمال .

وقعة تبوك :

=====

وفي هذه السنة سار النبي على رأس المسلمين السى
ضاحية بعيدة شمال المدينة بلغت مسيرة اثني عشر يوما حتى
بلغ موقع تبوك على حدود الاراضى البيزنطية وهناك أعلنت
القبائل العربية خضوعها للمسلمين واكتفى النبي بذلك ولم
يدخل المسلمون فى أرض بيزنطية

وفي السنة العاشرة و هى السنة التالية - اتسعت
الدعوة الاسلامية وامت كل مكان فى بلاد العرب . وذلك رغم
ظهور بعض حركات الردة التى بدأت تظهر فى اقاليم البحرين
و عمان و رغم ظهور بعض الادعياء الكاذبين الذين ارادوا انتهاز
الفرصة و تنبأوا ليكون لهم نصيب فى البلاد الى جانب المسلمين
وكان هذا يعنى أن الدعوة الاسلامية امت كل الجزيرة وان مهمة
النبي كانت قد انتهت وذلك كما نقول الآية " اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديننا "
وهذه الآية تؤكد تمام الرسالة وكمالها .

حجة الوداع :

=====

والظاهر ان النبي شعر بقرب نهاية اجله وأنه اراد لذلك
ان يقوم بأداء فريضة الحج و كانت هى الاولى والاخيرة حول هذا
السبب يسميها الكتاب حجة الوداع وفى هذه الحجة رسم

مناسك الحج من الاحرام وتحية المدينة وبعد ذلك هناك الطواف
حول الكعبة ثم الهرولة بين الصفا والمروة و بعد ذلك
الخروج الى منى ورمى الجمرات واخيرا تقديم الهدى ثم انه
بعد عودته لم يقدر له أن يشاهد مسقط رأسه مرة أخرى

و عندما رجع النبي الى المدينة أخذ يعد العدة لحملة
تسير الى تخوم بلاد الشام للشار من هزيمة ويوتة . ولكن
المرض اضطره الى تأجيل مسيرة هذه الحملة .

و عندما شعر بوطأة المرض عهد الى صاحبة و صديقته
ابى بكر بامامه الناس في الصلاة و بعد ايام توفي النبي
في اليوم الثامن عشر من شهر ربيع الاول من السنة الحادية
عشر للهجرة .

و بذلك نأتى الى نهاية العصر النبوى و نختمه بمحاولة
تقييم لشخصية الرسول و كذلك محاولة تقييم لما أتت به
الدعوة المحمدية من جديد .

بطبيعة الحال يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم من
الشخصيات العالمية الكبرى ولهذا السبب كان موضوع الكتابات
الكتاب من العرب والمسلمين و من غير العرب و من في
المسلمين .

والرسول بالنسبة للعرب وللمسلمين هو الرجل المثالى الذى ينبغى على كل مسلم و عربى أن يجتذى سيرته . كذلك قدره غير العرب و غير المسلمين تقديرا عظيما . هذا ولسو أن بعضهم تعرض بالنقد لبعض النقاط الخاصة بسيرة الرسول و لكنه يمكن الرد بسهولة على مثل هذه النقاط .

أما أهم الصفات التى تميز بها الرسول فهو انه كان يعرف حدود مقدرته فلا يتعداها الى ما لاطاقة له به : فمثلا عندما وجد عدم نجاح الدعوة فى مكة وانه يحرق فى أرض صلبة لاستجيب له رآبى الا ينهك قواه دون جدوى وقرر نقل مركز الدعوة الى يثرب التى كانت أكثر استجابة للدعوة وتقبلا لمبادئ الاسلام .

كذلك رأيناه لايحاول أخضاع مكة بالعنف والقوة ولم يحاول الرجوع اليها الا بعد ان كانت قد هدأت الامور فيها وتهيأت المدينة لعودة النبى والمسلمين .

والى جانب المقدرة و حسن وزن الامور تميز الرسول بالاخلاص والحماس فى الدعوة اما مايقال من أنه تزوج بأكثر من امرأة . فيمكن الرد عليه بسهولة فقد عرفنا انه طالما عاشت السيدة خديجة لم يتزوج الرسول غيرها من النساء .

أما الزوجات اللاتى اتخذهن بعد ذلك ، فكان ذلك لأسباب خاصة منها الحلف مع بعض القبائل العربية ومنها ماتم فى شكل عمل من أعمال البر والتقوى .

والى جانب هذا اتمف الرسول بصفات الزعامة : فهو شجاع لا يتردد فى أن وجود نفسه فى وقت الشدة . حدث هذا . فى أحد عندما مرض نفسه لسيوف الاعداء فجرح و اشيع أنه قتل و حدث هذا أيضا فى وادى خنين عندما ثبت ورد العزائم لمن كانت قد خانتهم عزيمتهم .

الى جانب ذلك كان النبى صديقا و فيا كريما محبا للفقراء فهو لا كانوا يتمتعون بمركز خاص بالنسبة له . وفى ذلك ينسب الى النبى ^{الله} قال : " اجلس كما يجلس العبد " وهذا يعنى بساطة النبى . ولكنها بساطة من ذلك النوع الذى يحفظ الهيبة وجلال الشخصية و فى ذلك تقول الروايات انه : كان يشعل مصباحة بيده ، و ينظف مسكنة و يفتش الارض ويرتق ثيابه الى جانب تلك البساطة تشير النصوص الى أنه كان يهتم بنفسه فهو يتنزين و يستخدم الخضاب (الحناء) ، كما كان يحب العطر .

هذا عن شخصية الرسول أو من محمد الرجل الانسان اما فيما يتعلق بالدعوة التى أتى بها فهو وان كانت قد اتصفت بالجدة واتت بمثل جديدة لم تكن معروفة من قبل الا انها لم تقطع الصلة بالماضى تماما فقد حافظت على الكثير من التقاليد والعادات العربية الطيبة كما يتمثل اتصالها بالماضى فى فريضة الحج و هى التى سيكون لها شأنها كما سنذكر فيما بعد .

أما عن القرآن فهو دستور الجماعة الإسلامية الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها . وهو الى جانب احتوائه على الايات الخاصة بالعقيدة كان قانونا جنائيا و مدنيا و على ذلك فهو الذى ينظم الحياة العامة والخاصة للمسلمين .

و مثل هذا يدعى ان يقال عن الاحاديث التى تـكـوـن الى جانب القرآن اسما للتشريع الاسلامى فيما بعد .

أما عن العقيدة الإسلامية فلها أسس خمسة كان لها آثارها العريقة فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ففريضة الصلاة وهى الفريضة العملية الوحيدة تقريبا فى الاسلام كانت بسيطة لاتدع مجالا لتردد الضمائر الحائرة ويرجع الظنيل الى الصلاة فى نشأة المسجد هذا المسجد عرفه اصول من عمقه كما رأينا نظرا لوقوف المصلين فى صفوف مستقيمة و نظرا لافلية الصلاة فى الصف الاول . و الى جانب بيت الصلاة حوى المسجد العناصر الهامة التى سيحتفظ بها الجامع العربى فيما بعد رغم أنه لم يكن يحتوى على المحراب والمئذنة .

و الصلاة الى جانب اهميتها من حيث العقيدة كانت ايضا وسيلة تنظيم للجماعة هذا التنظيم كانت له اثاره على التنظيم العسكرى فوقوف المصلين فى صفوف اشبه ماتكـوـن بوقوف الجيش فى صفوف مترامة ، الامام فى مقدمة المهلبين اشبه مايكون بالقائد فى مقدمة الجيش .

أما عن الشهادة فكانت لها أهميتها الكبرى فقد كان ينادى بها خمس مرات من أعلى المئذنة لدعوة الناس إلى الصلاة و على ذلك أصبحت المئذنة تقوم بما يقوم به الساعة في الميادين في المدن الحديثة . أما بما تقوم به الاذاعة او التلفزيون حديثا من حيث تحديد الوقت و على ذلك كانت المئذنة هي التي تنظم الحياة اليومية في المدينة .

لهذا السبب تطلب ان يكون بناء المسجد الجامع في قلب المدينة .

ولما كان الجامع يؤم أكبر عدد من الناس وخاصة في الملوات الكبرى كان من الطبيعي ان تقام حوله الاسواق وبذلك اصبح الجامع في المدينة العربية الى جانب كونه المركز الديني في المدينة المركز الاقتصادي ايضا هذا امر له أهميته .

هذا فيما يتعلق بالمسجد وبالاذان وبالشهادة .

الصوم :

=====

أما فيما يتعلق بالصوم فهو الى جانب أنه يعمل على قوة النفس و تحمل الانسان للجوع والعطش ورغم أنه يعمل أيضا على ترقية النفس والسمو بالروح عن طريق تعذيب او قتل الجسد فكانت له وظيفة اجتماعية كبرى أشبه ما يكون بوظيفة الصلاة من حيث أنها كانت وسيلة تنظيم و ترتيب للجماعة هذا التنظيم

يظهر في اشهر اب الجماعة عن الطعام في وقت واحد ثم بدأها
للطعام وفي وقت واحد .

هذا كما أنه كان عاملاً من عوامل الربط بين الجماعة
العربية الاسلامية في مختلف الاقطار اذ خلال شهر الصوم كان
المسلمون يمارسون عادات وتقاليد خاصة .

الزكاة :

=====

بعد ذلك سنتكلم عن القيامة الرابعة و هي الزكاة
و الزكاة هي دفع الضريبة السنوية عن الاموال و هذه أيضا لها
اهمية خاصة وذلك انها كانت من الموارد الاساسية بالنسبة
للدولة و الزكاة على نوعين احدهما اجباري تجببه الدولة
و هذا يؤخذ على الدخل وعلى رأس المال أيضا - وكون الضريبة
على رأس المال له أهمية خاصة وذلك أنه يحوى في ثناياه
فكرة اعادة توزيع الثروة - و تسرى أيضا على قطعان الماشية
و على مختلف المحاصيل ومكاسب التجار من عادية واستثنائية
وكذلك تسرى على الممتلكات التي لاتنتج مثل الاراضى البور .

هذا عن النوع الاجباري .

أما عن النوع الاختياري فهو الذى يسرف بالمدقة وهذا
لاتجبيه الدولة بل يدفعه المؤمن مباشرة الى المستحقين

والمستحقين بطبيعة الحال هنا هم طبقة الفقراء . وهذا كما لاحظ البعض اول , تطبيق للافكار الاشتراكية عرفه العالم .

وهناك آيات فى القرآن تبين كيفية توزيع ضريبة الزكاة والفقراء هم أول من يستفيد منها ففى سورة البقرة تقـول الآية " وإذا أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين احسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة و آتوا الزكاة ثم توليتم الاقليلا منكم و أنتم معرضون " .

وفى سورة الحشر : " ما آفأ الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم " .

و الذى نلاحظه على هذه الضريبة انها كانت الضريبة الوحيدة التى يخضع لها المسلمون .

وفى صدر الاسلام وجدت موارد أخرى للاموال منها : الضرائب التى يدفعها اهل الذمة ، وكذلك الاموال الاتية عن طريق المغانم والاسلاب اما عن الضرائب الاخرى التى ظهرت فيما بعد فانها ظهرت نتيجة لتطور تاريخى طبيعى ويسمىها بعض الكتاب بالمغارم .

الحج :

=====

أما القاعدة الخامسة للاسلام و هي التي تعتبر العقيدة الاخيرة فهي الحج و قد كانت لها اهميتها الخاصة أيضا بالنسبة للجماعة الاسلامية . فالحج كان اشبه مايكون بمؤتمر اسلامي يجتمع فيه المسلمون من جميع انحاء العالم . والى جانب القبام بالشعائر الدينية كان يمكن لهم مناقشة مشاكل الجماعة و حل الخلافات التي توجد بينها و من هذا الوجه كانت فريضة الحج عامل من عوامل الربط بين مختلف جماعات المسلمين ، هذا كما أن رحلة الحج عملت على اقامة نوع من الوحدة الثقافية والنفسانية الى جانب زيادة عملها أيضا على زيادة الروابط الاقتصادية بين الاقطار المختلفة .

و الحقيقة انه رغم خروج الخلافة من بلاد الحجاز و عدم عودتها اليها ابدا هذا فيما بعد . نجد أنه بفضل الحج ظلت بلاد الحجاز تحتفظ بمركز مرموق بين مختلف البلاد الاسلامية .

الجهاد :

=====

و الى جانب القواعد الخمسة هذه يرى بعض الفقهاء اعتبار الجهاد من قواعد الاسلام ايضا . والحقيقة أنه كان

للجهاد اهميته الكبرى فى نشر الدعوة الاسلامية و فى قيام
الدولة العربية الكبرى .

وسيل للجهاد اهميته العظيمة عندما تبدأ الدولة
فى الاضمحلال . فقد كان الجهاد هو الرابطة التى تربط بين
جماعات العرب والمسلمين للوقوف امام المعتدين والدفاع عن
أرض العروبة والاسلام .

الفصل السادس

عصر الخلفاء الراشدين

عصر الخلفاء الراشدين

أهتم ما تتميز به هذه الفترة هو حركة الفتوح الكبرى
التي ستنتهى بالجماعة الإسلامية الناشئة فى فترة قصيرة لم
تكد تبلغ الثلاثين عاما فتصل الى حدود افريقية (البلاد
التونسية الحالية) من جهة الغرب والى اواخر مشارق بلاد
فارس حتى تخوم التركستان و يرجع الفضل الى الخلفاء
الراشدين فى هذا التوسع وخاصة الخليفتين الاولين ابوبكر
وعمر على وجه الخصوص .

عهد الخليفة الاول ابو بكر

=====

فى صبيحة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم استعرت
الاهواء حول من يخلفه فى رياسة الجماعة الإسلامية وحدث نوع
من التنافس بين المهاجرين والانصار اذ اجتمع هؤلاء الاخيرون
فى سقيفة بنى ساعدة المشهورة ارادوا أن يختاروا احدهم
وهو سعد ابن عباد من الخزرج ليخلف النبى ولكن المهاجرين
تمكنوا من العمل بسرعة واستطاعوا بفضل جهود عمر بن
الخطاب من تقديم ابى بكر وكان ذلك على أساس ان النبى كان
قد اختار ابا بكر لامامة الناس بالصلاة عندما اشتد عليه
المريض فيقال : انه قيل للانصار ارتضاه النبى لديننا فكيف
لنرضاه لدنيانا وعلى ذلك اعتبر اختيار ابو بكر لامامة
السلاة كأنه ترشيح لتولى الخلافة (١)

(١) انظر ، ابن خلدون ، المقدمة ، طبعة بيروت ، ص ٣٨٧ - ٣٨٨ ،
(الفضل السمانى والثلاثون) (فى الخطط الدينية العامة)

الامر موقفا حازما حتى يقال أنه قال : " لو منعوني خطام
بعير لقاتلتهم عليه " . هذا فى الوقت الذى كان عمر بسن
الخطاب يميل الى شيء من التساهل .

محاربة المرتدين :

=====

وبمجرد عودة الحملة التى كان سيرها نحو الشمال
بقيادة أسامة بن زيد سير على رأسها البطل الشهير خالد بن
الوليد لحرب الثوار وقام خالد بأعمال عظيمة ضد المرتدين
فهزم طليحة الذى ظهر فى نجد ثم أنه واصل السير الى الخليج
الفارسى وانزل هزيمة مريرة بينى تميم و متذبتهم سجاح
بنت الحارس بن سويد ثم أنه عاد الى وسط الجزيرة الى منطقة
اليمامة و كان عكرمة بن أبى جهل قد لقي هزيمة هناك على
أيدى مسيلمة الكذاب فاستطاع خالد أن يلحق بمسيلمة و حلفائه
من عرب بنى حنيفة هزيمة نكراء فحاصروهم فى إحدى الواحات
المسورة و قتل منهم مقتلة كبيرة حتى سميت الواحة بحديقة
الموت . وبعد ذلك قام جيش اسلامى آخر وعبر صحراء الدهناء
واوقع بقبائل البحرين واخضعهم وبعد ذلك استطاع عكرمة بين
أبى جهل ان يحقق انتصارات كبيرة فى جنوب شرق الجزيرة فسى
عمان وعلى طول الساحل الجنوبى فى حضرموت و كان لبلاد
اليمن منتبها هي الاخرى و يعرف بالاسود العنسى و طكت قسام
فى بلاد اليمن اضطراب بين العناصر الوطنية والعناصر القومية

وبين الموظفين الفرس و كان ذلك لصالح الجماعة الاسلامية
اذ انتهر الخليفة الفرصة وارسل الى هناك قوة تمكنت من
القضاء على المرتدين وبسقوط اليمن في الغرب و عمان في
الشرق كان من الطبيعي أن تخضع كل بلاد حضر موت وبذلك تم
القضاء على حركة الردة خلال سنة واحدة وعادت الوحدة الى
الجزيرة تحت قيادة المدينة والخليفة .

=====

التوسع الى خارج جزيرة العرب :-

=====

بعد الازمة التي انتابت الجماعة الاسلامية اثناء حركة الردة. وهى التي يصورها ابن خلدون تصويرا طريفا عندما يقول " كان المسلمون كالغنم فى ليلة ممطرة لقلّة عددهم وكثرة عدوهم واطلام الجو بموت نبيهم " .

وبعد انتهاء الازمة بفضل مجهودات ابو بكر و عمر وابى عبيدة تغيرت الاحوال وعادت الوحدة من جديد و صار العرب قوة فاتحة استطاعت خلال فترة قليلة أن تحتل الى جيحون شرقاً و مجردة فى بلاد تونس غرباً . وبطبيعة الحال يرجع الفضل الى تكتل العرب هذا الى الدعوة الاسلامية البسيطة التى لاتدع مجالا لتردد الضمائر هذا الى جانب بساطة العرب فى ذلك الوقت و تكوينهم لقوة متناسقة غير طبقية فالنموص التى تصف عرب ذلك الوقت تقول : " ان التواضع كان أحب اليهم من الرفعة والموت أحب اليهم من الحياة يجلسون على التراب و يأكلون على الركب وأميرهم كواحد منهم " هذا كما انه كان للعقيدة الاسلامية اثرها على التنظيم العسكرى عند العرب فالعقيدة كانت اشبه ماتكون بتنظيم عسكرى للمسلمين هذا كما ان معنويات العرب كانت مرتفعة ارتفاعا لم يعرف له مثيل من قبل فالمنتصر كانت له المغانم والشهيد كانت له جنة الخلد.

هذا كما أنه إذا ما قارنا بين بساطة العرب وبين القوات المعادية من بيزنطية وفارسية نجد أن بساطة العرب هذه حققت لهم نوعاً من التفوق العسكرى فالعرب كانوا يستخدمون الخيول الصغيرة الضامرة السريعة العدو وهذه حققت لهم سرعة الحركة أشبه بما تحققه الفرق الميكانيكية السريعة الحركة فى الحرب الحديثة .

هذا كما أن فن العرب الحربى الذى عرفوه فى صجراتهم والذى يعرف بالكروالفر حقق للعرب ما يمكن أن يشبه بالضرب غير المباشر الذى حققته المدفعية فى الحروب الحديثة . وهذا النوع من الحرب كان غريباً على القوات الفارسية والبيزنطية التى كانت بطيئة الحركة مثقلة بالسلاح من ذلك ما ستراه من أن القوات الفارسية كانت تربط أفرادها بعضهم الى بعض بالسلاسل . هذا كما أن عرب فارس كانوا يقولون " العرب أعرف بقتلناال العرب " .

ومن الناحية الاجتماعية كانت المجتمعات البيزنطية والفارسية مجتمعات طبقية من الطراز المتطرف فقد كان هناك الملك الأعظم كسرى وبعده طبقات كبار القواد وكبار رجسـال الدولة ورجال الكنيسة وصغار الناس من الأحرار والعبيد بمعنى أنه كان مجتمعاً متنافراً تمام التناثر ومن الناحية الدينية كانت هناك اختلافات دينية كثيرة ففى بيزنطة كان هناك نزاع

بين أصحاب فكرة الطبيعة الواحدة وبين أصحاب ثنائية السيد المسيح أصحاب الطبيعة الالهية والانسانية معا .

وفى فارس كان هناك صراع بين الزرادشتيه والمانوية والمزدكية وهى الديانات الشرقية القديمة المبنية على فكرة ثنائية الوجود وهى أن العالم مبنى على فكرة الصراع بينين الخير والشر الخير يرمز له بالنور والشر يرمز له بالظلام .

ومن الناحية العسكرية كان الموقف أيضا مضطرب فهناك قوات كبيرة العدد لكنها مثقلة بالسلاح والعتاد مما يسبب لها نوع من البطء فى الحركة كذلك معنويات فير مرتفعة على هذا الأساس يمكن أن نفسر المعجزة التى حدثت والتى حققت للعرب التفوق على الامبراطوريتين العظيمتين ذلك الأمر الذى حير مؤرخى العصور الوسطى والذى لايزال حتى اليوم موضوع جدل بالنسبة للكتاب .

والى جانب هذا وذاك نجد كل من الدولة الفارسية والدولة البيزنطية عمل على أضعاف الآخر وقد استمرت الحرب بين الامبراطوريتين فترة طويلة حقيقة أن الحرب بين بيزنطة وبين فارس انتهت بانتصار شبه نهائى للدولة الرومانية وانتهى الأمر بدخول هرقل سنة ٦٢٨ المدائن وحرب قصر الأكاسرة . ولكنه رغم هذا النصر الذى حققته الدولة البيزنطية فانها أضعفت

معنويات الجند والقوات وربما كان للسياسة الدينية التي مزقت الدولة آثارها على ضعف معنويات الرجال والحقيقة أن اشراك الدولة لولاياتها في تلك المنازعات الدينية كان سببا من أسباب الثورة والتباعد بين هذه الولايات وبين بيزنطة وخاصة ولاية الشام .

وفيما يتعلق بفارس فإنه بعد الكوارث العسكرية التي لحقت بها نجد أن الدولة تمر بأزمة داخلية عصبية هذه الأزمة الداخلية تتمثل في أنه خلال فترة قصيرة امتدت من سنة ٦٢٩ الى ٦٣٢ جلس على عرش الأكاسرة ثمانية ملوك وأخيرا رفع النلاء الى عرش فارس كسرى يزدجرد الثالث وهو آخر ملوك آل اساف . هذا كما أنه كان لقضاء فارس على الدولة العربية الهائلة على تخومها الغربية وهي دولة الحيرة آثارا الوخيمة على الدولة إذ انكشفت حدودها من هذه الجهة لم تستطيع أن تقف أمام الغارات التي أخذ يقوم بها العرب وتمكن العرب من احراز انتصارات لامعة على الجيش البساساني النظامي ومسح اسم تلك الانتصارات وقعة ذي قار .

هذا التمهيد نبدأ بعده الكلام على الفتوح نفسها وأول

الفتوح هو :

فتح العراق :

رأينا أن عرب الحيرة كانوا قد بدأوا الصراع ضد الدولة الفارسية وكان من هؤلاء العرب بنو بكر نسبة الى بكر بن وائل الذين كانوا ضمن العرب المقيمين على حدود الدولة الفارسية وكانوا قد دخلوا في الاسلام وعندما بدأت حركة الردة ارتدت جماعات منهم عن الاسلام ولكن بالبقية ظنت راسخة العقيدة وعملت على ارجاع المنشقين عن الاسلام والدخول في حظيرة الدولة ورأى زعيم البكريون المسمى المثنى بن حارثة أن يشرك العرب المسلمين معه في غاراته على العراق وتمكن فعلا من الحصول على موافقة الخليفة ابي بكر الذي أرسل اليه جيشا على رأسه أمهر قواد العرب وهو خالد بن الوليد وكان على خالد أن يقوم بقيادة وإدارة العمليات الحربية واتجه بقواته نحو مملكة اللخميين القديمة بالحيرة وتمكن من الاستيلاء على مدينة الحيرة نفسها وخضع زعيمها الذي كان يدين بالمسيحية الى المسلمين ووافق على دفع الجزية . ولكن حاكم الولاية الساساني وهو هرمز حاول أن يدافع عن ولايته فجمع كل قواته ووقف أمام العرب ولكنهم انهزم في موقعة تعرف عند الكتاب العرب باسم (يوم السلاسل) . وذلك لأن الفرس كانوا قد اقترنوا بالسلاسل لثلا يفرّوا واستولى المسلمون على مغانم عظيمة كما أنهم استطاعوا أن يهزموا جيشا ساسانيا آخر كان قد جاء لنجدة المنهزمين على عجل . وبعد أن

حقق خالد هذا النصر آتته الأوامر من الخليفة بترك جبهة العراق والمسير الى بلاد الشام فترك خالد المثنى بن حارثة على ضفاف الفرات واخترق هوبادية الشام فى رحلة غريبة يطنب الكتاب فى وصفها وفى مقدرة خالد الكبيرة فى قيادة الرجال واختراق الفيافي .

فتوح الشام :

مثل هذا يمكن أن يقال من فتح بلاد الشام أيضا وعن فتح فلسطين بمعنى أن الفتح قد تم حسب الظروف وحسب مقتضى الأحوال هذا ولو أننا لانعرف بالضبط كيف بدأت القوات العربية الاسلامية تسير الى بلاد الشام وهنا يمكن أن نفكر فى أن فتح الشام يمكن أن يكون استمرار للخطة التى بدأت تتضح معالمها على أيام الرسول لأننا رأينا كيف سار عدد من سرايا الاسلامية أمام الرسول الى تخوم بلاد الشام .

بدأ أبو بكر يسير السرايا من المدينة نحو الشمال وكانت هذه السرايا تبلغ الآلاف من الرجال بمعنى أنها كانت أشبه ما تكون بحملات كبيرة ووضع الخليفة على رأس هذه السرايا عدد من كبار الرجال من الصحابة وخاصة من أولئك الذين اظهروا كفاءة عسكرية فى حروب الردة من هؤلاء عكرمة بن أبى جهل وخالد بن سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح ومن أشهر القواد المسلمين الذى ساروا الى الشام يزيد بن أبى سفيان

الذى لحق به أخوه معاوية . هذا الأمر له أهمية كبيرة لما
سيترتب عليه من النتائج فى تقرير مصير بلاد الشام كما سنرى
فيما بعد .

ومندما بدأت هذه السرايا العربية تجتاز حدود الدولة
الرومانية حشد حاكم قيصرية الرومانى وهو البطريك سرجيوس
قواته بسرعة واندفع محاولا قطع الطريق على العرب والتقوى
الطرفان بموضع يعرف (بالعربة) غربى البحر الميت . وكان كارثة
بالنسبة للجيش البيزنطى وكان قائد هذه الواقعة هو يزيد بن أبى
سفيان .

واعقب ذلك لقاء القوات الغربية بالقوات البيزنطية فى
واقعة ثانية تعرف بدائن ودائن موضع غير بعيد من غزة . وانتهت
الواقعة بهزيمة البيزنطيين وبقي البطريق سرجيوس على أرض
المعركة وأخذ العرب مغانم وأسلاب كبيرة وكانت هذه الانتصارات
تعنى انفتاح أبواب فلسطين أمام القوات العربية . عندئذ
وجدت حكومة الشام البيزنطية أن الأمر لا يتعلق بمجرد غارة من
الغارات التقليدية التى كان يقوم بها العرب على حدود الدولة
وعلى ذلك أخذت الحكومة تحشد قوات أكبر من القوات السابقة
ولكننا سنجد أنها لن تكون أكثر خطرا . وأمام الحشود
البيزنطية رأى العرب أن يطلبوا النجدة من المدينة وأرسل

لهم ابو بكر الامدادات كما أنه بعث الى خالد بن الوليد يأمره بترك ميدان القتال في العراق والتوجه الى بلاد الشام لمساعدة أخوانه هناك . وحقق خالد بن الوليد المع انتصاراته على القوات البيزنطية وذلك في موقعة تعرف بأجناديين التي تعتبر من المواقع الفاصلة في فتوح الشام ويمكن أن نحدد موقع أجناديين هذه في موضع بين مدينتي الرملة وبيت جبرين على بعد حوالي خمسة وعشرين كيلومتر جنوب غربى بيت المقدس . وقبل أن ينتهى شهر من هذا الانتصار الكبير توفى الخليفة أبوبكر.

خلافة عمر بن الخطاب

وعلى أيام عمر ستستمر الفتوح ولكن بشكل أكبر وبطريقة أكثر تنظيماً . يفهم من روايات المؤرخين العرب أنه عندما شعر أبو بكر بمرضه الذي مات فيه اختار عمر بن الخطاب لكي يوم الناس في الصلاة وكان ذلك يعني أنه يرشح عمر لكي يختاره المسلمون بعده للخلافة . والحقيقة أن شخصية عمر كانت شخصية قوية طاغية ويمكن أن يقال أن عمر لم يكن في حاجة إلى ترشيح أو تزكية فلقد رأينا أنه هو الذي وجه الانظار نحو أبي بكر يوم السقيفة وكان يمكن لعمر أن يأخذ الخلافة لو أنه أراد ذلك في هذا اليوم .

ونلاحظ أنه عندما اختير عمر للخلافة لم تقم ضده معارضة وذلك رغم ما عرف عن عمر من صفات شخصية عنيفة فهو لا يعين شرف الملاطفة وهو يمتاز بصراحة في الحق وشدة وصلابة ربما لم تجعله محبوباً في أعين عامة الناس .

والحقيقة أن قوة شخصية عمر وصفاته العنيفة هذه كانت لازمة في ذلك الوقت العصيب الذي انتابت فيه الجماعة الإسلامية ما يمكن أن يشبه بازمة التوسع الكبير . وإلى جانب ما عرف عن عمر من العنف والشدة كانت له من المزايا ما جعله رجل دولة من الطراز النموذجي فهو يحسن التقدير ثم إنه واقعى إلى

حد كبير حازم في تصميمه ثم ثم أنه عرف بالتفاني من أجل مصلحة الجماعة . ويمكن القول أن عمر بعد أن ولى أمر الخلافة سار على نفس المنهاج الذى سار عليه أبو بكر وذلك أن عمر شارك مشاركة فعلية في إدارة شؤون الدولة حتى أطلق بعض الكتاب الأفرنج وهو لأمس على خلافة أبى بكر اسم حكومة الرجال الثلاثة فهو يعتبر أن عمر وأبى عبيدة كانا شريكين فعليين لأبى بكر . بل يمكن أن يقال أن خطة الفتح كانت من عمله هو أولا وقبل كل شيء وعلى ذلك فعندما اعتلى كرسى الخلافة واصل نفس العمل الذى بدأه أبو بكر ولكن بشكل أدق وعلى نطاق أكبر . وبطبيعة الحال استمرت الحرب فى نفس الجبهتين فى جبهة العراق وفى جبهة الشام ويلاحظ هنا أنه لا يمكن أن نرتب الحوادث ترتيبا دقيقا والحقيقة أن هذا لا يرجع الى قلة المعلومات فى بعض الأحيان بل ربما كان الأمر على العكس من ذلك ففى كثير من الأحيان تكشف المعلومات ولكنها تتضارب وتختلط بشكل يجعل من الصعب تنظيمها والذى سنلاحظه هو أن فتح فارس لن يتم دون صعوبات إذ سيلقى العرب كثيرا من المقاومة كما ستعترضهم بعض العقبات الطبيعية من الانهار ومن الجبال وهذا ما لم يصادفوا مثله فى بلاد الشام .

فى كتابه " مروج الذهب ومعادن الجوهر " (١)

وبمقتل أبى عبيد انهزمت القوة العربية وعادت لكى
تعبر النهر على جسر القوارب فانقطع أمام اندفاعهم فكان من
غرق فى النهر أكثر ممن قتل فى الواقعة . ولهذا السبب عرفت
الموقعة بواقعة الجسر .

وماد المثنى بن حارثة بالناجين عبر الجسر بعد أن أعيد
أصلحه وكان ذلك الانهزام يعنى خطورة موقف العرب فى العراق
ولكنه من حسن الحظ أن الاحوال الداخلية اضطرت فى مركز الدولة
وتطلب الأمر استدعاء القائد الفارسى يمين الى المدائن وكان
فى ذلك هدنة للعرب تمكنوا فيها أن يلموا شتات قواتهم واستطاع
المثنى بن حارثة أن يحرز انتصارات أخرى بالقرب من الحيرة . فى
هذا الوقت كان يمكن للعرب أن يعودوا الى صبور الفرات من جديد
والتوجه نحو العاصمة الفارسية المدائن ولكنهم لم يفعلوا ذلك
لأنه وصلتهم أنباء عن حشد الدولة الساسانية لقوات جديدة فتطلب
الأمر طلب المثنى بن حارثة المدد من المدينة . دعا الخليفة
عمر الناس الى الجهاد وتجمع الناس فى أعداد وفيرة منهم من
أتى طلباً للجهاد ومنهم من أتى طمعاً فى المغنم فالنصيقة—ول
" وكان الناس ما بين محتسب وطامع " وتقول النصوص ان عمر بن
الخطاب فكر فى أن يقود هو القوات بنفسه نحو فارس فخطب الناس
وقال " أيها الناس أنى كنت عازماً على الخروج معكم وأن ذوى

(١) انظر السعوى ، مروج الذهب، طبع ببيروت سنة ١٩٧٠م ، ص ٣٥٠ ، ص ٥٦١
والسعودى ينقل عن الواقدى فى كتابه " فتوح الامصار " .

المشورة والرأى منكم قد صرفونى عن هذا الرأى وأشاروا بأن
أقيم وأبعث رجلا من الصحابة يتولى أمر الحرب "وعهد بقيادة
هذه القوات الى الصحابى المشهور سعد بن أبى وقاص .

وقعة القادسية :

وعندما وصل سعد الى العراق لم يتهور فى الحرب مع الفرس
بل انه أخذ يستشير زعماء العرب الذين اعتادوا الحرب مع الفرس
منذ أزمان بعيدة وبناء على نصائح هؤلاء تقرر الانسحاب من الحيرة
واتخاذ موقف دفاعى وتقابل الجيشان الفارسى والعربى قرب مدينة
القادسية القديمة على بعد حوالى ثلاثين كيلومتر من الكوفة أى
فى جنوب منطقة النجف . وهذه المنطقة غنية بالعيون والمياه
وكانت عامرة فى القديم حيث وجدت العاصمة اليبالية القديمة
وظل الجيشان يراقب أحدهما الآخر طوال عدة شهور . وخلال هذا
الانتظار دارت المفاوضات بين العرب والفرس قام فيها المغيرة بن
شعبه بدور السفير لسعد بن أبى وقاص مع رستم وقواده وانتهت
المفاوضات بالفشل وانتهى الأمر بالتحام الجيشين . ويصف الكتاب
الحرب الجيش الفارسى وصفا رائعا فهناك رستم القائد الأعلى
يحيط به خمسة من كبار القواد عليهم حل الديباج وغالى السلاح
وفى مقدمة الجيش فرقة الفيلة المعروفة ولكنه يظهر أن الامبراطورية
فى ذلك الوقت لم تستطع أن تحشد الا جوالى ثلاثين فيلا فقط وعلى
هذه الفيلة تحمل الأبراج وفى داخل الأبراج الرجال ومعهم السهام

وحول الفيلة مجموعات من الرجال لحماية الفيلة . وكان
الجيش الفارسي يحمل راية كسرى العظيمة المصنوعة من ~~جلود~~
النمور والمرصعة بالجواهر الغالية والتي لم تكن تظهر الا في
المناسبات الكبرى وفي مواجهة هذا الجيش العظيم وقف الجيش
العربي في بساطته المعهودة فالناس في صفوف منتظمة وقس
المقدمة يقرأ الناس آيات القرآن التي تحض على الجهاد
وأحاديث الجهاد وأيضا ينشد الشعراء أشعار الحماسة . وخلف
الرجال كانت تقف النساء من أجل تحميس الرجال ودفعهم إلى
حسن القتال إلى جانب استعداد النساء لمواساة الجرحى
وتضميد جراحهم .

واستمر القتال لمدة ثلاثة أيام وأخيرا وصلت الامدادات
من الجبهة الشامية إلى سعد وأصحابه في القادسية وكان ذلك
سببا في رجحان كفة العرب وعلى ذلك وبعد معركة دامية انتهت
يوم القادسية بفرار الجيش الفارسي ولقى رستم حتفه وأخذ
العرب راية الامبراطورية الكبرى المعروفة بالدرفشان . وعلى ذلك
كانت موقعة القادسية من المواقع الفاصلة وكان يمكن للعرب
أن يسيروا إلى العاصمة مباشرة ولكنهم وجدوا من حسن السياسة
التأني بعض الشيء وتأسيس قواعد أو مدن عربية لهم في العراق
وفعلا تم بناء المدينتين المشهورتين البصرة على شط العرب
والكوفة في جنوب خرائب مدينة بابل القديمة وهي غير بعيد :

من الفرات وستصبح كل من المدينتين مركزا لانتشار الاسلام والعروبة الى جانب كونها قاعدة امامية للعرب تمكن لهم أن يواصلوا التقدم في جنوب الامبراطورية الفارسية وستفتح هذه السياسة تقليدية عند العرب في الأمصار التي ستفتح فيما بعده.

وبعد القادسية ستصبح قصة فتح فارس عبارة عن سلسلة من الانتصارات المتوالية التي يحررها العرب على القوات الفارسية المنسحبة أو المنهزمة نحو الشرق . ومن أشهر الوقائع موقعة نهاوند بالقرب من همدان نظرا لأهمية هذه الواقعة يطلق عليها الكتاب " فتح الفتوح " . وأخيرا سينتهي فتح فارس في سنة ٣٦ هـ . على أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان وذلك بمقتل آخر ملوك آل ساسان وهو يزدجرد الثالث في مدينة مرو الشاهجان .

الدور الثاني من فتوح بلاد الشام :

إذا ما قارنا فتح بلاد الشام وبلاد فارس نجد أن العرب لم يلقوا صعوبات كثيرة كتلك التي لاقوها في بلاد فارس فقد سقطت بلاد الشام دون جهد كبير وقد رأينا كيف انتصر خالد بن الوليد والعرب في واقعة أجنادين التي حدثت قبيل وفاة أبي بكر وكان من نتائج هذه الواقعة هو انفتاح أبواب فلسطين أمام المسلمين ولقد جاءت الامدادات الى القوات الرومية البيزنطية ولكنها لم تستطع أن توقف تقدم المسلمين الذين اتتهم الامدادات بدورهم فازدادت قواتهم عددا وأصبحت أكثر نظاما وعلى ذلك

بان العرب لم يكتفوا بالغارات التقليدية بل كان هدفهم مسن الحرب هو الاستقرار فى البلاد.

وفى سنة ١٤ وصل العرب الى أسوار دمشق وبدأوا فى حصار المدينة ولكنهم لم يتمكنوا من احداها عنوة نظرا لبساطة معداتهم وقلة امكانياتهم فى حروب الحصار ولكنه بعد عدة أشهر كمنادات السامية أن تستسلم اذ خرج أسقف المدينة لمفاوضة العرب ولكن لم يقدر لهذه المفاوضة أن تنتهى بالاتفاق اذ رأى العرب أن بيزنطة تحشد قوات كبيرة وعلى ذلك رأوا أن ينسحبوا الى منطقة الجابية فى جنوب دمشق . وتجمعت القوات البيزنطية وتقدمت نحو العرب فانسحبوا الى موضع على الضفة الجنوبية من نهر اليرموك وهو أحد روافد نهر الأردن . ورغم أن الجيش البيزنطى كان كبير العدد اذ حوى ما يزيد عن ثلاثين ألف رجل الا أنه لم يكن حسن التنظيم اذ اضطربت بعض عناصر هذا الجيش وخاصة من الأرمن الذين أعلنوا الثورة ونادوا بسقوط الامبراطور هذا كما كان الجيش فى يشمل عددا من عرب بلاد الشام عرب الغساسنة الذين كانوا دمة الدولة وهؤلاء عندما التقى الجيشان لم يروا محاربة بناءً عمومتهم أو اخوانهم العرب المسلمين بل حاربوا بفتر بل أنهم انهزموا فكان ذلك سببا فى انهزام القوات البيزنطية جميعا وقتل قائد الجيش البيزنطى وهو تيودور بينما تقدم العرب ليطاردوا الهاربين فى كل أنحاء بلاد الشام وعلى ذلك انفتحت

أبواب البلاد من جديد أمام القوات العربية . وبعد اليرموك استسلمت مدينة دمشق كما خضعت للعرب حلب وانطاكية وبعدها ذلك بسنتين فتحت بيت المقدس التي كانت محاصرة أبوابها للعرب وجاء الخليفة عمر في ثيابه البسيطة لتسلم مفاتيح المدينة .

وبدأ عمر منذ ذلك الوقت يعمل على تنظيم الإدارة في البلاد المفتوحة ثم انه جاء وباء شديد فتك بكثير من العرب وقضى على عدد كبير من كبار الرجال منهم يزيد بن أبي سفيان وأبو عبيدة وكان يزيد قد عين واليا لمدينة دمشق . وعلى ذلك فان عمر بن الخطاب عين أخاه معاوية بدلا منه ومنذ هذا الوقت بدأ معاوية يثبت أقدامه في دمشق وفي بلاد الشام حتى انتهى به الأمر كما سنرى فيما بعد بنقل الخلافة الى دمشق وفي سنة ١٩ هـ سقطت مدينة قيسرية ويعتبر سقوطها نهاية فتح بلاد الشام وفي هذا الوقت صعد العرب على طول الفرات واحتلوا مدينة الموصل فكان ذلك بداية فتح ارمينية فعلا سقطت عاصمة ارمينية وهي مدينة دوين بين أيدي العرب في سنة ٢٢ هـ .

فتح مصر :

يتضح من روايات الكتاب القدامى أن عمرو بن العاص كان شديد الحرص على فتح مصر ، بينما كان الخليفة عمر متردداً بعض الشيء وهذا أمر طبيعي فالمسؤولية تقع في آخر الأمر على عاتق الخليفة . ولكنه رغم ذلك فإن هذا التردد من جانب عمر يبين أن جزءاً كبيراً من الفضل في التوسع الاسلامي يرجع إلى القواد وكبار رجال الدولة الذين وجدوا في ميادين الأحداث .

وعلى كل حال خرج عمرو بن العاص من الشام في سنة ١٨هـ متجهاً نحو مصر ولأشك أن الخليفة كان على علم بمقصده إذ أن فتح مصر كان ضرورة استراتيجية للمسلمين بعد أن انتزعوا بلاد الشام من بيزنطة هذا إلى جانب ما يمكن أن يفهم من أن عمرو بن العاص ربما ساءه أن آلت ولاية الشام إلى معاوية بن أبي سفيان بعد وفاة أخيه يزيد فأحب أن يكون فتح مصر من نصيبه ويفهم هذا مما يقوله بعض الكتاب من أن عثمان نصح عمر وقال له : "أن عمراً جريئاً يجب الامارة وأنه يخشى أن يتعرض المسلمون معه للهلكة " .

وتقدم عمرو بقواته الصغيرة التي لم تتجاوز الخمسة آلاف رجل وهو مطمئن تمام الاطمئنان وذلك أنه كان على علم بأحوال مصر المضطربة وما كانت عليه من الضعف العسكري وفعلاً

صدقت فـراسة عمرو واستطاع بقواته دخول الفرما (قريـبة من مدينة بور سعيد الحالية) • دون مقاومة وتقول النصوص " أن القبط ساعدوا عمرو وكانوا أشبه ما يكونون بقوات مساعـدة للجيش العربى وتقدم عمرو بعد ذلك نحو بلبيس دون أن يجد الا مقاومة ضعيفة وانتهى به الأمر الى الوصول الى قلعة بابليون فى المكان الذى توجد به القاهرة الآن وحيث كان يقيم حاكم مصر الذى يعرفه الكتاب العرب باسم المقوقس • ووجد عمرو أنه من الصعب على قواته الصغيرة وما كان لديه من القوات البسيطة الاستيلاء على الحصن فبعث الى المدينة يطلب المدد من الخليفة فسير عمر مددا يبلغ حوالى أربعة آلاف رجل على رأسهم الصحابى المشهور الزبير بن العوام وكما حدث فى فارس ظن المقوقس أن العرب انما جاءوا فى غارة عادية من تلك الغارات التى كانوا يقومون بها ولكنه عندما وجد اصرارهم على القتال رأى أن يفاوضهم من أجل الانسحاب وعرض عليهم أن يدفع لهم مبلغا من المال وعرض المسلمون شروطهم المعهودة من الدخول فى الاسلام أو دفع الجزية أو الحرب وانتهت المفاوضات بالفشل وتمكن العرب من الانتصار فى واقعة تعرف " بعين شمس " واستولوا على بعض قلعة بابليون وتنسب الروايات فضل هذا النصر الى ما أداه الزبير ابن العوام من شجاعة وجـرأة شخصية •

واضطر والى مصر الى الخضوع للأمر الواقع وقبل الشىروط التى فرضها العرب وتمت اتفاقية تقضى بدفع الجزية بمقدار

ديناريين على كل رجل وصار المفوس الى القسطنطينية ليحصل على موافقة هرقل ورفض الامبراطور الموافقة على الصلح بسبب أنه غضب على المقوقس وأمر بنفيه وفي هذه الأثناء تم الاستيلاء على حصن بابليون وكان هذا يعنى انفتاح الطريق أمام العرب الى النيوم والصعيد ولم يبق أمام عمرو سوى الاسكندرية وكان يترأى أن المدينة الكبيرة المفتوحة على البر ستقاوم العرب بفضل أسوارها وتحصيناتها وفعلا وقف العرب أمامها حوالي سنة وذلك الى أن عاد المقوقس وكان هرقل قد اقتنع بوجهة نظره ومال الى قبول مبدأ المفاوضة وكانت العلاقات قد مزقت الاسكندرية فانهى الأمر باستسلام المدينة صلحا وتقررت عليها جزية ولكنها تختلف عن جزية بابليون وذلك أنه اشترط أن يدفع كل حسب مقدرته ومالديه من الزرع والارض وتم الاتفاق على أن يرحل الروم عن المدينة والا يعودوا اليها أبداً وفى أثناء حصار الاسكندرية نشبت بعض الحرائق فى المدينة وربما أتت على بعض الكنائس وهناك بعض الروايات التى تقول أن العرب احرقوا فى هذا الوقت مكتبة الاسكندرية المشهورة ولكن هذا الرأى لا أساس له من الصحة فهو لم يظهر عند الكتاب الا فى وقت متأخر بينما لانجد لمثل هذا الحريق أى اشارة عند قدامس الكتاب .

وترك عمرو بالاسكندرية حامية عربية ثم انه عاد الى موضع بابلليون حيث بدأ فى بناء مدينة عربية جديدة لتكسبون عاصمة للبلاد ومركزا اسلاميا وقاعدة عسكرية يمكن للعرب أن يواصلوا منها التقدم نحو المغرب . وبدأ عمرو باختطاط المسجد الجامع وأطلق على المدينة اسم " الفسطاط " فهذه الكلمة تعنى المعسكر . وقد عرف الجامع باسم جامع عمرو واسم الجامع العتيق وذلك على نفي النسق الذى بنى عليه مسجد النبى فى المدينة وهو النموذج للمسجد العربى كما قلنا . والى جانب المسجد الجامع بنى عمرو دار الامارة ثم انه قسم الأرض فيما حول المسجد ودار الامارة الى خطط وزعها على القبائل العربية التى استقرت فى المدينة . هذا بينما نزلت بعض القبائل العربية فى الموضع الذى عرف باسم الجيزة . وهذا المسجد مع مرور الوقت كان موضع عناية الولاة والأمراء على مر الأيام فأخذ يزداد حتى اتخذ شكله الأخير فى أوائل القرن الثالث الهجرى .

فتح المغرب :

وبعد فتح مصر كان من الطبيعى أن يوجه عمرو بن ال نظاره نحو المغرب نحو برقة وطرابلس وذلك لتأمين حدود الغربية وفعلا لم تكد الاسكندرية تسقط فى سنة ٢١ هـ حتى و، عمرو مسيرة نحو المغرب وتم له فتح

برقة بسهولة فى سنة ٢٢ هـ واتبع ذلك بفتح مدينة طرابلس
وفيما بين الفتحين سير احد قواده وهو عقبة بن نافع الفهري
نحو الصحراوات الجنوبية ففتح فزان وودان وتوغل جنوبا فى
الصحراء حتى واحة زويلة وبذلك اصبح ما بين برقة وزويلة
للمسلمين . وهكذا تم فتح مصر وآمنت حدودها الغربية على
آواخر أيام الخليفة عمر بن الخطاب .

تنظيم الدولة على ايام عمر :

لا يعتبر عمر بن الخطاب مؤسس الدولة العربية فـلـقـط
وبطل توسعها العكسرى بل يعتبر ايضا صاحب الفضل فى وضع
نظمها وكان لابد فعلا من وضع هذه التراتيب والنظم وذلك
أن دولة المدينة الصغيرة اتسعت اتساعا كبيرا وشملت أقاليم
غنية كبيرة وشعوب ذات حضارات عريقة وعمر هو صاحب هذه النظم
ولكن هذا لايعنى أنه قلب الأوضاع رأسا على عقب أو أنه أتى
بنظم جديدة تمام الجدة ولكن الذى حدث فعلا هو أنه نقل
النظم التى كانت معروفة فى الشام وفى مصر وفى بلاد الفرس
ولكنه عدلها بحيث تتلاءم مع مبادئ الاسلام ويبالغ بعض الكتاب
فى نسبة كثير من النظم والتراتبى الادارية الى الخليفة عمر
بن الخطاب حتى أنهم ينسبون اليه الكثير من تلك التراتيب
التى لم تعرفها الدولة العربية الاسلامية الا فى وقت متأخر
نسبيا . وهدف الكتاب من ذلك هو اعطاء هذه النظم المتأخرة

نوعاً من الأصالة والصحة بنسبتها الى عمره.

وأول التجديدات التي أدخلها عمر هو تنظيمه للأرض في البلاد المفتوحة فالأرض في البلاد المفتوحة كان يمكن أن يمتلكها المسلمون خصوصاً إذا ما كانت قد فتحت فتح عبوة (بالقوة) لكنه اتضح انه من الأفيد للجماعة الإسلامية أن تترك الأرض بين أيدي فالحية وخاصة أن العرب لم يكونوا قد خبروا فن الزراعة وذلك في نظير دفع الضريبة السنوية المعروفه باسم الخراج.

وهذه الضريبة تختلف بطبيعة الحال عن ضريبة الجية وهي ضريبة الرؤوس . وإلى جانب الاموال الآتية من الخراج والجزية كان هناك ما يعرف باسم الفىء والفىء هي الاموال التي تأتي الى الجماعة الإسلامية على أيام السلم على عكس الاموال التي تأتي عن طريق الحرب والتي تعرف بالمغانم هذا ما كان يأتي الى بيت المال من جماعة غير المسلمين .

أما عن جماعات المسلمين فكانت تدفع ضريبة الزكاة ولم يكن المسلم يدفع غيرها من الضرائب والزكاة كما قلنا تنقسم الى اجبارية وإلى اختيارية يسموها صدقة انما الضريبة الأصلية. تؤخذ على رأس المال وفيما بعد عندما ستتطور النظم

سيدفع المسلمون ضريبة الخراج ^(١) كما ستحدث ضريبة أخرى

(١) الخراج : والخراج هو مقدار معين من المال أو الحاصلات، ويغرض على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة ، إذا عدل الخليفة عن تقسيمها على المحاربين ووقفها على مصالح المسلمين بعد أن يعوض المحاربين عن نصيبهم فيها أو يسترضيهم كما فعل عمر بن الخطاب . ويؤخذ عن الأرض التي أفاء الله بها على المسلمين فملكوها وما لحوا أهلها على أن يتركوهم فيها بخراج معلوم يؤدونه إلى بيت مال المسلمين .

وكان الخراج أما شيئاً مقدراً من مال أو غلة كما صنع عمر بن الخطاب في أرض السواد ، وأما حصة معينة مما خرج من الأرض . ويطلق على ذلك المعاملة أو المزارعة ، كما عامل النبي أهل خيبر على نصف ما يخرج من الأرض قليلاً كان أو كثيراً .

وقد اختلف المؤرخون في تقدير الخراج ، فقصره بعضهم على جزية الرؤوس التي فرضت على أهل الذمة ، وقصره غيرهم على ضريبة الأرض . وكل منهما يخالف ما جرى به عرف الرواة الذين تحدثوا عن مقدار الخراج في الولايات . فهم يالخراج المال الذي يأتي من إحدى ناحيتين : الأولى . الضرائب الشخصية المعروفة بالجزية الرؤوس ، الثانية ضرائب الأضيان . لذلك اختلف المؤرخون في تقدير الخراج .

ولم يكن الخراج إيراداً ثابتاً للدولة ، إذ كانت ضريبة الأضيان تقل وتكثر حسب الاهتمام بالتعمير وإصلاح الجسور والخلجان وتحسين وسائل الري ، كما أن جزية الرؤوس كانت تتناقص بالتوالي لدخول أهل الولايات الإسلامية في الإسلام . انظر الماوردى ، الأحكام السلطانية ، حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ، ص ٤٦١ - ٤٦٣ .

تسمى العشر (١) .

وترتب على هذا التنظيم أن أصبح المجتمع في داخل الدولة العربية يتكون من طبقات من الناس أولها طبقة العرب وهؤلاء يكونون ما يمكن أن يشبه بطبقة من الأعيان تشتغل بالحروب والسياسة والإدارة فقط .

ويلى العرب طبقة من أهل البلاد الذين دخلوا في الاسلام وهؤلاء عرفوا باسم الموالى (٢) .

(١) العشر: وكانت هناك ثلاثة أنواع من الاراضى لا يفرض عليها الخراج ، وانما يدفع عنها أصحابها عشر ثمارها وغلاتها وتسمى الارض العشرية . وقد ذكر الماوردى هذه الأنواع فقال :

١ - الارض التى أسلم أهلها وهم عليها بدون حرب ، فهذه كانت تترك لهم على أن يدفعوا عنها ضريبة العشر زكاة ، ولا يجوز بعد ذلك أن يوضع عليها خراج .

٢ - الارض التى ملكها المسلمون عنوة اذا قسمها الخليفة على الفاتحين ، فهذه تعتبر أرض عشر ولا يجوز أن يوضع عليها خراج .

٣ - الارض التى كانت تؤخذ من المشركين عنوة ، وهذه تعتبر فنيمة تقسم بين الفاتحين فيملكونها ويدفعون عنها العشر من غلتها ، وحينئذ تكون أرض عشر لا يوضع عليها خراج
أنظر ، الماوردى ، الأحكام السلطانية

(٢) المولى : الحليف ، وهو من انضم إليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك والمولى مولى الموالاة وهو الذى يسلم على يدك ويواليك .

والمولى : مولى النعمة وهو المعتقد أنعم على عبده بمفهومه - والمولى اسم يطلق في عهد الدولة العربية على أهل الامصار المفتوحة الذين دخلوا في الاسلام لانهم يدينون بالولاء للعرب . انظر ، ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، اعداد وتصنيف يوسف خياط ، طبع بيروت ، المجلد الثالث ، ص ٩٨٥ .

بعد هذا تأتي طبقة ثالثة هي طبقة أهل البلاد الذين ظلوا على دياناتهم الأصلية وهؤلاء أصبحوا أهل ذمة لهم الحق في المحافظة على عقيدتهم ولهم الحق في ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية والدولة كفيلة بحماية كنائسهم ومعابدهم وذلك في نظير دفع الضرائب المقررة عليهم. "ضريبة الجزية والخراج" والحقيقة أن طبقة أهل الذمة هذه عرفت حالة مدنية أحسن بكثير من تلك التي عرفت قبل مجيء العرب على أيام الدول السابقة . والضرائب التي كان يدفعها أهل الذمة كانت ضرائب محتملة ولم تكن ثقيلة . في أول الأمر كما رأينا كانت ضريبة موحدة على جميع الناس ولكنه سيتضح فيما بعد أن هذا التنظيم سيحتاج إلى شيء من التنظيم فسيتغير الوضع النهائي ما يمكن أن يشبه بضريبة تصاعدية حسب القوة الاقتصادية للشخص

وبفضل هذه الأموال التي كانت تتدفق على الدولة من مواردها المتنوعة هذه فكره الخليفة في تنظيم توزيعها بعد أن كان ذلك يتم حسب مقتضى الظروف والأحوال وعمر هو الذي نظم توزيع هذه الأموال عندها أنشأ ما يعرف عند الكتاب باسم الديوان اذ يقال انه أتى إليه بالمدينة مال كثير فخرج الناس إلى المسجد وقالوا له أن شئتم عدت لكم هذا وإن شئتم كلت لكم كيلا فقال له أحدهم لو عملت لك يا أمير المؤمنين ديوانا كما يعمل الفرس فعملوا

نقرر عمر عمل الديوان (سجل أو دفتر) . وقسم الناس إلى طبقات حسب القرابة للنبي صلى الله عليه وسلم وحسب السابقة في الاسلام . بطبيعة الحال للطبقات المتقدمة الأولى أرزاق أكبر من الطبقات المتأخرة . وهذا الديوان لم يكن يستطيع ارضاء جميع المطالبين بالحصول على الأرزاق والرواتب واتضحت فيه شغرات لعمر حتى أنه يقال أنه قرر أن يعيد تنظيمه من جديد ولكنه وافته المنية وذلك عندما اغتيل أو طعن بيدي رجل من الموالى يسمى أبو لؤلؤة وكان غلاما للمغيرة بن شعبة . ويمكن الى حد فئ الربط بين مسألة توزيع الأموال وتنظيم الديوان وبين قتل الخليفة فهناك بعض الروايات التي تجعل السبب في مقتله عمر هو سخط بعض الناس على طريقته في توزيع الأموال .

وعندما قتل عمر لم يكن قد ترك وصية خاصة بمن يخلفه في رئاسة الدولة ولكنه كان قد عين ستة من الناس جعل حق الامامة والخلافة لواحد منهم حسب اختيار الناس هؤلاء الستة هم : على وعثمان وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله واشرك معهم ابنه عبد الله بن عمر على ألا يكون له من الأمر شيء بمعنى أن وجوده كان استشاريا فقط ولم يكن من المرشحين لتولى الخلافة وبعد مداورات طويلة وقع الاختيار على عثمان بن عفان بصعوبة .

خلافة عثمان بن عفان

وعثمان بن عفان من أسرة الأمويين فهو عثمان بن عفان
ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو يلتقى
مع النبي في عبد مناف .

ولم يكن عثمان بن عفان يتمتع بما كان يتمتع به سلفه عمر بن الخطاب من الحزم والعزم وقوة الشخصية فالمعروف عن عثمان انه هادئ متسامح طيب رقيق بمعنى انه لا يهتم بالصفات التي كانت تجب في الرجل الذي تقع على عاتقه مسئولية ادارة شؤون الدولة والحكم في هذا الوقت الذي انتابت فيه الجماعة الاسلامية أزمة نتيجة التوسع الكبير الذي تحقق على أيام عمر بصفة خاصة فالأموال والثروات التي آلت الى العرب نتيجة للفتح والمغانم والأسلاب التي تدفقت على مركز الخلافة أي في المدينة وعلى المسكن العربي التي أنشئت في الأقاليم (الكوفة والبصرة والفسطاط وغيرها) . كل هذا جعل العرب يتجهون الى التمتع بمباهج الحياة والخذ بنصيب كبير من الترف والابهة وهو الأمر الذي أزعج أصحاب الورع والزهد والضامير الحية من المسلمين الذين كانوا يتمسكون بالسنن الأولى . وحدث التنعم والترف هذا في الوقت الذي أخذت فيه الدولة تتطور وتتخذ الدواوين والموظفين وترتب الجيوش بينما أخذت الأموال التي كانت تتدفق على بيت المال في القلة نتيجة لتوقف الفتح واتساع الدولة الى تخوم خراسان

وأفريقية بمعنى أنه بينما كانت تزداد المطالب الحالية كانت تقل الموارد ولا يمكن للخلافة أن ترضى مطالب جميع الناس . وحسب تنظيم الديوان الذي رتبته عمر كان الخليفة هو صاحب الحق الأول والأخير في توزيع الرواتب والأرزاق. وكان لأقارب الخليفة عثمان من الأمويين نصيبهم الكبير في تلك الأرزاق بطبيعة الحال وتنص الروايات على أن عثمان بالغ في إكرام أقاربه فعهد إليهم بالولايات والقيادات وخص بهم الأرزاق الكبيرة مع أن هؤلاء لم يكونوا من السابقين الأولين في الإسلام بل ويمكن القول أن بعضهم لم يدخل في الإسلام إلا جريا وراء المصالح الشخصية والانماع الخاصة وذلك عندما تحققوا من انتشار الإسلام .

وهكذا بدأت المعارضة ترتفع شيئا فشيئا ضد تصرفات الخليفة ، كما بدأ الانقسام يظهر في صفوف المسلمين واضحا للعيان وبدأ البعض ينتقد الخليفة وينتقد حاشيته وأقاربه وخاصة أولئك الذين دخلوا متأخرين في الإسلام. ومن كان يظن أنهم وقفوا موقفا فاترا إزاء الدعوة . وهاجم المعارضون الولاة الذين عينهم عثمان وانكروا عليهم معيشتهم وسخط مظاهر الترف والابهة كما انكروا عليهم سوء استغلالهم للولايات في سبيل إرضاء عثمان وخاصة واتهموا الخليفة بالضعف بل أن معارضتهم وجهت حتى قد ما كان يقوم به عثمان بدافع الورع والتقوى والمثل لذلك المعارضة التي قوبل بها عندما أمر

بتوسيع المكان المحيط بالكعبة أو ما قام به من جمع القرآن
جمعاً نهائياً وهو العمل العظيم الذى مازال يذكر له حتى
اليوم .

ووجد المعارضون اللوم الى عثمان على سياسته المالية
ونازعوه فى أن يكون له كل السلطات التى كان يمارسها سلفه
عمر وأبو بكر. وبدأت جماعات تنادى بأن الأحقية فى رئاسة
الجماعة الإسلامية وفى تولى الخلافة ينبغى أن تكون لآل البيت
ووجد أصحاب هذا رأى كثيراً من الأنصار والأتباع وخاصة بين
الفرس الذين عرفوا فى القديم النظام الملكى الوراثى وصادت
فكرة الوراثة الملكية هذه نجاحاً فى مصر وفى الفسطاط كما
كان الحال فى البصرة وفى الكوفة بدأت دعاية خالته فى أول
الأمر لمصلحة على ثم انهب اتخذت الشكل العلنى مع مرور
الوقت . وحاول عثمان أن يتخلص من التهم التى وجهت اليه
فقال انه يسير على المنهاج الذى رسمه عمر من قبل وفى ذلك
تقول النصوص انه خطب خطبة بعد أن زاره على وجه اليه اللوم
على بعض تصرفاته التى ذكرناها فقال : " لكل شئ آفة ولكل
أمير عاهه وان آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيايون طعانون
يرونكم ما يحبون ويسرون عنكم ما يكرهون الا فقد والله عبتم
على ما اقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطاكم برجله وضربكم

بينده وقد دعكم بلسانه فلستكم لد على ما أحببتكم وكرهتكم. ولنت لكم وأوطأتكم كتفى وكنفت يدي ولسانى عنكم فاجترأتم على أما والله لانا أعز نصرا وأترب ناصرا وأكثر عددا".

وأظهر عثمان استعدادده للتخلص من الولا غير المرغوب فيهم في الأقاليم ولكن هذا التساهل من جانب لم يهدى من ثورة المعارضين في المدينة نفسها أي العاصمة قام فريق من معارضي الخلافة والتفوا حول السيدة عائشة زوجة النبي والظاهر أنه في أثناء تلك الاجتماعات التي كانت تعقد عند الخليفة تقرر مؤامرة ترتب عليها دخول جماعات مسلحة إلى المدينة تطالب بخلع عثمان وكانت هذه الجماعات التي دخلت المدينة قد أتت من مصر من الفسطاط وكذلك من البصرة ومن الكوفة وتقدمت تلك الجماعات إلى داخل المدينة وهنا نلاحظ أن الخليفة عثمان وهو رئيس أكبر دولة في العالم في ذلك الوقت لم يكن لديه حرس خاص أو جيش خلاص لحمايته ضد الثوار. ولهذا السبب رأى عثمان أن يداريهم وأن يسياس هذه الجماعات وانتهى الأمر بأن انسحبت تلك القوات المسلحة الساخنة على الخليفة في ظروف غير معروفة لنا تماما وربما حدث ذلك بعد أن وعدا عثمان ببعض الوعود ولكنه بعد أن خرج الثوار رجلا من جديد إلى المدينة والظاهر أنهم لقوا بعض المضايقات أثناء الطريق وفي هذه المرة لم يكتفوا بدخول المدينة بل انهم

فهربوا الحصار حول دار الخليفة وطالبوا بأن يخلع نفسه عثمان وقال مقالته المشهورة: " لا اخلع قميصا البسني وتأزم الموقف فشدت الثوار الحصار على بيت عثمان حتى الماء وفي هذا الوقت ظهر زعماء المعارضة بمظهر المحفعائشة غادرت المدينة وسارت نحو مكة بينما اظهر على انقاذ الخليفة ولكن الحصار ظل مضروبا على دار الخليفة اسابيع وأخيرا عندما آتت الأنباء بسير قوات من الشام معاوية لأنقاذ عثمان سار المعارضون وتسوروا دار الخليفة انتهى نهاية اليمه اذ قتل وهو يقرأ القرآن وقطعت أصا زوجته وهي تحاول الدفاع عنه فكان مقتل عثمان الدامي سببا في انفتاح مصاريع أبواب الفتنة التي تعرف عند ال باسم الفتنة الكبرى .

خلافة علي ابن أبي طالب

بعد مقتل عثمان تمت البيعة لعلي في المدينة ومبايعة أهل المدينة كانت موضع جدل بين الناس إذ نادى البعض بأنه يجب الانتظار الى أن يصل كبار الصحابة من الامصار حتى يتم الاجماع ويصبح صحيحا . ولكنه اتضح أن هذا الأمر غير ممكن وعلى ذلك تمت بيعة علي ولكن بيعته لم تخلص له تماما إذ ظهر له منافسان هما طلحة والزبير اللذان بايعاه في المدينة ثم عادا وقالا انهما بايعا مكرهين .

وكان طلحة والزبير كما نعرف من كبار الصحابة والسوى جانبهما ظهر معارضون آخرون مادوا باقامة الحد على قتله عثمان وعلى ذلك اتضح أن علي لن يستطيع القيام بأعباء الحكم لكثرة أعبائه . فرغم أن علي اتصف بشجاعة تكاد تكون أسطورية الا أنه كان ينقصه القطع والحزم فيما يتخذه من قرارات وعلى ذلك لم يستطع علي أن يفرض نفسه على الجميع أو أن يقر سلطانه . ففي المدينة اتهم في مسلكه الذي يدعو الى الشك في موقفه بالنسبة لقتله عثمان وقامت عاصفة التي ربما كانت من المحرضين على عثمان تتهم عليا ولا نعرف ان كان ذلك لأسباب سياسية أم لأسباب شخصية وذلك انها كانت تكن لعلي كراهية دفينه منذ وقت قليل .

أما في بلاد الشام فقد قام معاوية بن أبي سفيان ضد قتلة عثمان قريبه وضد علي الذي استفاد من مقتل عثمان وكون كل

هو لاء المعارضون جبهة واحدة جعلت هدفها هو المطالبة بالشار
 لدم عثمان الخليفة المظلوم (أى الذى قتل ظلما) وانضمت
 عائشة الى طلحة والزبير وخرجت معهما الى البصرة فى العراق
 بحثا من الاتباع والانصار وتتبعهم على الذى سار بدوره الى
 الكوفة وكان له كثير من الاتباع المخلصين هناك. ومساء خروج
 على وخصومه من الحجاز الى العراق لها أهمية كبرى فى تاريخ
 الدولة العربية الاسلامية وذلك أنه يعنى تفوق الأمصار أو الأقاليم
 والشعوب التى دخلت فى نطاق الدولة على مهد الاسلام وذلك من
 النواحي البشرية والاقتصادية ثم السياسية. اذ فى الحقيقة أن
 خروج على من المدينة كان خروجا نهائيا للخلافة من المدينة اذ
 أنها ستنتقل بعد على الى بلاد الشام وبعد أن تنتهى الدولة
 الأموية ستنتقل الى العراق الى بغداد وبعد سقوط بغداد أمام
 جحافل الترك أمام المغول ستنتقل الخلافة الى مصر الى القاهرة
 مع المماليك ولن تعود أبدا الى بلاد الحجاز.

والتقى على والخارجون عليه فى مكان غير بعيد من مدينة
 البصرة يعرف بالخريبة والظاهر أنه كان بالقرب من قصر خرب قديم
 وذلك فى سنة ٣٦ هـ وانتهى القتال الدامى فى مملكة على اذ جرح
 طلحة جرحا قاتله ودارت الموقعة الفاصلة حول الجمل الذى كانت تركبه
 السيدة عائشة وذلك حسب التقليد العربى المعروف الذى كان يسمح

بمخرج النساء مع المقاتلة من أجل تحميسهم وتحريضهم على حسن القتال «وكانت الغلبة لانصار على الذين وجهوا سهامهم نحو الجمل الذي كانت تركبه عائشة حتى انها بعد أن انزلت بعنق المعركة من هودجها وهو كالقنفذ من كثرة السهام كما يقول ابن خلدون .

وأهمية موقعة الجمل هذه أنها تعتبر بداية حقيقية للفتنة وهي الحرب الأهلية وذلك أنها كانت أول موقعة يقاتل المسلمون بعضهم بعضا .

وعامل على عائشة معاملة طيبة وأرجعها الى المدينة وبقيت المعارضة معاوية بن أبي سفيان الذي رفض أن يستجيب لمطالب على وانتهى الأمر بأن حكم السيف فصار على رأس جيش كبير من أهل العراق وسير معاوية جيشا بقيادة عمرو بن العاص .

وعندما أرسل على الى معاوية رد عليه هذا الأخير قائلا :
 " تركت قوما لا يرضون الا بالقود أى بالقصاص من قتله عثمان فرد عليه على وممن تريد أن تقتل قال منك بمعنى انه يتهم على وأتبع ذلك قائلا ولقد تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان منصوبا على منبر دمشق بمعنى أن معاوية قام بدعاية كبيرة في بلاد الشام للأخذ بثأر عثمان وضد على وعلى ذلك كان على القوة

أن تقرر لمن يكون الأمر على أم لمعاوية .

وجهاز معاوية جيشا كبيرا يقال ان عدده بلغ حوالى مائة ألف رجل منظمين حسب طرق تنظيم الجيوش الرومانية التى كانت معروفة فى بلاد الشام وجعل قيادة هذا الجيش لداهية العرب الموزونف عمرو بن العاص على رأس الخيالة . وسار على رأس أهل الشام فى عدد كبير ورغم أن قوات علي لم تكن منظمة تنظيم جيش معاوية الا أنهم كانوا متحمسين تماما لمناصرة علي . وللتقى الطرفان بالسهل الواقع قرب موضع صفين على الضفة الغربية لأعلى نهر الفرات وقامت المفاوضات بين الطرفين وظهر على بمظهر المتساهل الورع المثالى الذى يريد الاتفاق بينما ظهر معاوية بمظهر السياسى الداهية الصعب المنال وعلى ذلك انتهى الأمر بالقتال وهناك تفصيلات عن المعركة تبين كيف تطور القتال فى هذا الوقت الحنگر من حرب الصفوف والجيش المكتمل الى حرب الفرق التى تخرج للقاء بعضها البعض فاذا ما انهزمت احداها خرجت أخرى لتحل محلها واستمر القتال طوال شهر وهناك تفصيلات تبين بمق المأساة التى تمثلت فى وجود أفراد القبيلة الواحدة فى كل من الطرفين المتحاربين .

ورغم عدم تنظيم قوات على بالنسبة لقوات معاوية كساد القتال ينتهى بانتصار على لولا تلك الحيلة التى يذكرها الكتاب

التي "نار بها عمرو بن العاص على معاوية من طلب تحكيم الكتاب بدلا من تحكيم السيف حقنا للدماء فرفع أصحاب معاوية المصاحف على أسنة الرماح حتى يراها على وأصحابه ونجست هذه الحيلة وتوقفت الحرب وبدأت المفاوضات بين الطرفين من جديد وانتهت هذه المفاوضات الى التحكيم .

وكان هذا يعنى تحكيم القرآن بدلا من تحكيم السيف وتمت مفاوضات بين الطرفين على كيفية تحكيم الكتاب وانتهى الأمر الى الاتفاق على أن يختار كل طرف ممثلا أو نائبا له يعرف باسم الحكم وتم الاتفاق على أن يمثل عليا والى العراق السابق أبو موسى الأشعري والغريب في الأمر أن اختيار أبي موسى رغم أنه على إذ تقول النصوص أنه كان "يخذل الناس" أي يثبط من هزائمهم وتقول الروايات أن عليا كان يرغب في أن يمثلته ابن عمه عبد الله بن العباس .

أما عن معاوية فإنه اختار لتمثيله داهية العرب المشهور عمرو بن العاص ، وتم كتابة صحيفة تعهد فيها الطرفان على أن يكون الحكماء آمنين وان يعترفوا بما يقرانه من حكم . وتم الاتفاق بين الحكمين على أن يكون اللقاء في موضع محايد بين الشام والعراق في مكان يسمى دومة الجندل وتم الاتفاق على أن يأتي الحكماء ومع كل منهما عدد من الشهود من كبار الناس ويقال أن كلا من الحكمين استصحب معه أربعمائيه رجل وأنه حضر المحادثات عدد كبير من الصحابة

كشهر د فيذكر الكتاب أنه كان من بين الحاضرين عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير ويقال أيضا أنه حضر الموعد الصحابي سعد بن أبي وقاص وإن كان هذا الأمر مشكوك فيه .

ولما لم يكن هناك موضوع محدد للمحادثات فإن كل من الطرفين كان ينكلم حول الموضوع فكان العراقيون ينتظرون أن يخترف خصومهم بخلافة على بينما كان معاوية يهدف إلى اتهام على في مقتل عثمان ليمنعه من ولاية المسلمين .

وتشير النصوص إلى تفاصيل طريفة منها ما يفهم من دهاء عمرو بن العاص الذي كان يعطى الكلمة أولاً لأبي موسى بصفته الأكبر سناً وكيف كان معاوية يميل إلى أهدافه بفضل دهائه وخبرته السياسية فتقول النصوص أنه "بدلاً من سؤال أبي موسى" أليس تعلم أن عثمان قتل مظلوماً فقال أبو موسى أشهد قال: أليس تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياهم قال بلى قال فما يمنعك منه وبيته كما قد علمت فإن خفت أن يقول الناس ليست له سابقة فقل وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والمطالب بدمه الحسن السياسة والتدبير وهو أخو أم حبيبة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلبه وعرض له بسلطان . وعندما يرد أبو موسى أن هذا الأمر ليس لأهل الشرف وإنما هو لأهل الدين وعندما يقترح أن يكون

الأمر لعبد الله ابن عمر حاول عمرو بن العاص انتهاك هذه الفرصة
ورشح ابنه هو واشتبهى الأمر الى عدم الاتفاق .

وأخيرا رأى الحكمان خلع كل من على ومعاوية على أن
يكون الأمر شورى فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا ولكنه رغم
ذلك يقال ان عمرو بن العاص بعد أن وافق على خلع على عباد
وطالب بأن يكون الأمر لمعاوية بمعنى أنه ثبت معاوية بصفته
مطالب بدم عثمان قريبه وبصفة أنه " أجدر من يستحق الخلافة
من الناس وبطبيعة الحال لم يرافق على على هذا الحكم القريب
الذى أشار أتباعه . ولكن الانقسام والتفكك بدأ يديان فى
صفوف على اذ أنه خرج عليه جماعة من أصحابه ممن عرفوا بالورع
وشدة التقوى والذين كانوا قد احتجوا من قبل على مبادئ
التحكيم واعتبروه منافيا لروح الاسلام وهد فكرة الشورى التى
هى أساس الحكم وهؤلاء الناس قالوا انه لاحكم الا لله بمعنى
أن الامر متروك لله يحكم فيه كما يشاء وذلك من طريق حكم
الجماعة الاسلامية . وكون هؤلاء المنشقين حزبا أطلق عليه جماعة
الخوارج ، والخوارج هنا بمعنى الخارجين على القانون، وهؤلاء
لم يعترفوا بخلافة عثمان ولا بخلافة على واتهموا على بأنه
شكك الناس فى حق كان مكتسبا له وسيظهر على الى مناهضة هذه
الجماعة فينهك قواه فى قبائلهم وفى أشهر مواقعه ضد الخوارج
موقعة النهروان على ضفاف نهر دجلة وذلك فى الوقت الذى كان

معاوية يتصرف وكأنه الخليفة الشرعى فعلا .

وأخذ معاوية يرسل قواته الى الولايات المختلفة
لادخالها تحت سلطانه فأرسل عمرو بن العاص لاستعادة مصر وقند
بجانت دخلت تحت طاعة على ثم انقسمت على نفسها وأرسل قوات
الى الحجاز وكذلك الى العراق بينما استمر الخوارج فى ثورتهم
ضد على وانتهى الأمر بمقتل على فى يوم ٢٧ رمضان سنة ٤٠ هـ .
الموافق ٢٤ يناير سنة ٦٦١م وذلك بيدى أخذ الخوارج واسمـه
عبد الرحمن بن ملجم وبذلك خلى الجو لمعاوية .

الباب الثاني

(الدولة الأموية)

الفصل السابع

معاوية بن أبي سفيان

الدولة الأموية

بعد وفاة علي بن أبي طالب تمكن معاوية بن أبي سفيان من السيطرة على الموقف بسرعة فمهّد البلاد التي فتحها العرب واستمر في تطبيق نفس نظام الحكم الذي كان معمولاً به في بلاد الشام ومصر في كل ولايات الدولة الأموية . وهذا يعني أن النظام الأموي لا يعتبر نظاماً جديداً بل هو استمرار لنفس النظام السابق الذي طبقه عمر بن الخطاب ولكن رغم ذلك نلاحظ أن هذه الحقيقة لا تعبر عن رأي - الكتاب والمؤرخين - العرب وذلك أنهم نظروا إلى المشكلة من زاوية أخرى لهم على الجملة يرون أن الأسرة الأموية هدمت التنظيم البديع الذي عرفته الجماعة الإسلامية على أيام الرسول وخلفائه الأوائل وهم يرون أن هذه الفترة كانت فترة طيبة سعيدة ، إذ أن الجماعة الإسلامية حكمت خلالها دون مجهودات كثيرة دون تعقيدات إدارية وذلك حسب كتاب الله وسنة رسوله . وهم يرون أنه ابتداءً من العصر الأموي وجدت الجماعة الإسلامية نفسها تحكم بنظام غريب لا علاقة له بالديين ولا علاقة له بالشرع وذلك أن الإمام أي : خليفة الرسول أصبح ملكاً . وهذا هو مجمل رأي الكتاب الذي يفصله ابن خلدون في مقدمته تفصيلاً وافياً .

وأهم ما يميز هذا النظام الجديد في نظر الكتاب هو أن الدولة الجديدة أو الأسرة الجديدة طبقت مبدأ الوراثة الملكي

بدلاً من مبدأ الشورى الانتخابى والحقيقة ان التحكيم بين علي ومعاوية أثبت فشل مبدأ الشورى أو الانتخاب العام ذلك الانتخاب الذى لم يكن فى حقيقة الأمر واضحاً أو دقيقاً منذ البدايات أو اختلعت فيم البيعة بالتعيين .

والجسالة لم تكن دقيقة من البداية ولهذا السبب عمل معاوية على استثمار مبدأ الوراثة ولم يتم هذا التنفيذ دون معاوية وذلك أن العرب كانوا يرفضون التنازل عن حقهم التقليدى فى اختيار الرئيس . ولم يغيب هذا الأمر عن معاوية الذى عرف سياسته وبدهائه فلم ينكر على الناس هذا الحق فسمح لهم بتطبيق مبدأ الاختيار ولكن على أن يكون الاختيار محدد فى أحد أبنائه . هكذا نجح معاوية فى احترام الشكليات عندما عين ابنه يزيد ولياً للعهد ولم يكن عمر يزيد فى ذلك الوقت الا خمس وثلاثين سنة . حدث ذلك فى سنة ستة وخمسين ، فعمل يزيد ابن معاوية هو الآخر مثل هذا بالنسبة لابنه معاوية الثانى الذى لم يكن يبلغ من العمر الا حوالى عشرين عاماً فقط . وستظل الخلافة الأموية مدة عشرين عاماً فى سلالة معاوية بن أبى سفيان . ولهذا السبب سيعرف خلفاء هذه الفترة باسم السفينانيين نسبة الى أبى سفيان وهو والد معاوية كما نعرف وبعد ذلك ستنتقل الخلافة الأموية الى فرع جانبى آخر هو فرع المروانيين نسبة الى مروان بن الحکم وذلك بسبب عدم وجود وريث مباشر من السفينانيين جدير باعتلاء كرسي

الخلافة . ورغم المعويات التي تعرض لها هذا التغيير إلا أن المروانيين تمكنوا من القبض على مقاليد الحكم مما يدل على مبلغ الهيبة التي تتمتع بها الأسرة الأموية خلال فترة العشرين سنة هذه ولقد اعتلى كرسى الخلافة الأموية أحد عشر حليفة أولهم مروان الأول ثم ابنه عبد الملك وأبناؤه الأربعة - ولهذا السبب يطلق الكتاب على عبد الملك بن مروان (أبو الملوك) : زولهم الوليد ثم سليمان ثم يزيد الثانى وأخيرا هشام . ومن أشهر الخلفاء الأمويين عمر بن عبد العزيز عمر الثانى ويزيد الثالث يزيد بن الوليد ثم ابراهيم بن الوليد ثم الوليد الثانى بن يزيد وأخيرا مروان بن محمد وهو آخر خلفاء بنى أمية الذى سيشهد مصرع الدولة .

وليس من الغريب أن يعطينا الكتاب والمؤرخون الذين يكتبون تاريخ الأسرة الأموية صورة قاتمة لهؤلاء الخلفاء وذلك لانهم كانوا يدونون كتبهم على أيام العباسيين ولم يكن هؤلاء الكتاب ليهتموا بالاشادة بأسرة كانت قد درست وزالت فنجد أنهم يصفون الوليد وهو من أعظم خلفاء بنى أمية بصفونه بأنه مستبد طاع قاسى القلب أما سليمان فهو يوصف بالشراة وحبسه للأكل - أما هشام بن عبد الملك فإنه يوصف بالبخل وغلظة القلب ورغم أنه لم يسلم من كل خلفاء بنى أمية من نقد النقاد وتعريفهم

بأنه خامس الخلفاء الراشدين اعتبره البعض أيضا في منزلة
وسط بين الخلفاء الراشدين وبين خلفاء بني أمية فتقول بعد
الروايات أن المنصور العباسي كان في مجلس من مجالس العلم
والسمر فذكر بنو أمية فقال :

" أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي بما يصنع ، وأما
سليمان فكان همه بطنه وفرجه وأما عمر فكان أعور بين عميان
وكان رجل القوم هشام".

أما ابن خلدون فإنه عرف للناس قدرهم ومقامهم وهو لا
يعذر معاوية في قتاله لعلى ويلتمس العذر لكل منهما فيقول
" أنهم لم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوى أو لا يشار باطل كه
قد يتوهمه متوهم ينزع اليه ملحد وإنما اختلف اجتهادهم في
الحق وسفه كل واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا على
وان كان المصيب مليا فلم يكن معاوية قائما فيها بقصد الباطل
انما بقصد الحق وأخطأوا والكل كانوا في مقاصدهم على الحق

ويرى ابن خلدون أن مروان في الطبقة الأولى من التابعين
وان كان هو أى مروان وابنه عبد الملك قد أصبحوا ملوكا وذلك
انهم تحروا الحق جهدهم الا في ضرورة تحملهم على بعضها مثـ
خشية افتراق الكلمة .

هدف ابن خلدون هو المحافظة على نصرة الجماعة الاسلامية
فهو يفتح الكثير من خلفاء بني أمية في المرتبة الاولى من بين
طبقات المسلمين وهو يعترف لمروان وعبد الملك بأنهما تحريرا
الحق جهدهما وانهما عندما خرجا عن الحق في بعض الأحيان فانما
كان ذلك جمعا للوحدة وتفاديا للغرق . وهذا ما سيأخذ به
الفقهاء وأصحاب المذاهب فيما بعد عندما يرون الأخذ بمبدأ
الاسحسان والاستصلاح . ويرى ابن خلدون ان عبد الملك في الطبقة
الاولى من بين المسلمين ، ويشهد بذلك باحتجاج مالك له في
"الموطأ " (كتابه في الفقه) .

أما عمر بن عبد العزيز فيقول أين خلدون انه نزع الى
طريقة الخلفاء الأربعة ولكنه يتبع ذلك بالقول بفساد أواخر
الأمويين وصلاح أوائل العباسيين .

والحقيقة أن العصر الأموي يعتبر من أهم فترات التاريخ
الاسلامي وذلك رغم قلة المعلومات التي وصلتنا عنه في خلال
القرن الأموي ظهرت جميع النظم والاتجاهات الفكرية التي عملت
وسط حياة مادية مزدهرة فيما بعد على تكوين الحضارة العباسية .
وخلال تلك الفترة بلغت الدولة العربية أقصى اتساعها
فالوليد (٨٦ - ٩٦ - ٧٠٥ - ٧١٥) وسليمان ٩٦ - ٧١٥/٩٩ - ٧١٧ م
وعمر بن عبد العزيز (٩٩ - ٧١٧/١٠١ - ٧٢٠ م) .

هؤلاء الخلفاء حكموا أكبر دولة اسلامية عرفها التاريخ
 هذا راجع الى أنه ليس هناك ما يدل على أن خلفاء بني أمية
 كان لهم فضل كبير في اتساع رقعة الدولة العربية إذ ينسب
 ذلك الى نجاح عمالهم في الاقطار العربية ، هذا الى جانب
 أنه ينسب كذلك الى بعض هؤلاء العمال سبب التفرقة بين حكّام
 بني أمية وبين الرعية والمثل لذلك هو الحجاج بن يوسف الذي
 غرس كراهية أهل الشام في قلوب أهل العراق . هذا ولو أنه
 فعل ذلك في سبيل المحافظة على وحدة الدولة . وهذا يعني انه
 كان من حسن حظ خلفاء بني أمية أنهم وفقوا الى اختيار عدد
 من العمال المخلصين الذين عرفوا بالكفاءة الادارية والعسكرية
 مثل قتيبة بن مسلم الذي وسع حدود الدولة الى بلاد التركستان
 وما وراء النهر ومثل موسى بن نصير الذي تم على يديه فتح
 بلاد الاندلس .

هذه نبذة عامة سريعة عن العصر الأموي ونبدأ الكلام في
 التفصيلات نبدأ بالكلام عن عصر معاوية بن أبي سفيان .

معاوية بن أبي سفيان

(٤٠ - ٦٠ هـ / ٦٦١ - ٦٨٠ م)

بعد وفاة علي كانت أولى مهام معاوية بن أبي سفيان القضاء على البقية الباقية من خصومه ثم العمل على إعادة الوحدة الى الدولة التي كانت قد زعزعتها الفتنة فعمل على اقرار سلطانه في الولايات التي عرفت باضطرابها وخاصة في بلاد العراق حيث المدن العربية الجديدة مثل الكوفة (العاصمة) وكذلك في الحجاز مهذا لاسلام حيث كان أبناء المهاجرين والأنصار الذين بنوا الدولة العربية يعملون على المحافظة على ماكانوا يتمتعون به أيضا من امتيازات خاصة في الحكم وشئون الادارة . وبدأ معاوية بتأكيدا لبيعة التي كان قد أخذها في دمشق من أهل الشام عقب اجتماع الحكيمين وبذلك أصبح معاوية أمير المؤمنين بعد أن كان يحمل لقب الأمير فقط لمدة خمس عشر عاما .

أما في العراق فكان حزب علي ينتابه الضعف والتفكك مما ينذر بفشل الشيعة فشل العلويين . وكان على قبل وفاته قد جهز جيشا كبيرا بلغ عدده حوالي أربعين ألف رجل لحرب أهل الشام وكان لابد لهذا الجيش من أمير ليقوده فوقع الاختيار على ابن علي الأكبر وهو الحسن والظاهر أن ذلك الاختيار تم بتوجيه من علي الذي قال للناس عندما عرضوا عليه مبايعته الحسن " ما أمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر " .

والظاهر أنبيعة الحسن كانت شكلية وذلك أن النصوص
تقول أنه عندما اشترط على الناس أن يسالموا من سالم ويحاربوا
من حارب ارتابوا بذلك وقالوا من هذا لكم بصاحب ما يريد هذا
إلا القتال .

وبعد أن يبيع الحسن اتجه نحو الشام لحرب معاوية ولكن
هذا الأخير سارع بلقائه عن طريق الجزيرة واتضح من البدايات
أن الحسن لم يكن كفوا لقيادة أتباعه الذين مرفوا بالتميز
والانشقاق فتقول الروايات أنه عندما وصل إلى المدائن اضطرب
مسكوه وسرق الناس ونهبوا سرادقه ومتاعه وبلغ الأمر إلى درجة
أنهم نازعوه البساط الذي كان يجلس عليه وعلى ذلك فلم يكن
من الغريب أن يضطر الحسن إلى الدخول في مفاوضات مع معاوية
والاستسلام له بشروط لم يكن من الصعب على معاوية قبولها فلقد
تم الاتفاق على أن يتنازل له الحسن عن حقوقه في الخلافة،
وفي سبيل ذلك لا يطالب معاوية بمبلغ خمسة آلاف ألف درهم (خمسة
ملايين درهم) كان قد أخذها من بيت مال الكوفة وطالب الحسن
بأن يكون له خراج إحدى مدن فارس واسمها (دارابجرد) - مدينة
دارا - كما طالب أيضا معاوية بالأل يسب عليا على المنابر كما
كانت العادة . ولم يكن من الصعب على معاوية الموافقة على هذه
الشروط ولكنه لم يفت بها كما تقول النصوص (سب على سيستمر
إلى أيام عمر الذي سيمنع هذا الأمر في محاولة التوفيق بين

الجماعة بين الشيعة والخوارج) وبالرغم من موافقة الحسن على هذا الاتفاق الا أن قائد قواته واسمه قيس بن سعد لم يدخل في الصلح بل أراد أن يستميل الناس الى جانبه على ان يستمر في حرب معاوية وبدا فشل ذلك اذ تقول الرواية أنه قال لجنده : " أيها الناس اختاروا الدخول في طاعة أمام ضلالة أو القتال من غير امام . (يقصد بذلك معاوية) . فقال بعضهم بل نختار الدخول في طاعة امام ضلاله فبايعوا معاوية . وتمكن معاوية بفضل سياسته ومداراته من اكتساب طاعة قيس بن سعد وأرسل اليه سجلا وختم على أسفله وقال له . أكتب في هذا ما شئت فهو لك ولم يطلب القائد العلوي أكثر من الأمن وتسويغ شيعته على ما أصابوا من الدماء والأموال وتم صلح الحسن هذا مع معاوية في شهر ربيع الأول من سنة ٤١ هـ . وبذلك اطمأن معاوية الى أن الخلافة قد حقت له فدخل الكوفة وبايعه الناس هناك . أما عن تمكين معاوية من ادارة الأمور في العراق وخاصة في مدينتي الكوفة والبصرة فإنه اعتمد في ذلك على عدد من الولاة الذين أحسن اختيارهم . ونجح هؤلاء في سياستهم بفضل انتماء انقسام أهل العراق الى شيعة وخوارج اذ كان العمال أي الولاة يضربون هؤلاء بهؤلاء دون أن يخشوا شيئا . وأشهر ولاة معاوية في العراق هو المغيرة بن شعبه الذي ولي مدينة الكوفة .

وكانت الكوفة لعبد الله بن عمرو بن العاص لكن المغيرة
 وضع لمعاوية خطورة هذا الأمر فقال له : " أتكون أميراً بين
 ناهي الأسد " .

والحقيقة أن المغيرة بن شعبة كان طموحاً وظهر بمظهر
 الرجل الذي لا ضمير له في بعض الأحيان ، والمغيرة ثقفى من
 مدينة الطائف هجر بلدته في أيام شبابه وذهب إلى المدينة
 بعد السنة الخامسة للهجرة ودخل في زمرة الخوفاة . الاسلامنة
 وظهر بين أفراد الجماعة بعد أن حطم صنم مدينته وهو السلات
 وبفضل ما أظهره من الورع والتقوى شغل مركزاً ممتازاً بين أفراد
 الجماعة وخلال الحرب مع فارس أظهر امتيازاً دبلوماسياً بفضل
 معرفته للغة الفارسية وكان سفيراً للعرب لدى رستم وعرف
 عمر بن الخطاب للرجل مكانه فولاه على البحرين ثم عهد إليه
 بولاية الكوفة ولكنه عزل عنها في سنة ١٧ هـ . متهما في مسألة
 خاصة بالأخلاق وحسن السلوك مسألة مغامرة نسائية ولكنه أثناء
 الفتنة وقف موقفاً متزناً فكافأة معاوية بأن عهد إليه بولاية
 الكوفة .

عرف المغيرة أثناء ولايته كيف يمنع أهل المدينة التي
 عرفت بميولها الشيعية من الالتجاء إلى الثورة العلنية رغم
 أن أهلها كانوا يكتنون كراهية لأهل الشام .

سياسة المغيرة :

كانت سياسة المغيرة تعتمد على التفرقة بين الخوارج والشيعة وكان يقف الى جانب هؤلاء في بعض الأوقات والى جانب الآخرين في أوقات أخرى ويصف الكتاب سياسة المغيرة هذه فيقولون عنه : " أنه يحب العافية وأحسن السيرة ، كان يقال له أن فلانا يرى رأى الشيعة وفلانا يرى رأى الخوارج فيقول تالله لا يزالون مختلفين وسيحكم الله بين عبادة " وظل المغيرة على الكوفة الى أن توفي سنة ٥٠ هـ. أما عن مدينة العراق الثانية وهي البصرة فاته بعد أن وليها المعاوية بسر بن أرطاة عقب اضطرابها بعد صلح الحسن عهد بها الى عبد الله بن عامر في آخر نفس هذه السنة وهي ٤٩ هـ ثم أنه يعد ذلك عهد بها الى زياد بن أبيه المشهور وذلك في سنة ٥٥ هـ. وزياد بن أبيه مثله مثل المغيرة من مدينة الطائف يعني أنه ثقفي ولكن مولده غامض فلا يعرف الا اسم أمه وهي سمية وكانت سمية. هذه جارية لأحد أهل الطائف ولا يعرف ما إذا كانت تقوم به من نشاط ولكنه يقال انها التقت بأبي سفيان في أحد رحلاته الى مدينة الطائف وأنها أنجبت زياد. بعد هذا اللقاء ولعدم معرفة والده أطلق عليه الكتاب اسم ابن أبيه .

ولد زياد في السنة الأولى للهجرة وبدأ حياته ككاتب في جيش البصرة لدى أبي موسى الأشعري وعرف منذ شبابه المبكر بفصاحة وطلاقة لسانه فيقال أن عمر بن الخطاب استكفاه أمرا فقام به مقاماً مرضياً فلما عاد خطب الناس خطبة لم يسمعوها بمثلها وعندما آلت الخلافة إلى علي بن أبي طالب كاتبا لابن عباس في البصرة ثم إن علياً أرسله إلى فارس فنجح أيضاً في اكتساب أهلها إلى جانب علي بفضل ذكائه وحسن رأيه وظل زياد في فارس إلى سنة ٤٢/٦٦٢م وهو مستقل عن معاوية وعرف معاوية قيمة هذا الرجل وسأه أن يكون في خدمة علي فحاول أن يخلصه إلى جانب معاوية فاستخدم معاوية في ذلك الترغيب والترهيب وهناك تفصيلات عن محاولة معاوية الاتصال بزياد وردود زياد على معاوية ، وكانت تتصف بالشورة كما كانت عاداته . اذ يقال أنه خطب الناس فقال إلعجب كل العجب من ابن آكله الأكباد ورأس النفاق يهددني بصدده أباي وبيتي وبينه وبين عم رسول الله في المهاجرين والانصار . حدث ذلك على أيام علي الذي عرف ما يبغيه معاوية فحذر زياد وقال له : أنى وليتك ما وليتك وأنا أراك له أهلاً وأن معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه ومن يمينه وعن يساره فاحذر ثم احذر والسلام " . وبعد موت علي خشي معاوية أن يعتمد زياد بفارس فطالبه بالأموال التي كانت تحت إشرافه - الظاهر أن معاوية كان يهدف من ذلك إلى مصالحة زياد على

هذه الاموال كما فعل مع الحسن ابن عبد الله بن عباس من قبل
 ورد زياد على ذلك بأنه أنفق ما كان عنده من الأموال فسى
 وجهه ولكن معاوية طلب اليه أن يحضر الى الشام للاتفاق معه
 وعندما امتنع زياد هدهه والى البصرة بسر بن أرطأ بالقبض على
 أبنائه وقتلهم ولم يجد التهديد مع زياد إذ أنه كتب الى
 بسر يقول لست بارحاً مكانى حتى يحكم الله بينى وبين صاحبك
 وان قتلت ولدى فالمصير الى الله ومن ورائنا الحساب وسيعلم
 الذين ظلموا أى متقلب ينقلبون .

ورغم عدم استجابته لدعوة الوالى فان معاوية ابن ابى سفيان
 كان حريصاً على ألا يغضبه فكتب الى بسر يطلب منه العفو عن
 أبنائه زياد وأخيراً تدخل المغيرة بن شعبة فوافق زياد ونجح
 فى التولييق فاستأذن من معاوية فى مقابلة زياد وأخذ له الأمان
 واستجاب زياد لدعوة المغيرة فسار الى دمشق حيث حاسبه معاوية
 على ما كان لديه من أموال وقبل ما قرره زياد وبذلك اكتسب
 معاوية رجلاً من أعظم رجال ذلك العصر وخاصة بعد أن - اعترف به
 كابن لوالده ابى سفيان بمعنى أنه اعترف بحقوقه كفرد من أفراد
 الأسرة الأموية .

وتم ذلك الاعتراف فى حفل كبير حضره اليهود ثم نزل زياد
 بالكوفة فى كنف المغيرة وعمل على أن يؤكد نسبه السفىانى فأرسل

الى الأمصار واعترف له أهل البصرة بذلك كما كتب الى السيدة وهو يريد أن تكتب له الى زياد بن أبي سفيان كما كتب لها فيحتج بذلك ، ولكنها كتبت له من عائشة أم المؤمنين الى ابنها زياد " فعظم ذلك على المسلمين عامة وعلى بنى أمية خاصة كما يقول النص " . فقد كانت منطقة البصرة مضطربة مثل بقية العراق والظاهر أن واليها عبد الله بن عامر كان مستولا الى حد ما عن فساد الممدين إذ ينسب اليه الكتاب اللين أو الضعف في الحكم وعرف معاوية ذلك وعزم على عزل ابن عامر والظاهر انه كان لزياد شأن في ذلك العزل بسبب التنافس بين الرجلين مما دعا ابن عامر الى سب زياد وغضب معاوية عليه عبد الله بن عامر ولجأ هذا الأخير الى يزيد بن معاوية الذي كان يعطف عليه أثناء ذلك الصراع خوفا من زياد الذي كانت شعبيته تزداد مع مرور الوقت حتى قيل أن معاوية فكر في أن يكون الأمر بعده له أي لزياد وانتهى النزاع بأن عزل واليه اللين عن البصرة بطريقة تدل على براعة سياسته وتفهمه لروح رجال هذا العصر فقد طلب معاوية الى ابن عامر أن يزوره في دمشق وعندما انتهت الزيارة أمره بالعودة الى العراق (السنن : ولايته) ولكنه سأله ثلاثة أشياء وطلب اليه أن يجيب مطلبه فلما أجابه قال : هن لك قال : ترد على عملي ولا تغضب وفي هذا السبيل سأل ابن عامر معاوية ألا يحاسب له عملا ولا يتبع له أشبرا وأن

يزوجه ابنته فلعل معاوية .

وعهد معاوية بولاية البصرة مؤقتا الى الحارث بن عبد الله ثم انه عين زيادا مكانه في شهر ربيع الثاني من سنة ٤٠ هـ . فكان زياد في ذلك الوقت بالكوفة فلما بلغه خبر تعيينه على البصرة سار اليها وعندما وصلها بدأ حكمه بخطبة سياسية مرتجلة ذاعت شهرتها في الادب العربي وهى التى تعرف باسم البتراء (من الفعل يتر يتر) أى المقطوعة أو المنقوصة وذلك أنه لم يبدأها كما هو معتاد بالتسليم والحمد لله .

وهذه الخطبة يمكن أن تعتبر النموذج الذى احتشدناه الحجاج بن يوسف فى خطبته لأهل العراق - فى هذه الخطبة أذمر زياد رعاياه الجدد الذين عرفوا بالاضطراب ، بالاجراءات الجنيفة التى سيتخذها ضدهم من ذلك قوله : " أن النساء خمرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدمًا واحرًا وانبيى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح الا بما صلح به أوله لين فى غير ضعف وشدة فى غير جبرية وعنف . وهو يقول : وانى لأقسم بالله لأخذ الولى بالمولى والمقيم بالنظاعين ، والمقبل بالمدبر ، والصحيح منكُم بالسقيم ، حتى يلقي الرجل منكُم أخاه ، فيقول ، انج سسد نقد هلك سعيد وتستقيم لى قناتكم " . (وهذا يعنى أنه طبق

مبدأ المسؤولية الجماعية) .

ويتبع ذلك فيقول : " قد أحدثتم أحداثا لم تكهن
 رقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن فرق قوما غرقناه ، ومن حرق
 على قوم حرقناه ، ومن نكب بيتا نكبت عن قلبه ، ومن ينبش
 قبرا دفنته حيا . فكفوا عن أيديكم والسنتكم أكف عنكم
 لسانى ويدي . وهو يقول وقد كانت بينى وبين أقوام احسن
 (ضغائن) فجعلت ذلك دبر أذننى وتحت قدمى ، وار علمنى أن
 قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعا ، ولم أهتك
 له سترا حتى يبدى لى صفحته . وقال أيها الناس أما أصبحنا
 لكم ساسة وعنكم زادة نبيوسكم بسلطان الله الذى أعطانا
 ونزود عنكم يفيىء الله الذى خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة
 فيما أوصينا ولكم علينا العدل فيما ولىنا " .

وانهى زياد برنامجه السياسى هذا بقوله : " واعلموا أنى
 مهما قصرت عنه فانى لا أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب
 حاجة منكم ولو آتانى طارقا بليل ، ولا حابسا رزقا ولا عطاء
 من ابائه ، ولا مجمرا لكم بعثا " .

وبعد ذلك يقول : " فادعوا الله لائمتكم فانهم ساستكم
 المودبون ومتى تصلحوا يصلحوا " . وختم زياد خطابه مهددا بقوله
 ان لى فيكم لصرة كثيرة فليحذر كل امرئ منكم ان يكون

من صرعاى " .

وبفضل ارادة زياد الحديدية تمكن من ان يقرر السلطان
الحكومى فى منطقة البصرة وكان قد تزعزع من قبل تماما وتممكن
بعد قليل من الوقت من اتباب الأمن الذى لم يكن قد عرفته
المنطقة وذلك حتى قلب الصحراء واتخذ زياد فى سبيل ذلك اجراءات
منيفة يمكن أن تشبه بما يسمى بالأحكام العرفية فى أيامنا هذه
اذ أنه حرم الخروج ليلا وامر صاحب الشرطة بقتل من يجده وبلغ
من شدته أنه اخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وكان من نتائج ذلك
" أن رهبة الناس وخافوه حتى أحب بعضهم بعضا وحتى كان الشيء
يسقط من يد الرجل والمرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتية صاحبه
فيأخذه*.

ولكى يؤكد زياد سلطانه ولكى يتفادى ما يمكن أن يقع
عليه من محاولات للأغتيال اتخذ حرسا خاصا يتكون من خمسمائة رجل
كانوا يرابطون فى المسجد وحوله لا يفارقونه كما أنه كان يسيّر
محروسا خلفه الرجال يحملون العمود والحراى .

وعندما توفى المغيرة بن شعبه وذلك فى سنة ٥٠ هـ هضم زياد
ولاية الكوفة الى عمله وقسم عمله بين البصرة والكوفة فكان
يقيم فى كل منها ستة أشهر واستعمل زياد مع أهل الكوفة نفس
سياسة الحزم التى اتبعها مع أهل البصرة وذلك على عكس ما فعله

المغيرة الذى كان يحب العافية كما قلنا .

وتقول النصوص انه عندما خطب زياد خطبته الاولى فى مسجد الكوفة حصب أى القيت عليه الحصى فقبض على أكثر من سائس رجلا وقطع أيديهم . ومنذ ذلك الوقت اتخذ المقصورة فى المسجد وذلك كما فعل معاوية بالشام بعد محاولة اغتياله وكان الشيعة شيعا على قد طمعوا بسبب لين المغيرة ورأته فكانوا يجتمعون فى المسجد علانية عندما يشتم على وبذم ويترحم على عثمان من أعلى المنبر ذلك الأمر الذى أصبح تقليديا منذ الفتننة ولقد فعل ذلك زعيم الشيعة فى الكوفة واسمه حجر بن عدى الكندى واحتج على زياد عدة مرات وكان المغيرة يكتب بتحذيره دون اتخاذ اجراءات عنيفة ضده ولكن زياد وقف موقفا شديدا ازاء حجر الذى كان قد انتهز فرصة غياب زياد بالبصرة وتجرا على نائبه حتى قامت ثورة مسلحة فأنتهز زياد هذه الفرصة لكى يبين لأهل الكوفة منهاجه الحازم فقبض على حجر وحبسه ثم أرسله الى معاوية الذى رفض ان يطلقه رغم شناعة بعض الفقهاء (مالك بن هبيرة السكونى) انتهى الأمر بأن أمر معاوية بقتل حجر وبعض أصحابه .

وكما كانت صادته شجح فى اسكات المعارضين بمقتل المال فليقد أرسل الى مالك بن هبيرة مائة ألف درهم فرفض بها هذا الأخير وسكت . وكان قتل معاوية لحجرين عدى من الـ أخذ التبر

أخذها عليه كبار مفكرى الاسلام ومنهم الحسن البصرى الذى
أخذ عليه قتل حجر وأصحاب حجر وقال : قبا ويلا له من حجر
ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر.

وبعد أن قضى زياد على حركة العصيان العلوية دون
معوية كبيرة أعلن حل المنظمات العسكرية التى كانت فى قبائل
الكوفة وكون أربع جماعات عسكرية جديدة فاسم الكوفة السى
أربعة أرباع ، ربع لأهل المدينة وربع تميم وهمدان ، وربع
ربيعه وكنده ، وربع مذحج وأسد وعهد بقيادة كل جماعة منها
الى رجل من ثقاته ووجه زياد الى أهل الكوفة والبصرة الذين
عرفوا بمعارضتهم للدولة ضربات شديدة وذلك أنه هجر عددا كبيرا
بلغ خمسين ألف بعبالاتهم الى خراسان وذلك ليقيموا هناك وليقيموا
بالفزو مع القوات العربية وكان هذا الأمر من أسباب انتشار
الأفكار الشيعية فى إيران فى بلاد فارس منذ ذلك الوقت المبكر
وأخذ زياد يحكم من البصرة كما لو كان أميرا مستقلا له السيادة
المطلقة على كل الأجزاء الشرقية من الدولة العربية وكان يدخل
فى حكمه خراسان وسجستان والهند والبحرين وعمان ويقال
أن معاوية بن أبى سفيان عند ما وجد نجاحه هذا رأى أن يعهد
اليه أيضا بحكم الحجاز ويقول البعض أن ذلك كان من الأسباب
التي أدت الى وفاة زياد بعد أن دعا عليه عبد الله بن عمره
وأكد زياد بن أبيه سلطان معاوية فى المشرق بالفتح والفسزو

وهو مستقر في دار الامارة بالبصرة هذا في الرقت الذي اهتمم
الخليفة نفسه وهو معاوية بأمر المغرب وبذلك حقق زياد كل
الثقة التي وضعها فيه معاوية بن أبي سفيان وحق للكتاب أن
يقولوا أن معاوية فكر في أن يعهد اليه بولاية العهد وذلك
الى أن توفي في الكوفة سنة ٥٣ هـ .

وأعمال زياد بن أبيه أعمال عظيمة معروفة فهو من
الناحية السياسية أقر الأمور في البصرة ثم في الكوفة وفي
العراق وواصل الفتوحات في المشرق كما كان معاوية بوجه انظاره
نحو المغرب فكان أشبه ما يكون بشريك لمعاوية في الدولة
وهذا الأمر له أهمية لانه يبين ان اتجاه الدولة الاصيل اتجاهاها
الأول كان نحو المغرب وبعد وفاة زياد استفاد معاوية من
خدمات ابنائه فعهد اليه بالولايات فاستخدم مبيد اللد بن زياد
على خراسان في سنة ٥٤ هـ ثم انه عهد اليه بعد ذلك بولاية البصرة
أي ولاية والده زياد في سنة ٥٥ هـ .

وذلك يعني كل مشرق الدولة ولكنه فصل عنه ولاية الكوفة
ثم فصل بعد ذلك عنه ولاية خراسان في سنة ٥٦ هـ واستعمل عليها
سعيد بن عثمان بن عفان ثم عبد الرحمن بن زياد في سنة ٥٩ هـ
وفي مدينة البصرة اعاد ابن زياد سيرة والده من حيث الشدة
والعنف مع ثوار الهراق وكذلك مواصلة الختراج في خراسان
والحقيقة انه رغم ما قلناه من ولاية الكوفة والبصرة الاشداء

وكيف انهم كانوا قد تمكنوا من السيطرة على العراق الآن هذا لا يعنى استكانة كل العراق تماما فبرغم ضعفهم وانقسامهم الى شيعة ينادون بأن يكون الامر وراثيا في أبناء علي والى خوارج ينادون بمبدأ الشورى وسيادة الجماعة أى بما يمكن أن يشبه بمبدأ الجمهورية الشعبية الانتخابية التى يكون فيها الأمر أو رئاسة الجماعة لأصلح الناس الا أن هذا الضعف لم يمنع كلا من الفريقين من اظهار سخاء على النظام الجديد وكانت تلك المعارضة صامته فى بعض الأحيان كما انها كانت علنية عنيفة فى أحيان آخر وأول ما نلاحظ على حركات الشيعة انها اتصفت باللين والميل الى المصالحة فأنصار العلويين كانوا يعطفون على آل البيت ولكنهم لم يكونوا على استعداد للدخول فى المغامرة الى نهايتها وسيكون ذلك دأب الشيعة فيما بعد على أيام الحسين بن علي وزيد بن علي زين العابدين فيذكر الكتاب أن الشيعة كانوا يكتفون بحصب الولاة وهم على المنابر أو يحتجون عليهم عندما يسبون عليا ويترحمون على عثمان وكانت أخطر ثوراتهم تلك التى راح ضحيتها حجر بن عدي كما سبق أن قلنا.

ولقد عرف الأمويون كيف يستفيدون من النزاع بين — الخوارج والشيعة فاستخدموا بعضهم ضد بعض والذي نلاحظه على حركات الخوارج انها اتصفت بالعنف الشديد والمعروف

أن الخوارج أهل إيمان راسخ وعقيدة ثابتة وتعصب شديد ولقد خرج تعصبهم في بعض الأحيان حتى بلغ درجة التطرف المذموم كما نرى عند الازارقة الذين كفروا بغيرهم من فرق المسلمين ولكنه يؤخذ على حركات الخوارج أنها كانت تنقمها التكتيل والتجميع أي القيادة الموحدة والتوجيه الرشيد فبدلاً من أن يتحد الخوارج نرى أنهم ينقسمون إلى فرق متعددة ولا غرابة في ذلك فالتقسيم والتفتت كان آفة ذلك العصر . وقبل أن يعترف العلويين بخلافة معاوية كان هناك فريق من الخوارج قد اعتزلوا أي وقفوا موقف الحياد من النزاع بين أهل الشام وأهل العراق والسبب اعتزالهم هذا يفسر أمل فرقة المعتزلة وهم أهل الكلام فبني الإسلام فلما تم الصلح بين الحسن ومعاوية رأوا الخروج من عزلتهم وقالوا قد جاء الآن ما لا شدة فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه ونجح هؤلاء في هزيمة أهل الشام الذين أرسلهم إليه معاوية وذلك بالقرب من مدينة الكوفة وهنا رأى معاوية أن يضرب أعدائه فعرض على الكوفيين قتال أخوانهم الخوارج ونجح الكوفيون في القضاء عليهم واشتدت ثورات الخوارج في الكوفة وفي البصرة واشترك في هذه الثورات عدد من السودان من ذلك خروج رجل أسود يصرف بأبي ليلي ويوصف بأنه كان رجلاً أسود طويلاً أخذ الرجل بعضاً دثي مسجد الكوفة وفيه عدة من الاشراف وحكم بصوت عال فلم يعرض له أحد فخرج وتبعه ثلاثون رجلاً من الموالى هؤلاء مجذبتهم

أفكار الخوارج السياسية وأهمها فكرة الدولة ذات النظام الانتخابي الذي يمكن أن يشبه بجمهورية شعبية .

ثورة المستورد بن علقمة :

وأشهر ثورات الخوارج هي الثورة التي قام بها المستورد بن علقمة وذلك أنه بعد أن أوقع على بالذين خرجوا عليه في النهروان سار فريق منهم إلى كسرى في فارس ومبثثوا. هنسك حتى بلغهم مقتل على فحمدوا الله وأقبلوا إلى الكوفة وكان واليها هو المغيرة بن شعبة الذي يتبع سياسة اللين وحب العافية كما ذكرنا . واجتمع الخوارج في حوالي ٤٠٠ رجلاً وجعلوا عليهم المستورد وعندما شعر المغيرة بن شعبة بما يدبره الخوارج في الخفاء هاجم بعض اجتماعاتهم ونجح في القبض على المجتسمين وحبسهم مدة تقرب من العام .

وأخيراً قرر المستورد الثورة وكما كانت العادة أنذر المغيرة المتآمرين واتخذ بعض الإجراءات الوقائية منها أنه طلب إلى رئيس كل قوم أن يكفيه شراً وأخيراً اندلعت الثورة وسار أصحاب المستورد إلى خارج الكوفة ومن هناك اتجهوا نحو المدائن على بعد حوالي ٤٠ كم من بغداد الحالية .

وهنا طبق والي الكوفة والبصرة نفس الخطة العسكرية

التي اتبعها معاوية من قبل والتي تتلخص في ضرب الاعداء
بالاعداء فسير المغيرة الى الثوار رجلا من شيعة علي هو
معقل بن قيس على رأس ثلاثة آلاف رجل بينما أرسل عبد الله
بن عامر والي البصرة رجلا آخر من شيعة علي هو شريك بن
الاعور على رأس ثلاثة آلاف رجل من الشيعة ووقعت مساجلات بين
الفريقين أثبتت شدة الخوارج رغم قلة عددهم وانتهت المعارك
بمقتل كل من معقل بن قيس والمستورد بن علقمة قتل كل منهما
صاحبه و هما يتبارزان .

و قضى على معظم الخوارج فلم ينج منهم الا القليل
حوالي خمسة أو ستة رجال فقط . رغم عنف زياد وشدته فـ
تتبع الخوارج لم تنقطع ثورتهم في العراق . وتشير النصوص
الى عدد من ثوراتهم بالكوفة في سنة ٥٨ هـ . و كذلك في البصرة
على أيام عبيد الله بن زياد الذي سار معهم سيرة أبيه فقتل
كثيرا منهم وتورد النصوص الكثير من قصص البطولية و طلب
الاستشهاد في سبيل المبدأ التي قام بها كثير من الخوارج .

و هكذا لم تهدأ بلاد العراق طوال عهد معاوية اذ ظلت
مضطربة رغم شدة الولاة و عنفهم مما يتطلب كل قسوة و عنف
الحجاج فيما بعد .

هذا من موقف بلاد العراق .

أما عن بلاد الشام فقد كانت مركز الحكم بعد أن خرجت الخلافة من الحجاز وهناك فرق بين أحوال العراق و أحوال بلاد الشام و ذلك أنه بينما كانت الغالبية من أهل العراق لم يخرجوا من الجزيرة جزيرة العرب الا حديثا عقب ظهور الاسلام و خروج العرب و قيامهم بفتوحاتهم الكبيرة لاحظ أن العرب في بلاد الشام كانوا قد استقروا هناك منذ أزمان بعيدة و كانوا قد اعتادوا على الخضوع للحكم و للنظم الادارية التي تعرفها الدولة الحضارية وساعد على ذلك اتصالهم بالكنيسة المسيحية - ولهذا السبب اعتبر العرب في الشام معاوية وكيانه الوريث لاسرة الغساسنة و طالما عاش معاوية لم يسب له العرب في الشام أية مضاعب خطيرة و ذلك على عكس ما سيحدث على أيام خلفه اذ ستكون النزاعات القبلية بين العرب من أسباب ضعف وانهيار الاسرة الاموية . والحقيقة انه كانت توجد في بلاد الشام عصيبتان كبيرتان أحدهما عصبية الكلبيين بنو كلب و هؤلاء كانوا اكثر قبائل العرب عددا في الشام و أقدمهم استقرارا في تلك البلاد و هم ينتسبون الى عرب الجنوب أي الى عرب اليمن او القحطانية .

أما العصبية الثانية فكانت عرب القيسيين نسبة الى جدتهم قيس و أصلهم من عرب شمال الجزيرة او وسطها و على ذلك فهم من العصبية العدنانية او النزارية و أشهر جماعاتهم هي

التي كانت تنسب الى مضر . و في أول الامر استعان معاوية
 بقبائل كلب و تزوج منهم امرأة هي التي ولدت له ابنه يزيد
 و يفضل هذه المصاهرة توثقت الرابطة بين يزيد بن معاوية
 وبين اخواله الكلبيين و على ذلك فهو يتزوج منهم هو الاخر
 و على هذا الاساس يمكن أن يفسر وقوف القيسية ضد الامويين ضد
 بنى سنيان بعد وفاة يزيد كما ستشير بعد ذلك.

و من المميزات الاخرى التي يتميز بها عرب الشام هي
 أنهم كانوا يقطنون في المدن الكبيرة في بلاد الشام و في هذه
 المدن عاشوا وسط النصارى وكانوا على اتصال مستمر بهم وبلغ
 الامر الى درجة انهم شاركوهم في دور العبادة و هذا ما لم
 يحدث له نظير في بلاد العراق التي سكن فيها العرب في مدن
 بعيدة شبه ماتكون بالمستعمرات (المدن) التي بنيت خصيصا
 لهم كما حدث في الكوفة و في البصرة و على ذلك عاشوا منفصلين
 الى حد ما عن أهل البلاد .

ويفضل هذا الاتصال الوثيق بين العرب و أهل الشام اتخذ
 معاوية بن أبي سفيان الاساليب الادارية الراقية التي كانت
 مطبقة في الولاية الرومانية القديمة . ولم يكن من الغريب أن
 تستمد الدولة هذه الاساليب فتطبقها في جميع الاقاليم .

أهدت بلاد الشام معاوية بالرجال اللزمين للقيام بأعمال

الادارة و كان أغلب هؤلاء من أهل الشام المسيحيين الذين
 اخذوا اكبر المناصب فى الدولة من ذلك أن الرجل الذى استقل
 بإدارة اموال منطقة دمشق عندما دخلها العرب والذى فـاوض
 العرب الى جانب اسقف المدينة من أجل التسليم و هو سرجون
 بن منصور ظل يشغل منصب المشرف على جباية الضرائب كما عهد
 اليه أيضا بالاشراف على ديوان الجيش (حسابات الجيش) و كان
 هذا الرجل قريبا من معاوية حتى أنه كان أشبه مايكون بكبير
 لامناثه و ظل يحظى بتلك الثقة من الخلافة حتى أيام يزيد بن
 معاوية و بطبيعة الحال كان هؤلاء الموظفون مع أهل الشام
 يستعملون اللغة الاغريقية فى الدواوين وسجلات الدولة هذا كما
 أن النقود التى كانت مستخدمة فى ذلك الوقت ضربت على شكل
 النقود البيزنطية حتى يقال انها كانت تحمل علامة الطليب
 البيزنطى . ولقد وجدت عيّنات او بعض النقود التى ضربت فى
 العصر الاموى من دنانير و دراهم والدنانير تضرب من الذهب
 بينما يضرب الدرهم من الفضة و كان الدينار يحمل على وجهه
 نفس النقش الذى يحمله الدرهم وفى وسط الدينار أو الدرهم
 كان ينقش لا اله الا الله وحده لاشريك له فى ثلاثة أسطر و حول
 هذا النقش و فى شكل دائرى كان ينقش محمد رسول الله أرسله
 بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله . أما من الخلف
 فى وسط الدينار نقرا فى ثلاثة أسطر الله أحد الله السطر الثانى :

الصد لم يلد السطر الثالث ولم يولد . وحول هذه الاسطر الثلاثة وفي شكل دائري باسم الله ضرب هذا الدينار سنة كذا ولا يوجد في الدينار الحلقات الدائرية التي تحف بالطرة أما عن الدرهم الذي وجد من العصر الاموي فوجد عليه من وجه قس الوسط لا اله الا الله وحده لاشريك له في ثلاثة أسطر وحولها باسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا في سنة كذا .

ولوحظ أن كثير من هذه الدراهم تحيطها دوائر في شكل حلقات صغيرة حول الطرة أما من خلف ففي وسطه أربعة أسطر مكتوب فيها الله أحد الله في السطر الثاني الصد لم يلد والسطر الثالث لم يولد ولم يكن السطر الرابع له كفوا أحد . وحول هذا محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

و تتلخص أهمية النقود العربية هذه التي وجدت في أماكن متفرقة في أنها تمدنا بمعلومات عن الأحوال الاقتصادية للدولة العربية و أهمية الاتصالات التجارية التي كانت بين العرب وبين العالم الخارجى وخاصة مع أوروبا الشمالية والشرقية حيث يوجد الكثير من النقود العربية وكانت مستعملة في تلك البلاد الى اوائل القرن الحادى عشر الميلادى .

لكن النوع الذى ذكرناه هو من نقود أواخر ايام العصر

الاموى بعد أن تعرب النقود و أصبح الدينار والدرهم لهما طابع عربى أصيل .

و فيما يتعلق بالشئون المالية قام معاوية بإصلاحات هامة من ذلك أنه أقر الضرائب التي كانت تدفعها الولايات المختلفة الى بيت المال و أشرف عليها اشرافا دقيقا ورفع من كاهل بيت المال كثير من الاعباء المالية و خاصة من الارزاق التي كانت تصرف على كثير من الناس و منع الولاة من الاحتفاظ بالاموال فى خزائنهم الخاصة او بيوت أموال الاقاليم حتى لا يكون ذلك سببا من أسباب اضطراب العسكرو حاسب عماله حسابا دقيقا واهتم معاوية بن أبى سفيان بأحوال الحجاز و شجع الزراعة بفضل اعماله العمرانية و التي كانت تهدف الى أحياء الارض الموات و توفير الماء اللازم بإنشاء المصانع و هى خزانات المياح ورغم ما عرف عن معاوية من استبداده بالملك و بالحكم الا أنه لم يحكم بشكل مستبد بل انه كان أشبه ما يكون بشيخ قبيلة فهو يستقبل زعماء القبائل دون حجاب و يغدق عليهم الهدايا والاعطيات كما انه اعتاد أن يجتمع بالناس فى المسجد الجامع ليشرح لهم سياسته حتى قال بعض الناس انه جعل من المنبر منصه خطابة اكثر منه مكان للموعظ والارشاد و كل هذا ببدل على مقدرة معاوية و يبرز الصفة الكبرى التي تميز بها وهى التي قلنا انها كانت تسمى بالحلم و المقصود بالحلم هنا

هو الهيبة اللطيفة و التحكم فى النفس و التغافل عن الهفوات الصغيرة و هى أهم الصفات التى ينبغى ان يتحلى بها الزعيم .

و بذلك نكون قد انتهينا من الكلام عن الأحوال السياسية الداخلية على أيام معاوية .

السياسة الخارجية لمعاوية ٢

نتكلم عن السياسة الخارجية و هذه تتلخص فى العلاقة مع الامبراطورية البيزنطية و الصراع ضد الروم و كذلك فنسى توسيع حدود الدولة أى الفتوحات سواء فى الشرق أو فى الغرب وأول ملاحظة نلاحظها هى أن معاوية بن أبى سفيان اعتبر الحرب ضد بيزنطة من أهم واجباته بمقتضى رئيس الدولة العربى والحقيقة أن معاوية كان قد خير تلك الحرب منذ ولايته على الشام من أيام الخليفة عمر فتذكر النصوص أنه منذ السنة الخامسة و العشرين للهجرة قام معاوية بنفسه على رأس حملة و عبر جبال طوررس أى منطقة الثغور - والثغر تعنى الحد بين دولة الاسلام والدولة المعادية و ذلك لان جبال طوررس تفصل بين الشام وآسيا الصغرى التى كانت تسمى فى ذلك الوقت أرض الروم . و أشنرف على مدينة عمورية لأول مرة و فى ذلك الوقت كانت المــــــدــن الفينيقية الشامية الموجودة على الساحل بين ايدى البيزنطيين

ولم يكن معاوية يستطيع انتزاعها منهم الا على ايام عثمان
وسيكون ذلك من الاسباب التي دعت معاوية الى العمل على انشاء
الاسطول العربى ورفض عمر أن يسمح له بذلك ولكن معاوية سيحقق
أمنيته هذه على ايام عثمان وبفضل نشاط معاوية فى الميدان
البحرى سيتمكن العرب من بناء الاسطول وسيادة البحر فى برهة
وجيزة حتى انهم سيفلبون على كل البحر المتوسط الذى لم تعد
تسبح للنصرانية فيه ألواح كما يقول ابن خلدون - وفى صيف سنة
٢٨ هـ استطاع معاوية أن يهاجم جزيرة قبرص و بعد ذلك ببضع
سنوات كان يستطيع أن يبعث بأسطول نحو مدينة القسطنطينية
نفسها ولكنه رغم ذلك فان العرب لم يستطيعوا ان يحققوا هدفهم
فى الاستيلاء على العاصمة البيزنطية رغم انهزام الإمبراطور
البيزنطى على ساحل أسيا الصغرى ستمع الظروف بعد ذلك لبيزنطة
ان تحقق فترة من الهدوء و ذلك بعد قيام الفتنة عندما اضطر
معاوية الى أن يشتري سكوت امبراطور القسطنطينية لكى يوجه
كل نشاطه ضد على ولكنه بعد فترة الازمة عاد معاوية الى سياسته
السابقة ضد بيزنطة واستمرت الحرب رتيبة فى كل حالة فى شكل
حملات تسير الى أرض الروم كلما سمحت الظروف الجوية بذلك خاصة
ابتداءً من فصل الربيع و فى فصل الصيف مما سيعطى لهذه الحملات
اسم الموائف و فى بعض الاحيان كان الامر يتطلب بقاء هــ
الموائف فى أرض العدو أو قيام حملات جديدة فى اثناء فصل
الشتاء و فى هذه الحالة كان يطلق على هذه الحملات اسم

الشواتى و مفردھا شاتية و تذكر الحوليات التاريخية حملات
 مستمرة لمعاوية فى أرض الروم و ذلك ابتداء من سنة ٤٠ هـ .
 أما أهم قواد هذه الحملات فهم بسرين ارطاة أو ابن ابى ارطاة
 وعبد الرحمن بن خالد ابن الوليد و مالك بن هبيرة السكونى
 وسفيان بن عوف . و من أهم هذه الصراخف صائفة سنة تسع
 و أربعين و ذلك انه بعد أن قضت الحملة الشتاء فى أرض الروم
 أى فى أسيا الصغرى ،وجه اليها معاوية جيشا كبيرا و كانت
 الفرصة مواتية اذ استنجد بالعرب احد توار الارمن الذى سسمى
 سابر يقوس ولكنه عندما وصل العرب الى قلعة ملطية كـسـان
 القبراطور قد قمع الثورة ولكن ذلك لم يمنع العرب من الوغول
 فى البلاد و فى هذا الوقت أرسل معاوية ابنه يزيد الذى كان
 يعيش حتى ذلك الوقت عيشة لينة سهلة لايهتم الابلذته فقط وذلك
 ليالحق بالجيش .

وتقول النصوص أن بزيدا تشاقل واعتل ولكن معاوية أجبره
 بالحقاق بالناس وجعل فى صحبته كبار أبناء الصحابة مثل ابن
 عباس وابن عمرو وابن الزبير و بعد ان شتى المسلمون أى بعد أن
 أمضوا الشتاء فى أرض الروم تقدموا نحو القسطنطينية ولكنهم
 اضطروا الى رفع حصارهم هذا فى الصيف والعودة الى الشام
 واستمرت الحملات السنوية المنتظمة و كانت حملة سنة خمسين
 برية وبحرية معا و فى سنة ٥٣ شتى عبد الرحمن بن أم الحكم

بأرض الروم فى البحر قام القائد جناده بن ابي امية الازدى
بفتح جزيرة رودس التى احتلها المسلمون الى وفاة معاوية ثم
انهم رجعوا بأمر يزيد .

و فى سنة ٥٤ هـ الموافقة سنة ٦٧٤ م قام معاوية بمحاولة
كبرى لضرب الامبراطورية الرومانية فى موضع القلب و ذلك
عندما ارسل اسطولا عظيما بقيادة جنادة ابن ابي امية نجح هذا
الاسطول فى الرسو على جزيرة قريبة من القسطنطينية يسميها
الكتاب العرب جزيرة ارواد و هى فى الحقيقة جزيرة كزيكوس على
الضفة الجنوبية للبوسفور . وذلك ان ارواد يطلق على جزيرة
قريبة من الساحل الشمالى بالقرب من انطاكية والاسكندرية وبعد
تلك الجزيرة استمر معاوية لمدة سبع سنوات يحاصر البوسفور
و يضغط على العاصمة البيزنطية و لكنه لم يتمكن من تحقيق
مأربة فى الاستيلاء عليها بسبب اسوارها المنيعة و قلاعها
الحصينة و بفضل استخدام البيزنطيين فى الحرب لسلاح جديد هو
الذى يطلق عليه اسم النار اليونانية او النار الجرجوارية
نسبة الى جرجوار و هى عبارة عن مركب بترولى مختلط بكبريت
ينسب اختراعه الى رجل اسمه جالينكوس يقال انه كان من اهل
الشام ولو أن بتلر فى كتابه عن فتح مصر يرى أنه ربما كان
مصريا بفضل هذه النيران انقذت واحترقت كثير من مراكب
الاسطول العربى الذى انسحب بعد أن غرق عدد كبير من المسلمين

و تقول بعض الروايات ان الامر انتهى بعقد معاهدة — مع
 الباسيلوس و يقال أن معاوية هو الذى تعهد بدفع مبلغ من
 المال الى الامبراطور البيزنطى ولم يمنع حصار القسطنطينية
 هذا الذى استمر سبع سنوات كما قلنا من استمرار غارات العرب
 على الاراضى البيزنطية و ذلك فى سنوات ٥٥، ٥٦، ٥٧ هـ . ولكن
 هذه الغارات و ذلك الحصار انتهى بدون نتائج كبيرة كما
 قلنا حتى سمي بعض الكتاب الافرنج هذه الحرب حرب العظيمة
 بمعنى أن هذه الحرب لم تكن ضرورية و أنه فى ظروف دولية
 غير تلك التى كانت ساعدة فى ذلك الوقت كان يمكن الاتفاق
 بين العرب و بين بيزنطة فى سبيل تنمية المصالح الاقتصادية
 أما فى ذلك الوقت كان الغرض من هذه الحرب هو أن تظهر دولة
 العرب والمسلمون لدولة الروم قوتها وعنفوانها و تعمل فى
 كل عام على اظهار سطوتها بتوجيه تلك الحملات السنوية .

الفتوح فى بلاد المغرب :

واذا كان العرب لم يحققوا فى هذا المجال ما لم يستحق
 الذكر نرى أنهم حققوا انتصارات اخرى على دولة الروم وذلك
 فى الجبهة الغربية فى بلاد المغرب و هى شمال افريقية
 والحقيقة أن العرب وجهوا انظارهم نحو المغرب بعد فتح مصر
 كما سبق أن أشرنا فقد توجه عمرو بن العاص منذ سنة ٢٢ هـ .
 وفتح برقة وطرابلس و قران و تقول الروايات انه طلب من

ال خليفة عمر بن الخطاب ان يقوم بفتح افريقية و في ذلك الوقت كانت افريقية ولاية رومانية خاضعة للقسطنطينية ولكنها كانت مستقلة عن الدولة عندما ثار واليها على الامبراطور وهذا الحاكم يعرفه العرب باسم جرجير فلم يوافق عمر ففى ذلك الوقت على التوسع فى افريقية .

العرب بدأوا ذلك على ايام الخليفة الثالث عثمان بن عفان عندما سار من مصر عبد الله بن سعد ابن ابى سرح فلقد دخل ابن سعد هذا الى افريقية و نجح فى هزيمة الحاكم البيزنطى جرجير فى وقعة مشهورة تعرف باسم سبيطلة حدث ذلك فى سنة ٢٧ هـ ولكنه بعد مقتل الوالى البيزنطى عاد ابن سعد الى مصر وتوقف النشاط العسكرى ضد الروم اثناء الفتنة ولانجد ذكرا للوقعة البحرية الشهيرة المعروفة بذات الصوارى و هى التى حطم فيها الاسطول العربى المصرى بقيادة ابن سعد نفسه الاسطول البيزنطى و ذلك بالقرب من شواطئ الاسكندرية كما تقول بعض الروايات فى سنة ٣٤ هـ . و توقف القتال ضد الروم الى أن خلا الامر الى معاوية كما قلنا فعادت فتوح العرب فى المغرب قوية من جديد فى افريقية و تتمثل ذلك فى الحملة التى قام بها معاوية بن حديج الذى سار الى افريقية فى سنة ٤٥هـ وانتصر فرمة انقسام القواد البيزنطيين على انفسهم و تمكن من تحقيق انتصار كبير فى موضع يعرف بجلولاء . اما اهم الفتوحات التى تمت على ايام معاوية فى المغرب فتتمثل فى الحملة التى قام

بها عقبة بن نافع الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للفتح العربي في بلاد افريقية و ذلك عندما بنى مدينة القيروان في سنة ٥٥ هـ لتكون مدينة عربية في بلاد البربر و ذلك جريا على السياسة التي بداها العرب في المشرق و يفضل مدينة القيروان استقرار العرب في بلاد المغرب .

و بعد بناء القيروان و في أيام معاوية ماد من جديد في خلافة يزيد و ذلك في سنة ٦٢ هـ لكي يقوم بحملة كبرى اجتاح فيها كل بلاد المغرب و من ادناها الى اقصاها و وصل الى البحر المحيط و عمل على نشر الاسلام بين القبائل المغربية ولكن حملته الكبرى هذه انتهت باستشهاده و هو في طريق العودة ذلك في موضع قريب من مدينة بسكرة في جنوب بلاد الجزائر الحالية ويعرف الموضع الآن باسم سيدى عقبة .

هذا عن الفتح في بلاد المغرب .

الفتوحات في المشرق :

يبقى الكلام عن الفتوحات في المشرق اننا قد رأينا أن المسلمين وصلوا في فتوحهم في المشرق على أيام عمر الى مشارق خراسان فلقد خرجت الجيوش العربية من الكوفة والبصرة و ساحت في فارس و كرمان و سجستان (عاصمتها مدينة زرنج)

و خراسان من أشهر مدنها مرو و هرات و نيسابور واضطر يزيد
 جرد الى عبور النهر واستنجد بملك الترك و ظل طوال ايسام
 عمر ببلد الترك بعد محاولة فاشلة لمواصلة القتال ضد العرب
 في خراسان و تقول النصوص ان قائد خراسان العربى وهو الاحنف
 بن قيس عندما كتب الى عمر بالفتح كتب اليه الخليفة أن
 يقتصر على مادون النهر (بمعنى انه نصحه الا يعبر النهر)
 ولم يكن هذا يعنى تمام الفتح واستقرار المسلمين في البلاد
 و ذلك ان العرب عندما حققوا هذه الانتصارات السريعة صالحو
 البلاد المختلفة وتركوا حكمها لاهلها من الامراء المختلفين
 الذين عرفوا بالمرزيانات والدهاقنة والدهاقين ومفردها
 دهقان على أن يدفعوا للعرب ما كانوا قد اتفقوا عليه من
 الاموال و على ذلك لم يكن من الغريب ان ينقض اهل البلاد
 هذا الفتح بعد وفاة عمرو كان على عثمان أو على ولاته
 أن يعيدوا الفتح ويقرروا الامور في البلاد من جديد فأرسل
 الجيوش من الكوفة الى أرمينية و آذربيجان و كذلك الى
 طخارستان و جرجان و تم فتح هذه الجهات التي لم تكن قد
 فتحت من قبل سنة ٣٠ هـ - كذلك سارت الجيوش من البصرة الى
 فارس (الولاية) و من فارس الى خراسان حيث تم الصلح مع
 المرزيان على أموال عثيمة و خلال هذه الحملة مات يزيد جرد
 الثالث سنة ٣١ هـ . و سار قائد القوات العربية الاحنف بن قيس

الى خوارزم (تقع على الضفة الغربية لمصب نهر جيحون)
 ولكنه لم يستطع فتحها و تمت كل هذه الفتوحات أيام ولاية
 عبد الله بن عامر البصرة الذي خرج من نيسابور محرماً لعمرة
 شكر الله على ما حققه له من الفتوح . و في بلاد فارس و في
 شغور خراسان بدأ العرب يتعرفون على الترك و بعد مقتل عثمان
 اضطربت البلاد فثارت فارس و كرمان و بعث على يزيد بن أبيه
 الذي استطاع ان يضبط هذه الاقاليم و كان من أسباب اضطراب
 تلك الاقاليم جماعات الخوارج التي لجأت و خاصة في سجستان
 حيث اضطربوا سنة ٣٦ هـ . و أفسدوا فيها و سار على لحربهم
 بنفسه و بعد انقضاء الفتنة و استتباب الأمن لمعاوية بدأت
 حركة الفتوح قوية من جديد فسار المسلمون حتى بلاد السند سنة
 ٤٢ هـ كما أن زياد بن أبيه سير في سنة ٥١ هـ الربيع بن زياد
 الحارثي و سير معه خمسين ألف أسرة من أهل الكوفة والبصرة
 كما سبق ان ذكرنا فسكنوا خراسان - و غزوا اقليم بلخ (علي
 نهر جيحون) و طئ ايام معاوية بدأت المحاولات الاولى لعبور نهر
 جيحون والاستقرار في بلاد ماوراء النهر وعندما استعمل معاوية
 عبد الله بن زياد على خراسان سنة ٤٥ هـ سار اليها فقطع
 النهر الى جبال بخارى فكان أول من قطع جبال بخارى في جيش
 كما تقول الرواية و تم له فتح بعض أعمال بخارى مثل كاش
 و نسف و غنم منها غنائم كثيرة واستمر ابن زياد في ولايته
 سنتين و قطع سعيد بدوره النهر و سار حتى بلغ سمرقند

الفصل الثامن

خلافة يزيد بن معاوية

و هذا يعنى أنه توغل الى أبعد من بخارى الى أبعد مما وصل اليه ابن زياد و حاصر المدينة حتى صالحه أهلها على فدية (طبول تسمى فدية) ثم ان معاوية استعمل عبدالرحمن بن زياد بعد ذلك على خراسان سنة ٥٩ هـ . و تقول الروايات انه كان ضعيفا مريضا لم يغز غزوة واحدة الى سنة ٦١ هـ .

و هذا يعنى أن الغزو فى بلاد ما وراء النهر كان قد أصبح سنة لايحسن الاخلال بها وبطبيعة الحال كانت هذه الحملات ضعيفة مثلها مثل الحملات على حدود الدولة الغربية فكانت تبدأ عندما تتحسن الاحوال الجوية مع دخول فصل الصيف وينتهى قبل هجوم فصل الشتاء و كانت قاعدة العمليات فيما وراء النهر هى مدينة مرو . و بعد وفاة معاوية استعمل ابنه يزيد على خراسان سنة ٦١ هـ و وجه مسلم حملة بقيادة المهلب بن أبى صفرة الى اقليم خوارزم فحاصرها و تم الملح على أن يدفع المحاصرون الفدية و توغل سلم فيما وراء النهر حتى بلغ سمرقند .

خلافة يزيد بن معاوية :

توفي معاوية فى دمشق فى شهر رجب من سنة ٦٠ هـ الموافق شهر ابريل من سنة ٦٨٠ م و كان قد بلغ من العمر الخامسة والسبعين بعد خلافة دامت حوالى عشرين سنة ظهر خلالها بمظهر

السياسي الموهوب فهو كما يقول الكتاب داهية من دواهي العرب بمعنى السياسي المر الصعب المنال فينسب الى عمر بن الخطاب انه عندما ذهب الى الشام قال تذكرون كسرى وقيصر ودهانما وعندكم معاوية . والى معاوية ينسب الكتاب نقله الدولة العربية الاسلامية من طور السذاجة والبساطة الى طور التمدن والتحضير فمعاوية حسما يختم ابن الاثير كلامه عنه اول خليفة بايع ولده في الاسلام واول من وضع البريد واول من سمي الفالية التي تتخذ من الطيب فالية واول من عمل الدائيرة في المساجد ويحيط بالمقصورة الحرس في المساجد واول من خطب جالسا في قول بعضهم وتولى الخلافة بعد معاوية ابنه يزيد الذي كان قد بيع له في حياة والده في سنة ٤٠ هـ وخمسين بيع له بولاية العهد و كان ذلك الامر حدثا خطيرا في الاسلام اذ أنه يغلب مبدأ الوراثة الملكي على مبدأ الانتخاب الشورى الجمهوري مما أشار شافرة المحافظين من المسلمين و في ذلك ينسب الى الحسن البصري انه قال: "أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه الا واحدة لكانت موبقة انتزاعه على هذه الامة بالسيف حتى أخذ الامر من غير مشورة و منهم بقايا المحابة وذوو الفضيلة واستخلافه بعده ابنه سكيما خميرا يلبس الحرير و يضرب بالطنابير " .

ولكنه يظهر ان التجارب التي مرت بها الجماعة

الاسلامية في الفترة السابقة و هي التجارب الدامية التي
ترتبت على النزاع على منصب الخلافة كانت السبب الذي املى
على السياسي الداهية معاوية اتخاذ هذا الاجراء والحقيقة
أن تعيين ولي للعهد كان يحقق لمعاوية هدفين في وقت واحد
الاول احتفاظه برعامة الدولة الاسلامية لعقبه من بعده .

والثاني هو تفادي الاضطرابات عند وفاته فتمكن القليل ان ولاية
العهد كانت تهيء للدولة ملكين أو خليفين في وقت واحد فاذا
ما مات أحدهما لم يشغل المنصب ولم تكن هناك حاجة الى البحث
عن أمير جديد اذ كانت الامور تنتقل الى ولي العهد اي الى
يزيد ولم يكن يلزم لذلك الا اجراء شكلي يتمثل في تجديد
البيعة .

وبقال ان الذي أوصى الى معاوية بهذا الامر هو المغيرة
بن شعبة ولو أنه يقال أن المغيرة فعل ذلك من أجل غرض اثنى
اذ أنه أراد ان يتفادى العزل من الولاية ويقول النيص أن
المغيرة قال لمعاوية أن ذلك يمنع سفك الدماء اذا ما حدث
وهناك مايدعو الى الظن في أن معاوية بن أبي سفيان كان يرى
أن زياد ابن ابيه كان هو الشخص الجدير بالقيام بالامر بعده
وانه فكر فعلا في أن يعهد اليه ويمكن أن يستشف ذلك بان
معاوية لم يقرر تعيين ابنه يزيد الا بعد وفاة زياد وعلى
كل حال قام معاوية باستشارة كبار أموانه و ذلك قبل سنة ٦٠ هـ

وزين له البعض اتخاذ هذه الخطوة الجريئة بينما نصحه البعض بالتروى و كان منهم زياد وطلبوا اليه أن يبدأ بنصح يزيد حتى يترك ما ينقمه الناس عليه حتى تستحكم الحجة له و عندما قرر معاوية البيعة لابنه رأى أن ذلك لن يتم دون معارضة فعمل على اقناع من يمكن ان تأتي منهم المعارضة و هم أبناء المهاجرين والانصار واستعمل معاوية فى اقناعهم اساليب المعتمدة من الترهيب والترغيب فلقد أرسل الى عبد الله بن عمر بن الخطاب الذى كان يتمتع بسعة والده العظيمة والذى كان مرشحا كما قلنا لتولى الامر اثناء محادثات دومة الجندل مبلغا كبيرا من المال يقدر بمائة ألف درهم و تقول الرواية أن ابن عمر قبل المال دون تفكير ولكنه عندما علم أن ذلك سيكون ثمنا لشراء بيعته امتنع .

أما من زعماء اهل المدينة فانهم وافقوا على مبدأ تعيين ولى العهد عندما سمعوا أن معاوية يرغب فى تعيين ولى للعهد واتفقوا على ذلك ولكنهم رفضوا أن يكون المرشح هو يزيد بن معاوية فلقد قال عبد الرحمن بن أبى بكر لمروان بن الحكم عندما عرض هذا الامر كذبت والله يامروان و كذب معاوية مما الخيار اردتما لامة محمد ولكنهم تريدون أن تجعلوها هرقلية مات هرقل قام هرقل "وأنكر كذلك الحسين بن على وعبد الله بن الزبير البيعة ليزيد . ولكن معاوية لم يهتم لهذه المعارضة

فجمع وفود أهل العراق في الشام وحسب طريقته في السياسة رأى الإشير الأمر بنفسه بل عهد به إلى أحد اتباعه فتقـول الرواية أن معاوية قال للضحـاك بن قيس لما اجتمعت الوفود عنده انى متكلم فاذا سكت فكن انت الذى تدعو الى بيعة يزيد و تثنى عليها " و فعلاً قام أحد الحاضرين خطيباً وقال هذا أمير المؤمنين وأشار الى معاوية فان هلك فهذا - وأشار الى يزيد و من أبى فهذا و أشار الى سيفه فقال له معاوية اجلس فانت سيد الخطباء . وبعد بيعة أهل العراق وأهل الشام رأى معاوية ان يسير الى الحجاز وأن يتفقد المعارضين من أبناء المهاجرين و الانصار بنفسه و تقول الروايات : أنه التقى في المدينة بالحسين بن على فأغلظ له و كذلك فعل مع عبد الله بن عمر و عبد الرحمن بن أبى بكر و عبد الله بن الزبير فاضطروا الى الخروج الى مكة فاضبين . ولكن معاوية تبعهم و حاول أن يكتسبهم باللين ولكنهم لم يلبتوا و قبل أن يرحل معاوية جمعهم و كلمهم في البيعة ولكن ابن الزبير تكلم نيابة عنهم و طلب الى معاوية ان يفعل كما فعل النبى و أبو بكر ولم يجد معاوية بدا من استخدام العنف فهددهم بضرب رقابهم أن مارضوه و أعلن معاوية في حضرته و امام جمهرة الناس والحراس وقوف على رؤسهم بالسلاح وقال ان سادة المسلمين و خيارهم هؤلاء بايعوا يزيد فبايع الناس و عاد معاوية الى الشام وهو غاضب

على بنى هاشم فالحق به عبد الله بن العباس وحاول استرضاءه
حدث ذلك فى سنة ٥٧ هـ ومات معاوية فى سنة ٦٠ هـ و طالب
يزيد الخليفة الجديد بتجديد البيعة وخاصة من زعماء ابناء
المهاجرين والانصار هؤلاء فكتب الى واليه بالمدينة الايرفك
بهم واستشاروا الى المدينة وهو مروان بن الحكم الذى كانت
له امرة الحجاز على ايام معاوية فنصح مروان باخبارهم على
البيعة وكان ابن عباس متساهلاً من البداية فوافق على البيعة
وكذلك فعل ابن عمر اما ابن الزبير والحسين فانهما ماطلا
اول الامر ثم انهما خرجا الى مكة بعيدا عن سلطان الوالى
(الوليد بن عقبة) و عندما بلغ اهل الكوفة نبأ مسير الحسين
الى مكة تراءى لهم أن يحاولوا التخلص من الحكم الاموى
فراسلوه واستدموه ليتولى أمرهم .

حركة الحسين بن عيسى :

و هناك نص الخطاب الذى وجهه اهل الكوفة الى الحسين يقولون فيه " أما بعد فالحمد لله الذى قسم مدوك الجبار العنيد الذى انتزى على هذه الامة ثم قتل خيارها واستبقى اشرارها وانه ليس علينا امام فاقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الحق والنعمان بن بشير فى قصر الإمارة لسنا نجتمع معه فى جمعه ولاعيد ولو بلغنا اقبالك الينا اخرجناه حتى نلحقه بالشام ان شاء الله تعالى والسلام عليك " .

و تح هذا الالاحاح الشديد وافق الحسين على الميسر اليهم و لكنه رأى أن يستطلع الاحوال فبدأ بإرسال ابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة وطلب اليه ان يكتب بمارآه هناك ووصل الداعية العلوى الى الكوفة وعلم به النعمان بن بشير ولكن النعمان اكتفى بتحذير الناس وانهذارهم اذ كان حليما ناسكا يحب العافية كما يتناول النص ولغت أنصار الخليفة نظرة الى ضعف اولين أو تضاعف و اليه و تدخل سرجون بن منصور و نصح يزيد بأن يضم ولاية الكوفة الى عبد الله بن زياد ففعل ذلك وسار ابن زياد الى الكوفة فرغب المطيعين وهدد العماة وبيد التفطيش من اوكار المتآمرين فطلب الى العرفاء كتابة اسماء الغرباء والطلبة والحرورية وهدد المهملين من العرفاء تهديدا شديدا بالملب والغاء العرافة من العطاء و بفضل هذه

الاجراءات عرف مخبأ مسلم ابن عقيل و كان لاجفا لدى أحد
 زعماء العرب ورفض الزعيم العربي تسليم ضيفه رغم ما أصابه
 من الضرب الشديد والتهديد . لكنه وافق في آخر الامر على
 ان يخرج من داره ورأى مسلم انه لا مخرج له من هذا المأزق
 الا اعلان الثورة فجمع انصاره واعوانه ورتبهم واتجه نحو
 القصر حيث تعقبه ابن زياد و كان في امكان مسلم ان يسيطر
 على الامر ويقض على ابن زياد واتباعه لولا أن حماس أهل
 الكوفة لم يذهب الى أبعد من توجيه الشتائم والسباب التي
 ابن زياد ثم اتخاذ ل والتفرق عندما اشرف عليهم بعض
 زعماء الكوفة من أعلى سطح القصر و وعدوا أهل الطاعة وتوعدوا
 أهل المعصية ووجد الداعية الحسيني نفسه وحيدا فهام على
 وجهه في المدينة الخالية في وقت الفسق وانتهى به الامر
 الى الالتجاء الى دار امرأة في الصباح عرف مكانه وقبض عليه
 فانهار باكيا لكن مسلم اعتذر بأنه بكى لاهله المنقلبين
 اليه واعتقل مسلم فوق سطح القصر حيث ضربت رأسه و ظهر مسلم
 بمظهر الشاغر المثالي فقد كان آخر وصاياه عندما طلب اليه
 ان يوصي ان يدفع أحد اصدقائه ديناً كان قد استدانه بالكوفة
 قدره سبعمائة درهم و في السوق ضربت رأس الزعيم الذي كان
 قد أجاره وأرسلت الرأس الى يزيد الذي بعث الى ابن زياد
 يشكره ويقول انه بلغه مسير الحسين الى العراق ويوصيه بوضع
 المرادم والمسالح وحراسة الطرق .

أما عن الحسن فإنه اغتر بالرسائل التي جاءت من العراق وخاصة ذلك الكتاب الذي أتاه من مسلم يقول فيه " أنه بايعه من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف رجل ويحثه على الحضور " و علم أهل مكة بما ينوية الحسين فمنهم من نصحه بعدم الخروج مثل ممر بن عبد الرحمن بن الحارث الذي قال له : " ان الناس عبيد الدينار والدرهم " وعبد الله بن عباس الذي سأله " اتسير الى قوم قتلوا أميرهم أم أن أميرهم عليهم قاهر " الظاهر ان بعض الناصحين دفعتهم مصالحهم الانانية الى تشجيع الحسين على القيام بالمغامرة الخطيرة وبممكن أن نفهم أن ابن الزبير كان من هؤلاء إذ يقال ان عبد الله بن الزبير قال للحسين " لو كان لي بها مثل شيعتك لما عدلت عنها " . وتقول الروايات " أن ابن عباس قال للحسين عندما قرر المسير لقد أقرت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز " ورغم معرفة الحسين بحقيقة الموقف الذي كان يتلخص في أن قلوب الناس معه وان سيوفهم مع بني أمية كما قال الفرزدق الشاعر المعروف فإنه قرر الخروج الى العراق ولم ينتصح بنصيحة والى مكة الذي أعطاه الامان وطلب اليه العودة . وعلم ابن زياد بمسير الحسين فحرس العراق وأرسل صاحب شرطته وهو الحصين بن نمير يترقب الحسين . وعندما قرب الحسين من الكوفة أرسل رسولا يأتيه بالاخبار فأخذوا الرسول وقتل ثم انه

الكوفة فكان الحر يرده نحو الطريق . وحاول الحسين أن يستنجد ببعض زعماء العرب ولكنهم رفضوا نجده اذ يقال أن عبيد الله بن الحر عندما طلب منه الحسين أن ينصره رد عليه قائلاً : ماخرجتم من الكوفة الاكراهية ان يدخلها الحسين و أنا بها والله ماأريد أن أراه ولايرانى . و أثناء الطريق وصلت أوامر ابن زياد الى الحر بأن ينزل الحسين بعيداً عن الماء و فى كربلاء (غربى الفرات و على بعد حوالى مائة كيلو متر تقريبا جنوبى غرب بغداد) . أحاط الحرس الاموى بالحسين و أصحابه على حدود الصحراء فى الثانى من محرم من سنة ٦١هـ / ٢ أكتوبر سنة ٦٨٠ م . و ذلك على أمل ان يرفع العطش الحسين على الخضوع و فى اليوم التالى وصل ابن الصحابى المعروف سعد بن ابى وقاص وهو عمر بن سعد على رأس أربعة آلاف رجل معه و امر ابن زياد باستصحاب الحسين الى الكوفة وتقول النصوص انه دارت مفاوضات بين الحسين وبين ابن سعد وقيل أن الحسين مرض ان يعود الى الحجاز او ان يبايع يزيد أو أن يسير الى آفى ثغر من ثغور المسلمين ولكن عروضة هذه رفضت و فى اليوم العاشر من شهر المحرم وجه عمر بن سعد الى الحسين انذارا أخيرا ولكنه رغم أن الحسين كان لاينتظر أى معونة من أتباعه فى الكوفة فانه رفض الاستسلام و عندما رأى تحرش خصومه به عزم على المقاومة مع أصحابه الذين بلغوا حوالى سبعين رجلا مابين فارس وراجل ولكنه حاول محاولة اخيرة

علم بعد ذلك بمقتل مسلم ابن عقيـل وتأكـد من خـذلان شيعته له
وزعم نصـح الناصـحين له بالعودة فانه رفض رغم أنه صـحب معه
اهله واقاربـه من نساء واطفال و تقدم الشاشر المـثالى نحو
مصيره التعس و هو يظن انه مهما كان من امر فان حرمتـه
بصفته حفيد النبى لا يمكن أن تنتهك و هذا ما لم يـكـن رأى
اصحاب الامر • ولا يتردد المؤرخون فى امدادنا بالمعلومات
الدقيقة عن نهاية الحسين و أصحابه ويصورون ذلك بصورة المأساة
الدائمة التى تثير الاسف والشفقة فالحسين بن السـمير أرسل
ألف فارس على رأسهم الحر بن يزيد التميمي التقوا بالحسين
الذى حاول ان يجتذبهم الى جانبه دون جدوى • فتقول الروايات
أنه خطب هذه الجماعة فقال ايها الناس انها معدرة الى الله
واليكم انى لم اترككم حتى آتتنى كتبكم ورسلكم أن أقدم اليـنا
فليس لنا امام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى فقد جفتكم
فان تعطونى ما اطمئن اليه من عهودكم اقدم مصركم وان لم تفعلوا
او كنتم بمقدمى كارهين انصرفـت عنكم الى المكان الذى اقبلت منه •

و طلب الحرمن الحسين ان يسير معه الى الكوفة لىدى
ابن زياد ولكنه رفض وخاطب حراسة من جديد ويبين قرابته للنبي
واحفيته فى الامامه و جرح الامويين ورماهم بالعسف و الجور
واظهر استعداداه للاستشهاد اذ الزم الامر . و حذر الحر واخبره
بأنه سيقتل اذا قاتل لكن الحسين حاول أن يبتعد عن طريق

ياثمة لاستدراج عطف الجند الاموى فبعد أن تدهن بالمسك وركب دابته دعى بمصحف وضعه امامه وجعل اصحابه بين يديه لى هيئة القتال ثم أخذ يخطب فيهم مذكراً بحرمة ولكن خطبته هذه لم تكن بأجدى من خطبة السابقة وعندئذ تعالت اصوات نسائه واخواته بالبكاء والنحيب وبدأ عمر بن سعد الرمى بالسهم ثم تبعه اصحابه وكان من الطبيعى ان ينتهى اليوم بمسحة مروعة يروح ضحيتها اولئك الثوار الذين يطلبون الاستشهاد وهناك تفاصيل دقيقة عن المبارزات الفردية وعن مقتل كل رجل بل وعن كل طعنة تلقاها من امام او من خلف وفى بداية القتال عقرت خيول اصحاب الحسين فأصبح الجميع رجاله وعند الظهر توقفت المذبحة لاداء الصلاة ثم عادت من جديد ولم يبق الا بعض رجال الحسين يقاتلون ويقتلون بين يديه .

و تحدد الروايات موعد استشهاد الطالبين و كان اول من لقي مصرعه على الاكبر ابن الحسين وبعد ذلك يأتى مقتل بنى عقيل و بقى الحسين والمهاجمين يترددون فى طعنه واخيرا تجرأ رجل من كنده فضربه بالسيف على رأسه وقطع البرنس وأدمى رأسه وتبالغ الروايات و هى الروايات العباسية والعلوية من غير شك فى ايراد تفاصيل قصصية مثيرة فالحسين الجريح يدعو ابنه الصغير و يجلسه بحجرة فيرمى رجل الطفل الصغير فيذبحه و هو فى حجر أبيه و يأخذ الحسين دم الطفل الصغير فيصبه فى الارض

ويقول ربي ان تكن حبست عنا النصر من السماء فايث عنامنا
هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين واستبد العرش بالحسين
فدنا من الغرات ليشرب فرماه الحصين بسهم وقع في فمه وحال
الخصوم بينه وبين الماء فقد كان لايقوم الا ليقع و لايقع
الا ليقوم و مع ذلك فالرواية تصوره وهو مخضب بالوشم في جبة
الوشى فهو في ذلك الموقف التعس يحمل يميننا وشمالا فتتكشف
الرجالة عن يمينه وشماله انكشاف المعزى اذا شد فيهما
الذئب . و انتهى الامر بأن حمل عليه الرجال من كل جانب وكانت
آخر طعنه فانها طعنة رجل قضت عليه .

واحتز رأس الحسين وانتهبت امتعته وأرسلت الرأس واقتيد
النسوة و الاطفال و فيهم على بن الحسين (زين العابدين) في
موكب جنازى الى ابن زياد الذى قال انه حمد الله الذى أظهر
الحق واهله و نصر امير المؤمنين يزيد و حزيه و أرسل ابن
زياد الرأس والموكب التعس الى الخليفة الذى أسف اسفا شديدا
فيقال انه دمعت عيناه . وقال كنت أرى من طاعتكم بدون قتل
الحسين .

. و تقول الرواية أن يزيد امر باعادة العلويين الذين
نجوا من المجزرة الى المدينة و عاملهم بلطف اثار اعجابهم
حتى أن سكيئة منهم كانت تقول ما رأيت كافرا خيرا من يزيد
ابن معاوية . سألهن عما أخذ منهن فاضعه لهن . والظاهر

ان الامويين اعتبروا ان مقتل الحسين نوعا من الاخذ بالشار
لمقتل عثمان قريبتهم وذلك انه عندما وصل الخبر الى المدينة
و نعى للعلويين قتلهم قال والى المدينة " ناعية كناعية
عثمان " و قتل الحسين بن على وله من العمر حوالى خمس
وخمسون سنة .

و سنلخص اهمية مقتله فى النتائج السياسية والفكرية
البعيدة المدى الى تروتبت عليه فمن الناحية السياسية سيعمل
مقتل الحسين على تكتيل وتوحيد صفوف الشيعة فى سبيل الشار
لحفيد النبو الشهيد .

و من الناحية الفكرية سيكون مقتل الحسين من العوامل
التي عملت على تقدم الافكار الشيعية و ذلك ان الحسين أصبح
فيما بعد المحور الذى تدور حوله كل الميول ذات الاتجاه
المناهض للعروبة و للعرب ومقام الحسين فى موضع كربلاء يعتبر
حتى اليوم من اقدس الاماكن التى يحج اليها الشيعة وخاصة
الفرس منهم و حتى اليوم يحتفل الشيعة بيوم العاشر من محرم
يوم عاشوراء و هو يوم مقتل الحسين احتفالا حزينا مهيبا يذكر
بالالام التى اصاب الحسين فى ذلك اليوم .

و الظاهر ان ذلك العيد الحزين التعس كان من الاسباب
التي دعت أهل السنة الى الاحتفال بعاشوراء احتفالا مخالفا

اذ انه اعتبر من الايام السعيدة ايام المواسم مثل رأس السنة
الهجرية والمولد النبوي، ومثل النصف من رجب وما شابه ذلك
من الاعياد .

هكذا تخلص يزيد من أشد خصومه وهو الحسين ابن عيسى
ولكنه رغم ذلك لم تنتهي معارضة أهل الحجاز فقد كان هناك
عبد الله بن الزبير الذي كان يتحدى الخليفة منذ حوالي عام
وهو في مكة وكان ابن الزبير في حقيقة الامر أكثر خطورة على
الامويين من الحسين ففي الوقت الذي كان يعلن فيه انه مستجير
بالبيت كان يبايع لنفسه سرا و من مكة كان يشير أهل المدينة
الذين كانوا يطمعون في استعادة ماسلبهم أهل الشام من سلطان
والذين استنكروا اراقة دم حفيد النبي ايما استنكار. ولقد
حاول يزيد ان يكتسب أهل الحجاز الى جانبه فقرر اتخاذا
اجراءات منيفة فذهب بعد أن فشل اللين وسياسة المداراه وبدأ
يزيد بعزل عامله على مكة وهو عمر بن سعيد بن العاص الذي
اتهم رغم شدته و عنفه بأنه كان يدارى ويرفق باين الزبير
وعهد يزيد بالولاية الى الوليد بن عتبة الذي اشتد في طلب
ابن الزبير و كان عبد الله بن الزبير سياسيا يعرف كيف يخفى
نواياه و كاد للوالى أى للوليد اذ كتب للخليفة يبين لـه
أن واليه أحق وانه لو أرسل رجل غيره فربما امكنه التفاهم
معه وظهر يزيد بمظهر المتساهل الذي يرغب في اقرار السلم

فعزل واليه جعل الولاية لاحد ابناء عمومته وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان . وأراد الوالى الجديد ان يكتسب اهل الحجاز الى جانب يزيد فأرسل و قداء منهم الى الشام وأكرم الخليفة ذلك الوفد . اكراما بالغاً فغمروهم بالهدايا ولكن هذه الزيارة أتت بنتيجة عكسية فقد عاد امراء الوفد وهم يسخطون على الخليفة الذى اتهم فى دينه وبأنه يشرب الخمر و يضرب بالطنابير و يعزف عنده . القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده اللصوص .

و ترتب على هذه الدعاية السيئة ان ثار أهل المدينة و خلعوا يزيد و تزعم هذه الثورة عبد الله بن حنظله الذى كان من زعماء الوفد والذى اكرمه يزيد اكراما بالغاً وبدأ أهل المدينة بطرد واليهم عثمان بن محمد ولم يستسلموا الى نصحه ثم انهم بعد ذلك حصروا من كان فى المدينة من الامويين الذين لجأوا الى دار زعيمهم مروان بن الحكم و كان الامويون حوالى ألف رجل و أجبر أهل المدينة الامويين على الخروج من ديارهم بعد أن عاهدوهم على الانضمام الى قوات أهل الشام والايدهم على عورات المدينة . و أرسل يزيد الى الامويين قوات من اثنا عشر ألف رجل من أهل الشام بآبادة مسلم بن عقبة الذى كان له خدماته المعروفة على أيام معاوية .

وقعه الحرة في ذى الحجة سنة ٦٣ هـ .

واتجه الجيش الشامى نحو المدينة ووصل بالقرب منها حيث التقى بجماعة الامويين المطرودين بموضع يعرف بسوادى القرى و تقول الروايات انه بفضل عبد الملك بن مروان اتخذ مسلم بن عقبة طريق الحرة (والحرة هى السهل البركانسى المنبسط فى شرق و شمال شرق المدينة) وستنسب الواقعة الى هذا الموضع الذى عسكرت فيه قوات اهل الشام فى أواخر سنة ٦٣ هـ فى شهر ذى الحجة و أنذر مسلم أهل المدينة و أمهاتهم ثلاثة أيام لكي يستلجسوا ولكي ينضموا الى جانبه ضد ابن الزبير ولكن المدة انقضت ورفض المدنيون الخضوع لاهل الشام و بدلا من أن يمحشوا فى مدينتهم ووقفوا موقف الدفاع تقدموا نحو مسلم وشنوا عليه حربا شديدة انتهت بالقضاء على كثير من شيوخ قريش من الانصار . وحسب الاوامر التى كان قد امر بها يزيد استباح مسلم بن عقبة المدينة لمدة ثلاثة ايام يقتلون الناس و يأخذون المتاع حتى أفلح ذلك الامر الرهيب من كان بها من الصحابة ثم ان مسلم تقبل بعد ذلك خضوع أهل المدينة وبيعتهم ليزيد بعد أن قتل كثيرا من الناس و النصوص تبلغ فى الاجراءات العنيفة التى اتخذها مسلم بن عقبة الذى كان مريضا فى ذلك الوقت من ذلك : انه دعا الناس الى البيعة ليزيد على انهم خول له يحكم فى دماهم و اموالهم و اهليهم

من يشاء فمن امتنع من ذلك قتله " كذلك هناك بعض الناس الذين كانوا يقولون ضايح على الكتاب والسنة هؤلاء كانت ترفض بيعتهم ويقتلون بعض الامويين الذين رفضوا الخروج مع بنى أمية واسمه عمر بن عثمان كان من العلويين فمضى المدينة يرفض الخروج فنتف مسلم لحيته وقال هذا خبيث ابن الطيب .

نتائج واقعة الحيرة :

و كان من نتائج الواقعة خروج كثير من الصحابة والتابعين الى المغرب حيث انضموا الى الجيش العربى الافريقى وساروا فى قوات الى المغرب ونحو بلاد الاندلس وسيكون لكثير من هؤلاء المدنيين شأنهم فى اخبار بلاد الاندلس وما قام فيها من النزاع بين العصبية العربية وبين أهل الشام و أهل الحجاز .

حصار الحصين بن نمير لمكة :

و كان مسلم بن عقبة مريضاً وهو يضرب الحصار على المدينة كما قلنا ولكنه رغم مرضه توجه نحو مكة فمات في الطريق بعد أن عهد بقيادة ثواته الى الحصين بن سمير ووصل الحصين امام مكة في اواخر شهر المحرم سنة ٦٤ هـ و كان أهلها قد بايعوا ابن الزبير واعلنوا الثورة و خاصة عندما وصلهم المنهزمون من أهل المدينة و خرج عبد الله بن الزبير الى لقاء أهل الشام ولكنه لم يستطع الوقوف امامهم فاعتصم بمكة التي ضرب عليها الحصار مدة شهر تقريباً و خلال هذا الحصار احترق البيت الحرام اثر ضربه بالمنجانيق . هذا ولو أن هناك رواية تقول انه احترق من نار كان يوقدها اصحاب عبد الله حول الكعبة واشتد الحصار واحسنت مكة بشدة وطأته و ذلك عندما وصلت ابناؤه وفاة يزيد بن معاوية وعندئذ فاض الحصين بن نمير الذي كان يعرف الانقسامات في صفوف أهل الشام عبد الله بن الزبير و عرض عليه ان يعترف به خليفة اذا تعهد باعلان العفو العام و شريطه ان يسير معه الى بلاد الشام حتى تظل مركز الدولة . وبطبيعة الحال لم يوافق عبد الله بن الزبير على الشرط الاخير و تدل تفاصيل المفاوضات على أن عبد الله بن الزبير كان مثالياً في ثورته و انه لم يكن سياسياً و تقول الروايات أنه عندما عرض عليه الحصين البيعة كان

يتكلم سرا وهو يجهر ويقول والله لأفعل حتى استاء الحصين
و قال له " قبح الله من يعدك بعدد ذنبا وآيبا كنت أظن
أن لك رأيا و أنا أكملك سرا و تكلمنى جهرا وأدعوك الى
الخلافة و أنت لاتريد الا القتل والهلكة " .

وانتهى الامر بأن رفع الحصين الحصار و عاد فى طريقه
الى بلاد الشام .

موت يزيد بن معاوية فى شهر ربيع الاول سنة ٦٤ هـ :

و توفى يزيد بن معاوية فى شهر ربيع الاول من سنة ٦٤ هـ
بعد خلافة لم تدم الا أقل من أربع سنوات لم يعمل خلالها الا على
التمتع بتركه و الده و قد عرف بحبه للشعر و الخمر والغناء
والنساء والرياضة و هذا ما لم يكن ينبغى أن يحدث فى الدولة
الناشئة التى لم تكن قد استقرت الامور فيها بعد ولهذا السبب
كان يزيد فى نظر المؤرخين من أصحاب الميول العباسية والعلوية
أسوأ خلفاء بنى أمية كذلك يأخذون عليه انه لم يستمر فى
سياسة معاوية القوية فيما يتعلق بمواصلة الحرب ضد بيزنطة
بل انه وضع حدا لهذا الصراع عندما امر القوات العربية بالعودة
من حصار القسطنطينية ولكنه رغم ذلك تنسب الى يزيد بن معاوية
القيام بعدد من الإصلاحات من ذلك اصلاحات تتعلق بالادارة المالية
واصلاحات خاصة بشئون الرى والزراعة منها الاهتمام بغوطة دمشق .

الفصل التاسع

معاوية الثانى (بن يزيد)

معاوية الثانى (بن يزيد)

و بعد وفاة يزيد ببيع لابنه معاوية الثانى وذلك رغم صغر سنه اذ لم يكن له فى ذلك الوقت الا حوالى عشرين أو واحد وعشرين سنة مما يؤكد ان نظام الوراثة ثبت بشكل نهائى ولم يقدر لمعاوية الثانى هذا ان يمكن فى الخلافة طويلا اذ أنه توفى بعد حوالى ثلاثة أشهر فقط فى بعض الروايات اقل من شهرين وذلك فى وباء كان قد حل بالشام فى ذلك الوقت وهو طاعون شديد راح ضحيته معاوية بن يزيد .

وكانت وفاة معاوية بن يزيد نذيرا بقيام صراع مريع بين العصبية العربية فى بلاد الشام والحقيقة ان هذا الصراع العصبى كان قد بدأ فى الشام قبل وفاة يزيد ولم يتوقف هذا النزاع بين القبائل العربية طوال العصر الاموى وسيكون من أسباب الضعف التى ستودى بالدولة فيما بعد . فمجموعة القبائل التى تنتسب الى عرب الشمال أى الى النزارية وخاصة من قبيلة قيس و بطونها المختلفة مثل قبائل غطفان و مضر وغيرها هى التى كانت قد استقرت فى بلاد الشام وفى الجزيرة وكذلك فى العراق كانت ساخطة على السياسة الاموية و ذلك منذ بدأ معاوية يحاوى عرب الجماعة الاخرى من عرب الجنوب وهم الكلبية . و على ذلك انتهزت قبائل القيسية فرصة وفاة

معاوية الثانى واعترفت بخلافة ابن الزبير وذلك فى شمال الشام وسار القيسية تحت قيادة زعيمهم زفر بن الحارث الكلابى وطردها والى قنسرين الكلبى .

و بعد وفاة معاوية الثانى اعترف والى حمص وهبى النعمان بن بشير بخلافة ابن الزبير هو الآخر اما الضحاك بن قيس الذى كانت له السلطة فى دمشق فقد وقف موقفا مائعا فيقال " انه كان يملئ بالناس و يقيم لهم امرهم حتى يجتمع الناس و هو يدعو الى ابن الزبير سرا " و أظهر مروان بن الحكم الذى كان رئيسا للبيت الاموى فى ذلك الوقت ميله الى التنازل عن حقوقه فى الخلافة لمصلحة ابن الزبير و الظاهر انه اراد أن يخرج من مجال التفكير فى هذا الامر الى حيز التنفيذ لو لا أن ولى عبيد الله ابن زياد من العراق فاقنعه بالعدول من موقفه وبين له أن - الموقف لم يكن ميخوسا منه تماما - و أنه يمكن تقويمه وعلى ذلك لم يبق مع الامويين الا الاردن - حيث كان حسان بن مالك خال يزيد يعرف موقف الضحاك بن قيس المتردد فكتب اليه بدمشق لكى يعلن أنه الى جانب الامويين كما كتب الى بنى امية يدعوهم الى الاتحاد والضغط على الضحاك ولكن الامر انتهى باضطراب العاصمة الاموية فقامت بهما المناوشات بين الكلية الذين ارادوا ترشيح خالد بن يزيد و بين القيسية خصومهم و أعلن الضحاك انفصاليه تماما عن الامويين وانضمامه

الى جانب ابن الزبير ثم انه عادو اعتذر لبنى أمية .

- عقد مؤتمر الجابية سنة ٦٤ هـ .

- فسير الضحاك الى مرج راهط :

و أخيراً تم الاتفاق بين الضحاك وبين حسان بن مالك
والامويين على عقد مؤتمر الجابية (منطقة قريبة من دمشق)
لاختيار رجل من بنى أمية ولكن الضحاك غير رآيه وهو فى الطريق
الى الاجتماع وسار الى موضع يعرف بمرج راهط (شمال دمشق)
حيث نزل باصحابه القيسية وطالت المفاوضات بين الامويين—
فى الجابية فكان أحوال يزيد يتمسكون باختيار خالد بن يزيد
الذى كان صبيا صغيرا بينما مال الحميين بن نمير و عبید الله
بن زياد الى مروان وبعد أخذ ورد انتصر حق لاسن ورجعت كفة
مروان واقتنع الكلبية بأحقية فى الخلافة ولكن بعد أن تم
الاتفاق على أن تكون ولاية العهد لخالد بن يزيد وكذلك أمرة
حمصو اتفقا على أن يكون عمر بن سعيد بن العاص واليا ثانيا
للمهد بعد خالد .

الفصل العاشر

مروان بن الحَكِيم

بيعة مروان بن الحكم للخلافة في ذي القعدة سنة ٦٤ هـ:

وبذلك تمتبيعة مروان في شهر ذي القعدة من سنة ٦٤ هـ الموافق لشهر يونية سنة ٦٨٤ م وتقدم الخليفة مروان ومعه حسان بن مالك زعيم الكلبية وصاحب القوة المادية في ذلك الوقت بصفته واليا للاردن وصار مروان نحو دمشق في طريقه الى مرج راهط حيث عسكر الضحاك بن قيس ومعه رجاله من القيسية وما وصله من الامدادات من حمص وقنسرين وفلسطين . أما عن مروان فاجتمعت عليه قبائل كلب وفسان والسكون وكان على ميمنته عمرو بن سعيد وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد فبدأت المناوشات بين الطرفين وطالت الى حوالي عشرين يوما وصلت اثناءها أنباء عن استيلاء المروانية على دمشق وأخراج عامل الضحاك عنها وعلان خلافة مروان الذي بدأت تتدفق عليه الأموال والرجال والسلاح .

وأخيرا تقدمت القيسية لملاقاة مروان في أوائل سنة ٦٥ هـ في شهر المحرم يوافق شهر أغسطس وانتهى القتال بانهمزام القيسية أمام اليمانية هزيمة منكرة فقتل الضحاك ، وقتلت قيس مقتله لم يقتل مثلها في موطن قط بمعنى أن المعركة كانت معركة دامية خطيرة . وترتب على تلك الهزيمة أن انفرط عقد القيسية فهرب النعمان بن بشير الى حمص ولكنه أخذ وقتل واستعيدت أمراته . الكلبية وهرب زفر بن الحارث من قنسرين ولكنه

أخذ في شرقها كذلك هرب ناتل بن قيس من فلسطين وسار الى مكة وكان ذلك يعنى نجاح مروان فى استخلاص كل بلاد الشام وفى دمشق أخذ البيعة لنفسه .

والذى يلاحظ على معركة مرج راهط هذه هو أنه رغم أنها شبتت حكم مروان وبنيه أى حكم الأمويين بشكل نهائى فى الشام إلا أنها أشارت حروبا دموية بين العصبيتين العربيتين الكبيرتين ولقد عملت تلك الحروب على زيادة الكراهية بين الجماعتين مما عمل على أضعاف العنصر العربى وأدى فى نهاية الأمر الى سقوط الدولة الأموية ولم يظل حكم مروان بن الحكم الا أقل من عام ولكنه رغم ذلك يعتبر مرحلة هامة فى تاريخ الدولة الأموية فمروان كان له من العمر ما يقرب من اثنين وستين عاما فى ذلك الوقت .

لكننا نلاحظ أن مروان كان أمويا من فرع غير فرع معاوية ولهذا السبب سيطلق على بنيه اسم العروانيين والظاهر أنه بسبب وجود مروان فى الحجاز لمدة طويلة لم يكن يتمتع كثيرا بعطف أهل الشام وعلى هذا الأساس يمكن أن نفسر كيفية ارغامه على العهد من بعده لخالد بن يزيد . ولكن مروان لم يف بذلك الوعد وكان وجود خالد الى جانبه يهدد مركزه ثم انه عمد الى الزواج من أم خالدحتى يوازن بين نفوذ الكلبية التى تنتسب

اليهم أم خالد وبين القيسية الذين هزموا في مرج راهط وذلك بإمكانه التدخل في أمر ولي العهد . الى جانب ذلك عمد مروان الى التنازل للقيسية عن بعض الأشياء وذلك في محاولة لارضائهم بعد أن انتقم منهم ذلك الانتقام الشديد وتوطد مركز مروان بفضل الحملة الناجحة التي قام بها الى مصر والتي انتهت باستيلائه عليها حيث كان عبد الرحمن بن جحدم يدعم لابن الزبير هذا في الوقت الذي نجح ولاته في دفع هجوم كان قد قام به ممعب بن الزبير في فلسطين وعند ماتوطد مركز مروان بهذا الشكل تمكن من اقناع خالد بن يزيد بالتنازل عن ولاية العهد لولدى مروان وهما عبد الملك ثم عبد العزيز الذي سيعطى ولاية مصر . وهكذا قدر لخلافة دمشق الأموية أن تستمر في حكم الدولة العربية وذلك رغم أنها غيرت سلسلة الخلفاء فال الأمر الى المروانيين بعد السفليانيين ولكن المروانيين سيعيدون أمجاد معاوية وستعرف الدولة العربية على أيامهم فترات من الرخاء والازدهار .

وفاة مروان بن الحكم :

توفي مروان بن الحكم في شهر رمضان سنة ٦٥ هـ يقابل شهر مايو سنة ٦٨٥ م ، وذلك في وباء للطاعون كان قد ظهر من جديد في الشام . هذا ولو أن بعض الروايات تقول انه مات بتدبير أم خالد بن يزيد التي أرادت أن تنتقم لخلع ابنها من ولاية العهد

ولكن أغلب الظن أن هذه الرواية لا أساس لها من الصحة
 ثم إنه لو كانت الخلافة إلى ابنه عبد الملك بعد أن عزل
 ولي العهد السفياني .

الفصل الحادى عشر

خلافة عبد الملك بن مروان

خلافة عبد الملك بن مروان

(٦٥ - ٨٦ هـ)

وبوفاة مروان تبدأ خلافة عبد الملك بن مروان الذي يسمى أبو الملوك لأنه سبى الخلافة بعده أربعة سن بنيه واستمر عبد الملك في الخلافة مدة عشرين سنة من (٦٥-٨٦ هـ / ٦٨٩ - ٧٠٥ م) ويمكن أن يقال أن عبد الملك انتزع خلافته بشيء من الصعوبة وأنه خلال فترة العشرين عاما التي تولى فيها الخلافة تمكن هو ومعاونيه من تحقيق وحدة الدولة العربية الإسلامية الشاسعة .

الأحوال الداخلية في الدولة عند تولى عبد الملك الخلافة :

ففي الوقت الذي ولى فيه عبد الملك كان زعيم قيسية الفرات زفر مستمرا في ثورته كما أن بقية الولايات كانت تنقف الى جانب ابن الزبير وتعرضت بلاد الشام نفسها وخاصة الأقاليم الشمالية منها خلال العامين الأولين من خلافته لغارات قام بها البيزنطيون الذين حرضوا سكان الأقاليم الجبلية الشمالية والذين يسميهم الكتاب العرب باسم الجراجمة على الثورة .

أما عن بلاد العرب أي مهد الاسلام فانها ظلت شائرة هوى الأخرى فرغم الهزائم التي لحقت بابن الزبير فانه ظل يسيطر على الحجاز بل وأكثر من هذا اتخذ لقب أمير المؤمنين ولم يكتفأبى الرئى بذلك بل فرض سلطانه على مكة حيث كان قد أعاد بناء

الكعبة التي التهمتھا النيران كما سبق أن أشرنا بل انه نجح في مد نفوذه وسلطانه على كل الجزيرة أي كل بلاد العرب بينما كان ابن الزبير يسيطر على بلاد العرب كان أخوه مصعب ينوب عنه في البصرة ويحكم باسمه بلاد العراق . معنى هذا انه كان على عبد الملك أن يقوم بمجهودات عظيمة لتهدة تلك الأقاليم واعادتها الى حظيرة دمشق وعلى ذلك بعد أن اكتسب عبد الملك الهدوء في شمال بلاد الشام أخذ يوجه نشاطه ضد مصعب أخى عبد الله بن الزبير وكان مصعب في ذلك الوقت يلقي كثيرا من الصعوبات فالعلويون ظلوا هادئين عقب مقتل الحسين لعدم وجود زعماء أكفاء يدبرون أمرهم .

حركة التوابين :

قامت عقب مقتل الحسين حركة بين الشيعة نادت بأن الشيعة أخطأوا خطأ كبيرا عندما دعوا الحسين ثم تركوا نصرته ورأوا انه لا يغسل عارهم هذا الا قتل قتلته وعلى ذلك اجتمع عددا من زعماء الشيعة في الكوفة ودعوا الى جهاد الخاشعين الى التوبة من الذنب العظيم ولهذا السبب عرفهم الكتاب باسم التوابين أي الذين تابوا من ذنبهم في مقتل الحسين ووجد الشيعة زعيمهم المنشود في شخص المختار ابن ابي صبيد الثقفي وقد نشأ هذا الرجل وتربى في كنف عمه الذي كان والى لعل على المدائن ووصل المختار الى الكوفة بعد موت يزيد بستة أشهر ويصف

المستشرق الهولندي دوزى المختار فيقول انه يجمع بين المتناقضات فهو جرى * مرن فى نفس الوقت وهو عنيف خبيث ، شهم شرير، ويقول بعد ذلك وهو عند الغضب نمر مفترس وعند التروى شعلب مخادع .

والحقيقة ان المختار مر بمعظم الأحزاب الاسلامية التى ظهرت فى ذلك العصر من خوارج وسنة وزبير بين وشيعة وكان قد اشترك فى ثورة مسلم بن عقيل وقبض عليه وضرب وسجن حتى قتل الحسين . وتقول بعض الروايات ان عبد الله بن عمر ابن الخطاب هو الذى شفع لدى يزيد فى أمر المختار فأطلقه من سجن ابن زياد وبعد خروجه من السجن لجأ الى ابن الزبير بمكة وبايعه على أن لا يقضى الأمور دونه بمعنى أن أصبح مستشارا لابن الزبير وقام المختار عند الزبير وشهد معه قتال الحصين بن نمير وبعد ثلاث سنوات ظهر المختار فى العراق كما يقال كسفير لابن على الأمير وهو محمد الذى يعرفه الكتاب باسم امه فهو ابن الحنفية وقالوا انه لم يمت بل هو موجود فى جبل رضى . واتخذ المختار طريقا جديدا فى دعوته وذلك انه أخذ يدعمو لمذهبه فى شـعر عامض المعنى الى قرب ظهور المهدي الذى يمحو الظلم من الأرض ويعملها عدلا الى آخر الزمان . ونجح المختار فى اجتذاب كثير من الانصار وخاصة من طبقة العوالى الفرس الذين دخلوا فى الاسلام ولم يعاملهم الامويون معاملة الموالى أو الأخوة كما تقضى بذلك الاسس الاولى للاسلام التى لا تفرق بين عربى وعجمى

إلا بالتقوى وعهد المختار بقيادة اتباعه إلى إبراهيم بن مالك
 الاشر وهو ابن قائد على المشهور في صفين وتمكن بفضل حركة
 جريئة من انتزاع مدينة الكوفة من ابن الزبير ومنها أخذ
 يتشر نفوذه في كل العراق والولايات الشرقية للدولة وهي
 الولايات التي كان يضيق أهلها ذرعا بالحكم الأموي . ولكن المختار
 لم يستطع أن يكتسب قلوب أهل الكوفة الذين انتهزوا غياب
 الأمير الذي كان قد عبأ كل قواته ضد عبد الملك وهاجموا
 المختار وتآزم موقف المختار لولا عودة قواته التي تمكنت من
 إنقاذه وعندئذ أنزل بأعدائه عنوة دامية بحجة اشتراكهم
 في مقتل الحسين . وبعد ذلك تمكن ابن الاشر من الايقاع بجيش
 عبید الله بن زياد وهو المسئول الأول عن مقتل الحسين وذلك
 على تهر الزاب وهو أحد روافد دجلة بالقرب من مدينة الموصل
 ولقي ابن زياد مصرعه في ذلك اليوم . واحتفل المختار بذلك
 النصر احتفالا فريبا إذ أنه أقام عرشا خاليا اعتبره عرش على
 وكان يطالب جنده بخمائمه . ولكنه أعقب ذلك الانتصار الكبير
 انهيار المختار وذلك ان مصعب ابن الزبير الذي كان يحارب
 الخوارج حتى ذلك الوقت في البصرة سار إليه وحاصره في قلعة
 الكوفة بعد معركتين داميتين وأخيرا سقط المختار قتيلا أثناء
 هجوم يائس قام به وذلك في شهر شوال من سنة ٦٦ هـ الموافق
 ابريل سنة ٦٨٢ م . بعد أن دافع عن القلعة طوال أربعة أشهر
 وانتهى المختار ولكن مذهب عاشقين الشيعة رغم الاجراءات

العنيفة التي اتخذها مصعب بن الزبير ضد اتباعه ونجح مصعب بن الزبير في القضاء على عدد من الحركات الاموية التي لم تهدده كثيرا ولكنه في سنة ٧١ هـ ظهر عبد الملك بنفسه على رأس جيشه في العراق وفي ذلك الوقت كانت قوات مصعب بن الزبير تقاتل الخوارج تحت قيادة المهلب بن ابي صفرة وتقدم مصعب بنفسه للقاء الخليفة بالقرب من مسكن او باخمرا (باخمرا هذه على الضفة الغربية لدجلة شمال بغداد) ولكن قواد مصعب لم يظهروا ثقة بالنفس وانضموا الى جانب عبد الملك الذي نجح في اغرائهم بالوعود الجذابة وعرض عبد الملك ولاية العراق على مصعب شريطة ان ينضم الى جانبه وبطبيعة الحال رفض مصعب ان يخون اخاه وعندما قيل له اقبل امان امير المؤمنين قال امير المؤمنين بمكة بمعنى انه لايعترف الا باخيه وانتهى الامر بان هجر مصعب معظم اصحابه ودارت معركة حامية وبعد قتال مرير مجيد سقط مصعب في ميدان القتال وذلك في شهر جمادى الآخرة .

الغناء على ابن الزبير :

وبذلك لم يبق أمام عبد الملك سوى عبد الله بن الزبير الذى كان مقيماً بمكة لا إذا أى معتصماً بالحرم . فأرسل إليه عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفى والحجاج ثقفى من مدينة الطائف مثله فى ذلك مثل ابن زياد وكان الحجاج بن يوسف قد اكتسب ثقة عبد الملك خاصة أثناء الحملة التى قام بها عبد الملك ضد معب وسار الحجاج على رأس ثلاثة آلاف رجل من أهل الشام فى شهر جمادى الأولى سنة ٧٢ هـ ولم يتجه نحو المدينة بل انه صار الى الطائف واتخذها قاعدة لعملياته ومن الطائف تقدم نحو مكة فوصلها فى شهر ذى القعدة ولم يحترم الحجاج ما كان للمدينة المقدسة من تبحيل وتكريم فأخذ يرميها بالمنجنىقات من أعلى جبل " ابي قبيس " وظل عبد الله بن الزبير يقاوم طوال سبعة أشهر وهو معسكر حول الكعبة وأخيراً انتهى الأمر بمقتله فى جمادى الثانية سنة ٧٣ هـ أكتوبر سنة ٦٩٢ م أثناء هجمة قوية كان قد قام بها ولكن بعد أن هجره معظم أصحابه حتى أبناءه وبموت عبد الله بن الزبير عانت الوحدة من جديد الى الدولة العربية وكافأ عبد الملك قائده المنتصر الحجاج بأن ولاه الحجاز واليمن واليمامة . وبعد أن ظل الحجاج فى منصبه هذا مدة سنتين نجح خلالهما فى أن يقر النظام اذ بعثه الخليفة

ليخلف أخاه بشر بن مروان الذى كان قد توفى تاركاً ولاية البصرة أى ولاية العراق وكان معه أثناء ولايته هذه موسى بن نصير كمستشار له استندى عبد الملك الحجاج وعهد اليه بولاية العراق وافتتح الحجاج ولايته فى العراق فى مدينة الكوفة بخطبة سياسية مشهورة فى الأدب العربى مثلها مثل خطبة زياد بن أبيه . وبعد أن تخلص عبد الملك من منافسة بدأ بسرعة الحرب ضد بيزنطة وكانت هذه الحرب قد توقفت منذ حوالى خمسة عشر عاماً وذلك عندما اضطر عبد الملك نفسه الى شراء السلم بدفع الأموال للناسيلوس .

الصراع ضد بيزنطة فى المغرب :

وكان الصراع ضد بيزنطة فى الميدانين الأفريقى والآسيوى جميعا ففى المغرب وبعد مقتل عقبة بن نافع بالقرب من مدينة بسكرة تمكن الشاشر كسيله البربرى من الاستيلاء على القيروان وبعد ذلك أصاب الضعف النشاط العسكرى للدولة العربية بسبب المعويات التى واجهها يزيد بن معاوية ثم معاوية الثانى وبعد ذلك مروان وخاصة خلال الفترة التى طالب فيها عبد الله بن الزبير بالخلافة ولكنه بعد موت ابن الزبير بعث الخليفة عبد الملك بقائد من كبار قواده هو حسان بن النعمان على رأس أربعين ألف رجل وهذا يعنى أن جيش حسان كان أكبر جيش اسلامى دخل البلاد ولم يلتق العرب البربر ولكنهم بدأوا بالبيزنطيين ايضا كانوا قد انتهزوا فرصة توقف العمليات العسكرية لكى ينشروا نفوذهم من جديد على جزء مهم من أفريقية وعلى ذلك اتجه حسان نحو قرطاجنة العاصمة القديمة للبلاد ودخلها عنوة بعد صراع عنيف وكان لسقوط قرطاجنة مداه القوى فى القسطنطينية التى أرسلت اسطولا ظهر أمام قرطاجنة من جديد والظاهر أن هذا الأسطول تمكن من احتلال المدينة بسهولة بقيادة البطريق يوحنا ولم يستطع العرب مواجهة البيزنطيين فى ذلك الوقت لأنهم كانوا قد شغلوا بقيام تحالف بين عدد من قبائل البربر تحت قيادة امرأة تعرف باسم الكاهنة والظاهر أنها أطلق عليها هذا اللقب

لأنها كانت ماهرة في السحر والتنبوء وتمكنت هذه المرأة
 بفضل قبيلتها جراوه من هزيمة العرب هزيمة منكرة حتى اضطر
 حسان الى الانسحاب الى ما وراء طرابلس ثم انها قامت بعد
 ذلك بعمل غريب وهو تخريب البلاد تخريبا منقما من احراق
 الزروع وهدم الحصون حتى لا يفكر العرب في العودة من جديد
 ولكن العرب عادوا مرة أخرى بعد أن وصلت الى حسان الامدادات
 من الخليفة وبعد أن قام الانقسام في صفوف رجال الكاهنة
 لعدم رضاهم عن سياسة التخريب التي اتبعتها وتجع حسان في
 استعادة قرطاجنة من جديد كما تخلص من الكاهنة التي قتلت
 أثناء المعركة متنبئة بنهاية مقاومة البربر وبانتصار
 الاسلام .

الحملات السنوية في آسيا الصغرى :

أما من الحملات السنوية في آسيا الصغرى فعلى عكس ما حققته الخلافة من الانتصارات الهامة في الميادين البعيدة نجد أنها اصطدمت بعقبات شديدة ليس في آسيا الصغرى نفسها بل وفي شمال بلاد الشام كما سبق أن أشرنا . فلقد عاد عبد الملك إلى تسيير الحملات الموسمية (الصوائف) عبر آسيا الصغرى ولكن هذه الصوائف لم تحقق نتائج جديده . ولم يقف الأمر عند عدم تقدم المسلمين في أرض الروم بل إن البيزنطيين هددوا من جانبهم بلاد الشام وشجعوا سكان الجبال في تلك الأقاليم وهم الذين يعرفون بالإرجمة عند الكتاب العرب بالغارات على البلاد . هذا رغم أن سكان الجبال هؤلاء لم يكونوا يعترفون بسلطان امبراطور القسطنطينية ولكن هذا الأخير كان يمدحهم بالرجال والأموال كما كان يطلب معونتهم في بعض الأحيان ولقد اشتد عنف هؤلاء الناس وبدأوا يسببون للدولة الأموية المتاعب خاصة عندما عرفوا ذلك الصراع القائم بين عبد الملك وابن الزبير فقد قاموا بغارات على أقاليم الشام الشمالية وكانت تساعدهم بعض جماعات الخيالة البيزنطية ولقد تحصنوا في بعض الأحيان في جبال لبنان وانضمت إليهم بعض عصابات المغامرين من أهل البلاد ولقد كانت الغالبية الكبرى من الشوار من العبيد من أسرى الحروب وكان بأشام عدد عظيم منهم

يقومون بفلاحة الأرض أو يحترفون مختلف المهن لحساب العرب
وكان منهم من دخل في الاسلام ومنهم من ظلوا على مسيحتهم
وكانت ثورتهم هذه تهدد الدولة العربية تهديدا خطيرا
وعلى ذلك كان لابد من شراء حياد صاحب القسطنطينية عن
طريق وعده بدفع بعض الاموال السنوية وبفضل هذا العمل
الذي قد لا يكون مجيدا بالنسبة للعرب نجحت الخلافة في القضاء
على أهل جبال الحدود هؤلاء بعد أن حرموا من معونة
القسطنطينية هذا عن الموقف في المغرب والسهول الشمالية.

الجهة الشرقية :

أما عن الجهة الشرقية فكنا قد رأينا أن المسلمين
وصلوا على أيام معاوية الى بلاد ما وراء النهر وانهم وصلوا
الى بخارى وسمرقند ولكن المدينتين لم تقعا بين أيدي العرب
وعلى أيام يزيد بن معاوية ولى خراسان سلم بن زياد ووصل
سلم هذا الى سمرقند ويقول الكتاب انه كانت معه امرأته
وكانت أول امرأة تعبر النهر . كما أنه أرسل المهلب بن أبي
صفره الى خوارزم واستولى عليها ويذكر للمهلب بن أبي صفره هذا
جهاده ضد الخوارج وذلك بفضل الحجاج الذي أمره بالسير لحربهم
وأرغم الناس على السير معه وهددهم بالقتل .

ثورة ابن الاشعث :

وفى سنة ٧٨ هـ ضم عبد الملك خراسان وسجستان للحجاج فأعطى الحجاج خراسان وسجستان للمهلب الذى بقى هناك حتى وفاته سنة ٨٢ هـ . كما أنه أعطى سجستان لعبد الرحمن بن الاشعث ومعه جند الكوفة والبصرة وسيستمر الحجاج فى سياسة العنف والرغبة فى الغزو فأخذ يلح على عبد الرحمن بن الاشعث فى غزو بلاد الترك وعندما كتب اليه عبد الرحمن بن الاشعث يرجوه السماح له باتباع سياسة التريث والحذر رد عليه الحجاج ردا عنيفا فكتب اليه " ان كتابك كتاب امرىء يحب الهدنة ويستريح الى المواعيد . وختمه بقوله فأمضى لما امرتك به من الوغول فى ارضهم والهدم لحمونهم " . وتوالت كتب الحجاج على ابن الاشعث تؤنبه وتحثه على الغزو حتى وجد ابن الاشعث الا مخرج له من هذا المأزق الا بالتمرد والثورة والقاء التبعية على الحجاج .

أسباب ثورة عبد الرحمن بن الاشعث :

ويختلف الكتاب فى أسباب ثورة عبد الرحمن بن الاشعث هذه فيقول البعض ان سببها هو طموح الموالى فى العراق الذين كانوا يطلبون المساواة ولكثته ربما كان الأقرب الى الصحة هو

أن تلك الثورة كانت نتيجة لسياسة الحجاج التي لاتعرف
 العنيفة والمروءة . ومن أهم أسباب تلك الثورة الاجترار
 في سياسة الحجاج ضد الموالي وعنفه في تطبيق
 سياسة تفتيق المسلمين . بين المسلمين ، من ذلك أن
 الحجاج بن يوسف لم يعف الموالي أي الداخلين الجدد في
 الاسلام من دفع ضريبة الجزية هذا كما أنه فرقهم على القرى
 ومنع اقامتهم في المدن الكبرى وفي سبيل ذلك اتخذ اجيزا
 غريبا وهو ان يوشم على راحة يد كل واحد منهم اسم القرية
 التي يقيم فيها حتى لا يبرحها . ربما كانت هذه السياسة
 العنيفة هي التي دعت أهل العراق الى الانضمام الى ثورة ابن
 الاشعث . فالنص يقول كان " أكثر من قاتله وخلعه وخرج عليه
 الفقهاء والمقاتلة والموالي من أهل البصرة فلما علم أنهم
 الجمهور الأكبر والسواد الأعظم أحب أن يسقط ديوانهم ويفرق
 جماعتهم حتى لا يتألفوا ويتباعدوا فأقبل على الموالي وقال
 انتم علوج وعجم وقراكم أولى بكم ففرقهم وفن جمعهم كسيف
 أحب وسيرهم كيف شاء ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة
 التي وجه اليها .

وقرر عبد الرحمن بن الاشعث المسير نحو العراق لخلق
 الحجاج ، ولخلق الحجاج كان لابد من خلق عبد الملك وهذا

ما فعله الثوار فعلا . و سار الثوار نحو العراق وتمكنوا من دخول البصرة في أواخر سنة ٨١هـ و نزل الحجاج في إحدى ضواحي البصرة خندق بها وصمم على أن يهلك إذا لزم الأمر دون أن يتراجع واستمر القتال مدة شهر بين أهل العراق الذين انضموا إلى الثوار وبين الحجاج ومعه أهل الشام وانتهت الحرب بانتهاز أهل العراق و انسحب ابن الأشعث إلى الكوفة وهناك عسكر أهل العراق في موضع يعرف باسم " دير الجماجم " وذلك في شهر ربيع الأول من سنة ٨٢ هـ و تقول الروايات أن عدد أهل العراق بلغ مائة ألف رجل معهم مثلهم من مواليهم . واستمر القتال عدة شهور حاول عبد الملك أثنائها رضا أهل العراق وابن الأشعث فعرض عليهم خلع الحجاج ولكنهم لم يرضوا و على ذلك استمر القتال وانتهى الأمر بهزيمة ابن الأشعث في جمادى الثانية من سنة ٨٢ هـ و نادى الحجاج بن يوسف بالامان و رجع إلى معسكره بعد أن منع جند الشام من مشاركة المنهزمين و انسحب ابن الأشعث نحو المشرق فسار إلى سجستان وهناك قبض عليه ولكن أمير كابل الذي يعرف عند الكتاب العرب بالرتبيل اضطر آخر الأمر إلى زاء تهديد الحجاج إلى قتله .

نتائج ثورة ابن الأشعث :

و كان من نتائج ثورة ابن الأشعث هذه بناء الحجاج لمدينة واسط وذلك فى سنة ٨٢ هـ حتى تكون حصنا له اذا ما تعرض من جديد لمثل هذا الخطر . وبقى الى جانب الحجاج فى المشرق المهالبة الى سنة ٨٢ هـ حينما توفى المهلب ولكنه رغم التنافس بين الحجاج وبين المهالبة الا انه لم يتمكن من التخلص منهم الا سنة ٨٥ هـ حينما عزل يزيد بن المهلب عن خراسان . و بعد المهالبة آل المشرق الى قتيبة بن مسلم الذى يرجع اليه الفضل فى توطيد الفتوحات الاسلامية فى بلاد ماوراء النهر .

بعد القضاء على ثورة عبد الرحمن ابن الأشعث عهد الحجاج بأمر المشرق الى يزيد بن المهلب و طلب من يزيد ان يستمر فى الفتح والغزو ورأى يزيد أن الامر فوق طاقته فاعتذر بأنه من الاصلح ان يتأنى فى الفتح حتى يختبر البلاد . ورد الحجاج على ذلك بأن عزل يزيد بن المهلب و عهد بالولاية الى أخيه الفضل بن المهلب و طلب منه أن يستمر فى سياسة الفتح والغزو و قام الفضل فعلا خلال فترة ولايته القصيرة بجهود كبيرة ضد اقاليم نهر جيحون ووجه الفضل نشاطه على وجه الخصوص ضد بقايا الثوار من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث وابن هذا الاخير وهو موسى على وجه الخصوص كان قد لجأ الى طرخون سمرقند .

الاعمال المعمارية التي قام بها عبد الملك :

أشهر هذه الاعمال المعمارية التي بقيت لنا تتمثل في
 قبة الصخرة والمسجد الاقصى ببית المقدس و هذان الاثــيران
 يعتبران اقدم امثلة للفن الاسلامي و ذلك أن الاعمال المعمارية
 التي تمت في الحرمين مسجد مكة ومسجد المدينة و خاصة ما قام
 به عثمان بن عفان غير معروفة لنا تماما ولا يمكن الاعتماد
 عليها من الناحية التاريخية ولهذا السبب ينسب الى ابيــام
 الامويين اقدم امثلة الانتاج الفني الاسلامي و بناء هذين
 المسجدين يرجع الى الفترة التي اشتد فيها الصراع بين عبد
 الملك وبين عبد الله بن الزبير وذلك حينما اقتطع ابن الزبير
 الحجاز فيظن أن عبد الملك أراد أن يعوض الناس كانوا يرغبون
 في الحج والزيارة كما كان يخشى عودة الحجاج من الحجاز
 بأفكار قد لا تكون في صالحه أو قد تضعف موقفه في بلاد الشام
 و على ذلك عمل عبد الملك على العناية ببلاد الشام وأراد أن
 يجعل من بيت المقدس ما يمكن أن يشبه بمدينة منافسة لمكة .

=====

٤٠٤: الأحوال الحضارية على أيام عبد الملك بن مروان :

أول ما يتسبب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان في هذا السبب أن هو تعريب الدواوين وتعريب الدواوين هذا لا يعنى تعريب الدواوين فقط بل يعنى تعريب البلاد نفسها وهذا تأتى من طريق تعريب الدواوين فالذى عرفناه هو أنه بعد أن دخلت الأمصار المفتوحة فى نطاق الدولة العربية و عندما بدأت تنظيم الدولة لم تتغير النظم الادارية تماما بل ان عمر بن الخطاب حافظ عليها مع العمل على أن تخضع تنظيماتها لتعاليم الاسلام و الحقيقة أن الدواوين ظلت بين أيدي أصحابها من أهل البلاد و من أهل الذمة فى الشام و فى مصر و كذلك فى فارس و سسل :الموظفون القدماء يشغلون نفس الوظائف التى شغلوها من قبل و من أشهر من ذكرناهم من أهل الذمة هؤلاء سرجون بن منصور الذى شغل منصب مستشار معاوية بن أبى سفيان و بطبيعة الحال كان هذا الامر غريبا فرأى عبد الملك أن يقوم باصلاح و يضع الامور فى نصابها ولم عبد الملك فى الاستغناء عن خدمات هؤلاء الموظفين من أهل الذمة بل تركهم فى مناصبهم ولكنه طلب أن يسجلوا دواوينهم باللغة العربية بعد أن كانوا يسجلونها باللغات الوطنية من الفارسية واليونانية والقبطية و بطبيعة الحال لم يكن مثل هذا الاصلاح ليتم دفعة واحدة بل انه تحقق مع مرور الوقت . والظاهر انه لم يصبح عاما الا على اواخر أيام الامويين .

كذلك قام عبد الملك بإصلاح مالي أو نقدي، ذلك أنه
 مرب النقود أيضا وهناك رواية لانعرف مدى صحتها تقول أن
 النقود البيزنطية من التي كانت متداولة فقط حتى ذلك الوقت
 في الدولة العربية و تقول هذه الروايات أن النقود التي
 كانت تضرب في البلاد كانت تحمل نقوشا يونانية ويقال أنه
 في نظير ذلك كان البيزنطيون يأخذون ورق البردي "القراطيس"
 اللازمة لهم من مصر حيث كان يصنع في المصانع الوطنية لحسابهم
 وكان هذا الورق يحمل هو الآخر كتابة أو نقوشا مسيحية وكذلك
 شارة المليب . ولكن الخليفة عبد الملك أمر فاستبدلت هذه
 النقوش المسيحية بنقوش اسلامية و قرر امبراطور بيزنطية
 أن يرد على ذلك بأن ينقش عبارة جارة على الدينار الذهبي
 البيزنطي الذي كان يتداوله العرب ولهذا السبب قرر عبد الملك
 أن تضرب نقودا عربية في دمشق تحمل نصوصا عربية . واتبع
 ذلك الحجاج بن يوسف الذي ضرب هو الآخر النقود العربية فسمى
 الكوفة .

و فيما يتعلق بتنظيم شئون القصر ادخل عبد الملك بعض
 التنظيمات الجديدة وذلك أنه بينما كان للافه يظهرون و كأنهم
 زعماء للقبائل العربية مثل معاوية بن ابي سفيان عمل عبد
 الملك على أن يظهر بمظهر الملك صاحب السلطان المطلق . ولكن
 عبد الملك لم يستأثر بالسلطة المطلقة فقد عرف الرجل بفقهه

و كان عالما بأمور الدين ولهذا السبب أعطى للفقهاء ورجال الدين سلطات كبيرة كما انه كان يمارس واجباته الدينية بضمير حي ولم يمنعه ذلك بطبيعة الحال من العناية بالشعر وغيره حتى انه اجتذب الى قصره الشاعر الاخطل المسيحي وهو من قبيلة تغلب و كان قد خدم يزيد بن معاوية من قبل ولهذا السبب يعتبر الاخطل شاعر الاسرة الاموية .

و أكد عبد الملك سلطانه فى الولايات وذلك باقامة الولاية من أسرته فى كل الاقاليم عدا العراق فدمشروالمغرب كانتالاخيه عبد العزيز بن مروان الذى كان قد أكد لعبد الملك من قبل ولاية العهد و لقد حاول عبد الملك بعد أن يجعل عبد العزيز يتنازل عن ولاية العهد لابنه الوليد ولكنه لم ينجح فى ذلك الى أن ساعدته الظروف فتوفى عبد العزيز قبله و بذلك نجح فى أن يورث الخلافة لابنه الوليد الذى اعتلى عرش الخلافة دون معارضة فى سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م .

الفصل الثاني عشر

خلافة الوليد بن عبد الملك

خلافة الوليد بن عبد الملك

٨٦ - ٩٦ هـ

خلافة ابنه الوليد و أهم أحداث عصره فتح الاندلس .
والفتوحات فيما وراء النهر .
فتح الاندلس

=====

اندلس كانت تعتبر حتى ذلك الوقت الجزء الغربى من
بلاد المغرب . ولقد اشرنا الى القرابة القريبة بين طبيعة
بلاد المغرب و طبيعة بلاد الاندلس ، هذا التشابه يجعل المضيئ
الصغير الذى يعرفه الكتاب العرب باسم : الباق . و هكذا
انمضيئ لا يعتبر فى الحقيقة فاصل بين العرب و بين الاندلس .

و الحقيقة أن اسبانيا فى ذلك الوقت كانت تعاني ضعفا
شديدا نتيجة لضعف الملكية القوطية و ملاحظ أن فتح المغرب
للاندلس لن يستغرق اكثر من بضع سنوات ، و هذا الامر يحير
المؤرخين كما يحيرهم موضوعات الفتوحات العربية بشكل عام
ولكن الحقيقة هو أن الاندلس كانت تشكو الكثير من العلل منها
ضعف ملوك القوط ، والصراع بين الفرسان والامراء والاضطرابات
الدينية والانشقاق فى داخل الكنيسة ، ثم تدخل رجال الكنيسة
فى شئون الحكم و كل هذا جعل اسبانيا القوطية فى حالة من
الضعف جعلها فريسة سهلة لى لغزو يأتى من الخارج .

و على أيام لذريق هذا نزل العرب الى الإندلس . وعز
الاسباب المباشرة لنزول العرب فى اسبانيا نجد روايات يغلب
عليها الطابع الاسطورى من ذلك قصة البيت المقفول الذى كان
فى قصر الامراء فى قرطبة و الذى لم يكن يفتح فتجراً . لذريق
وفتحه فوجد فيه صورة العرب .

و بعد ذلك قصة ابنه الامير يليان صاحب سبته . والحقيقة
أن شخصية الامير يليان هذه يكتنفها الغموض . فالنصوص العربية
تشير الى أن هذا الرجل كان على ولاية سبته منذ حوالى سنة
٦٠ هـ على أيام عقبة بن نافع .

و تقول بعض الروايات العربية أن هذا الرجل كان عجيباً
او من تجار العجم ، و أنه كان يختلف من الإندلس الى بلاد
البربر و يجلب الى لذريق متاق الخيل والبزاة هذه الرواية
غير صحيحة ، وانما المعروف انه كان والى مدينة سبته . ولكن
اختلفت الآراء فى هل كان الرجل قوطياً ام كان رومياً يعنى .
بيزنطياً . وحاول بعض الكتاب الاسبان المحدثين ان ينفوا أن
يكون الرجل قوطياً او رومياً فقليل أنه بربرى الاصل و أن حقيقة
اسمه هى اربان او البان . ويقول اصحاب هذا رأى أنه من
قبائل فمارة وهم يريدون بذلك أن ينفوا من أحد الوطنيين
أو عن أحد المسيحيين فكرة الخيانة او فكرة التآمر ضد الملكية

القوطية . ولكن هذا الرأي مردود ، فالرجل لم يكن بربريا ولكن
 الاقرب الى الحقيقة انه كان روميا و أن قلعة سبته كانت آخر
 معاقل بيزنطة في أرض المغرب . والحقيقة أن أبناء هذا
 الرجل و نسله كان لهم شأن في الاندلس و كان منهم كثير من
 القضاة والفهاء في القيروان و خاصة في القرن العاشر أيام
 ازدهار العاصمة الاندلسية .

و كان موقف يليان البيزنطي يحتم عليه بطبيعة الحال
 ان يكون على علاقة طيبة يملك الاندلس القوطي ، كما كان ينبغي
 عليه أن يكون ايضا على علاقة حسن الجوار بالبربر في الداخل
 حتى يضمن لمدينته الثيرة والثروة . وهذا ما يفسر تلك
 الرواية الغريبة التي تقول انه كان تاجرا يختلف من الاندلس
 الى بلاد المغرب و القمة تقول أنه كانت له ابنة في بلاط الملك
 لذريق و هذا امر محتمل فكانت العادة في تلك العصور أن
 يستضيف الملك أبناء الأمراء ليتربوا في بلاطه و يتشبعوا بحب
 الملكية و حسن الخضوع للدولة . وتقول الرواية العربية أن
 الأمير يليان أرسل ابنته الى بلاط قرطبة لتتأدب أدبا ملوكيا
 ولكن الملك القوطي اعجب بالفتاة ، ولم يخرم آداب الفياضة
 فبلغ به الامر الى أن اغتصبها . و أن الفتاة كتبت الى والدها
 بذلك فذهب الى طليطلة واستعاد ابنته واقسم بالانتقام لهذا
 العدوان .

قلنا أن هذه القصة رغم طابعها الأسطوري إلا أنها تحوى فى ثناياها شيئا من الحقيقة و ستصبح ابنه يليان هذه موضوعا من موضوعات الادب الاسبانى ، فستعرف فى هذا الادب باسم فلورندا و هناك تفاصيل عن كيفية رؤية الملك لها و هى تسبح فى نهر قرطبة و كيف أخذها الملك و فى النهاية ستلقى هذه الروايات الادبية مسئولية دخول العرب الى أسبانيا و ضياع استقلال البلاد على رأس الفتاة العسة و سيطلق عليها بعض الاسماء الثابتة .

و تقول الراوية انه بعد عودة يليان من طليطلة سارع بالذهاب الى أفريقية حيث قابل موسى بن نصير و دعاه الى فتح أسبانيا و جين له سهولة هذا الامر كما وضع له النتائج العظيمة التى سيحصل عليها العرب من هذا الفتح ، ورافق موسى يليان على ذلك شريطة أن يقوم أمير سبته بعملية استكشاف او استطلاع على الساحل الاندلسى . و فعلا نزل يليان فى قسوة صغيرة على ساحل الجزيرة الخضراء مقابل سبته . و نجح يليان فى الاستيلاء على بعض الغنائم والاسرى التى عاد بها الى سبته ، و أخبر موسى بن نصير بهذا الامر ، و كان ذلك من الاسباب التى شجعت موسى على محاولة الفتح .

و يظن أن غارة يليان هذه حدثت فى أواخر سنة ٩٠ هـ .

ولم يستطع موسى أن يقدم على الفتح الجديد بسبب وجود البحر (مذييق أو بحر الزقاق) فأرسل يستشير الخليفة الوليد فى الامر . ولم يوافق الخليفة بسهولة بل انه طلب الى موسى أن يبدأ بعملية استكشافية فقال له : خضها بالسرايا حتى تختبر ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الاهوال ، وعندما قال له موسى انه ليس ببحر متسع وانما هو خليج يبين ما وراءه كتب اليه " اختيرها بالسرايا وان كان الامر على ما حكيت " .

و على ذلك بدأت الحملات العربية الاولى فى الاندلس فى شكل قوات صغيرة كانت تهدف الى الاستطلاع والاستكشاف .

و أولها تلك الحملة التى قام بها طريف بن ملوك فى رمضان سنة ٩١ هـ صيف يولييه سنة ٧١٠م ، مع حوالى أربعمائى رجل منهم مائة فارس ، و نزل هؤلاء الى الساحل الاسبانى فى أربعة مراكب كانت للامير يلىان . ونزلت القوة فى جزيرة صغيـرة مقابلة لطنجة أعطى لها اسم القائد فسميت بجزيرة طريف وقامت السرية العربية بغارات فى ساحل الجبل الذى سيعرف بجبل طارق عما قليل . واستولت على مغانم و سبى جميل . وكان لموسى بن نصير وهو فى القيروان نصيب من المغانم من هذا السبى " الذى لم ير موسى مثله ولا أصحابه " .

و هكذا كان ذلك النجاح بداية لعملية الفتح الحقيقية

وكان يلى طارق بن زياد نائب موسى بن نصير على طنجة القيام
بأولى العمليات الكبيرة . وطارق بن زياد هذا بربرى من غير
شك ، هذا رغم مايقوله بعض الكتاب من أنه فارسى الاصل و أنه
من همدان . و تم الاتفاق على أن يصحب الامير يلىان طارق بن
زياد لمعرفة بالمنطقة . وتقول رواية الرقيق - التى يرجع
سندها الى الواقدي - فجعل يلىان يحمل البربر فى مراكب
التجار التى تختلف الى الاندلس ولايشعر بهم أهل الاندلس
ولايطنون الا أنها تختلف بمثل ماكانت تختلف به من معاشهم
ومتاجرهم ، ينقلهم فوجا فوجا الى الاندلس - وقد تقدم يلىان
الى أصحاب المراكب الايعلموا بهم ، وقال لقومه : انى توثقت
لكم ، فاعلموا انها دولة العرب ، وهم يملكون الاندلس ودعاهم
الى أن يأخذوا نصيبهم منها ، فأعجبهم ذلك ورغبوا فيه ، وكتب
لهم طارق بالامان ومن بقى معه ، فجاز الى أصحابه ، فنزل بهم
جبالا من جبال الاندلس حريزا منيعا فسمى ذلك الجبل من يومئذ
جبل طارق ، فلا يعلم الا به .

وهناك رواية فى كتاب " أخبار مجموعة " تقول أن مراكب
الامير يلىان وهى المراكب الاربعة هى التى قامت بنقل رجال
طارق الى الساحل الاسبانى ، ولما كان هذا العدد من السفن
غير كاف لحمل الامدادات فشرع فى بناء سفن جديدة . وتم اختيار
وقت مناسب لنزول طارق و ذلك أن الملك لذريق كان مشغولا فى

منطقة بنبلونة بحرب بعض الثوار فى أقصى الشمال فى اقليم
 البشكنس . و عبر طارق بن زياد واعتم على سفح الجبل المواجه
 لمدينة سبتة وهو الذى سيعرف باسمه (أى جبل طارق) وذلك
 حتى تم نزول كل رجاله و ذلك فى شهر رجب أو فى شهر شعبان
 سنة ٩٢ هـ ابريل او مايو سنة ٧١١م . و تقول النصوص ان رجال
 طارق بن زياد لم يزدوا عن سبعة آلاف رجل . و هذا امر غريب
 ان يحاول جيش صغير فتح بلد كبير مثل الاندلس ، و لكن يمكن
 أن يفسر ذلك بأن العرب كانوا على علم بضعف الملكية القوطية
 و أنها لن تستطيع الوقوف أمام أى فاتح أجنبى . كما يمكن
 أن يفسر ذلك على أن الكتاب العرب حاولوا التقليل من القوة
 العربية حتى يبينوا كيف تمكنت قوتهم الصغيرة من تحقيق تلك
 الانتصارات العظيمة .

و كان معظم رجال طارق من البربر ليس معهم الاعدد قليل
 من الموالى و من العرب الخلى . وهذا امر له أهميته أيضا
 اذ تبين مشاركة المغاربة أهل البلاد الفتوح مبع العرب
 و مساعدتهم للعرب . بمعنى أن الناس أقبلوا على الاسلام بسرمة
 و بلغ هذا الاقبال الى درجة الحماس و الاندفاع نحو نشر الاسلام
 و طلب الإستشهاد فى سبيله . و سار طارق على رأس رجاله واستولى
 على مدينة قرطاجنة التى تقع فى منتصف خليج جبل طارق عند
 مصب وادى الرقة . وبعد ذلك اتسجه طارق ابن زياد نحو

المغرب و أخذ ينضم موعها ليكون ملجأ له فى حالة اذا ما اضطر الى الانسحاب و اتخذ ذلك الموضع فى مواجهة الجزيرة الخضراء و عهد للامير يليان بالاقامة فى هذا الموضع لحماية انسحاب العرب اذا مالزم الامر . و علم لذريق بنزول العرب على الساحل الاسبانى فاتجه نحو الجنوب بسرعة و توقف فى قرطبة بعض الوقت حيث جمع قواته التى كانت هناك . ولم يتقدم طارق بن زياد بل انه اتخذ موقفا دفاعيا و أرسل الى موسى بن نصير يطلب منه النجدة والمدد ، و أجابه موسى فأرسل له خمسة آلاف رجل معظمهم من البربر أيضا ، وبذلك بلغت قوة طارق بن زياد حوالى اثنى عشر ألف رجل . و يظن أنه انضم اليه فى ذلك الوقت بعض الساخطين على لذريق من أعوان الملك غيطشة والظاهر أن هذا هو الذى جعل بعض الكتاب يقولون أن أبناء غيطشة ساروا الى المغرب والتقوا بطارق بن زياد .

و بعد أن قويت قوى جيش طارق أخذ يسير نحو الغرب وذلك فى الموضع الذى توجد فيه المستنقعات المعروفة حاليا باسم مستنقعات أليندا التى يمر بها نهر صغير يعرف باسم وادى برباط . واستقر طارق فى هذه المنطقة و أتى جيش لذريق من قرطبة نحو الجنوب عن طريق مدينة شذونة و فى هذه المنطقة تم اللقاء الفاصل بين لذريق و طارق . و تقول النصوص العربية ان قوات لذريق ، بلغت حوالى مائة ألف رجل . و يظن أن هذا العدد

مبالغ فيه من غير شك . وتمت هذه الموقعة فى أواخر شهر رمضان سنة ٩٢ هـ والموافق لشهر يولية سنة ٧١١ م .

وتقول الروايات العربية أن قيادة القوات القوطية كانت الى بعض أبناء غيطشة وان هذا كان السبب الرئيس فى انهزام القوات القوطية ، والنص يقول : " هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطاننا وليس من أهله وانما كان من سفالننا وهؤلاء قوم لاجاجة لهم بابطان بلدنا انما يريدون أن يملسوا أيديهم ثم يخرجون فانهزم بنا بابن الخبيثة اذا لقينا القوم فأجمعوا لذلك و كان لذريق قد ولى شبرت ميمنته وابنه ميسرته وهما أبناء الملك غيطشة الذى كان ملكا قبله وهما رأى من أدار عليه الانهزام " .

بمعنى أنهم اتفقوا على الانهزام وأن هذا سيخلصهم من لذريق ، بينما يرجع العرب من جديد الى الساحل الافريقى اذا ماتفاهوا معهم . وهذا ما حدث فعلا اذ فراعوان غيطشة ورغم ذلك حاول لذريق الثبات فى القلب ولكنه اضطر فى النهاية الى الانسحاب امام ضغط القوات العربية ولا يعرف على وجه التحقيق ان كان لذريق قد قتل فى هذه المعركة وان كان قد فر ، ويقول بعض الكتاب الاسبان المحدثين ان الملك القوطى تمكن من الخلاص من المعركة بصعوبة وأنه لن يقتل الا فيما بعد و على يد طارق بن زياد أيضا فى أقصى الشمال فى منطقة استوريش .

هذا وهناك تفصيلات جديدة. وجدها الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى فى الجزء الذى قام بتحقيقه ونشره من كتاب "الاكتفاء فى تاريخ الخلفاء" لابی مروان عبد الملك بن الكردبوسى الخاص بتاريخ الاندلس، و أيضا فى الجزء الخاص بوصف الاندلس لمحمد بن على بن محمد بن الشباط المصرى التوزىرى (توفى فى سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢ م) .

ففى ابن الشباط يقول " ... ثم زحف طارق بجميع اصحابه حتى نزل قريبا من عسكر لذريق فتلاقوا يوم الاحد لانسلاخ شهر رمضان ، فاقتل المسلمون والمشركون ثمانية ايام قتالا شديدا و صبر الفريقان جميعا صبرا عظيما ، ثم انزل الله عز وجل نصره على المسلمين ، فانهزم أبناء الملك بأهل الميمنة وأهل الميسرة من عسكر لذريق فقتل العجم قتلا ذريعا ، و قتل أبناء الملك ولم يغن عنهما كيدهما ، و أفلت لذريق الى موضع يقال له السواقي ، فقتل انه قتل وهو لا يعرف ، وقال أيضا أنه أراد الاستتار بسمار الوادى فغرق فيه وهلك . ووجد فى ذلك المكان خف منظوم بالدر والياقوت قد سقط من رجله و أصاب المسلمون من السبى مالا عهد لهم بمثله . وكان يعرف أشراف العجم فى القتل بخواتيم الذهب توجد فى أصابعهم و من دونهم بخواتيم الفضة والعبيد و أمثالهم بخواتيم الصفر . وكانت الوقعة على المشركين يوم الاحد لسبع خلون من شوال وليومين مضيا من

تشرين الاول . و جمع طارق الغنائم فاخذ منها الخمس ، وقسم غيرها على تسعة آلاف سوى العبيد ، ثم تقدم طارق حتى نزل بأهل مدينة شذونة .

وكما يقول الاستاذ الدكتور حسين مؤنس " هذا نص عظيم القيمة ، يقول ابن الشباط نفسه انه نقله عن " مختصر تاريخ الطبرى " ويذهب العبادى الى أن المراد بذلك " ذيل تاريخ الطبرى " لعريب بن سعد القرطبي المتوفى سنة ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م و معنى هذا أن نص ابن الشباط يعطينا قطعة من ذيل تاريخ الاندلس لعريب ابن سعد ، وهذا فى حد ذاته امر عظيم القيمة و نلاحظ منه أن عريباً اعتمد على تاريخ احمد بن محمد الرازى فيما أكمل به تاريخ الطبرى ، و ذلك يزيد فى قيمتها فى نظرنا ، فهى تعطينا فقرات من الصورة العربية لنص الرازى الذى لم يعثر عليه الا فى ترجمته البرتغالية والاسبانية .

ويرى الاستاذ الدكتور مختار العبادى ، أن هذه المعركة التى توقف عليها مصير اسبانيا فى يد المسلمين ، كانت أكبر و أعظم من أن تحدد بمثل هذه الاماكن المحدودة الضيقة . لقد كانت معركة واسعة النطاق بدأت طلائعها منذ نزول طارق الى أرض اسبانيا و جُشد فيها لملك القوط كل ما يستطيع حشده من مال و رجال و سلاح لدرجة رومت طارق وأزعجته . . . ولاشك ان معركة بمثل هذه الحشود الكبيرة و هذا الهدف الخطير و هذه المدة

الطويلة التي استفرقها في سراع وطراد ومتابعة ، ولا بد أن تكون معركة عظيمة تليق بمكانة هذا الفتح العربي العظيم معركة لم تلتصر رحاها على جنوب شذونة او شمالها بل شملت جميع أنحاء هذه المنطقة ، فهي معركة كورة شذونة بأسرها وليست معركة مدينة شذونة قاعدتها . ومن هناك جاز لنا أن نقول بأن ماورد في كتب التاريخ من تسميات لهذه المعركة مثل البحيرة ، ووادى بكة ، ووادى البرباط ، ووادى لكه ، وشريس والسواقي ، ما هي في الواقع الا تسميات لتلك الاماكن التي دارت وتشعبت عندها تلك المعركة الكبيرة في اراضى كورة شذونة .

هذه الموقعة كانت الفاصلة في غزو العرب للاندلس اذ فتحت ابواب البلاد امام طارق .

و تختلف النصوص فيما كان ينبغي على طارق بن زياد أن يفعله بعد ذلك فبعضها يقول انه لم يكن ينبغي عليه أن يتهور في داخل الاندلس بل كان ينبغي عليه أن يتوقف حتى تأتية اوامر أخرى من موسى بن نصير . ولكن طارق لم يكن يستطيع أن يفعل ذلك ، فالنصر يذفع الى النصر كما يقال ، ثم ان حماسة من أجل الجهاد الى جانب تشجيع الامير جليان (يليان) له وكذلك خصوم للدريق من اتباع الملك غيطة . كل هذا دفع طارق النبي التقدم نحو الامام ، وكان هدف طارق بن زياد هو مدينة قرطبة عاصمة

الجنوب، ولكن كان عليه أن يعبر نهرا صغيرا في طريق قرطبة
هو نهر وادى استجه، و كانت هناك قلعة اسمها استجه، فاستولى
العرب عليها وكان قد لجأ اليها بعض الفارين من القنوط
وانضم الي طارق عدد كبير من أهل البلاد الذين سخطوا على
الحكم القوطى ورحبوا بالعرب فى سبيل تحسين احوالهم الشخصية
او الاجتماعية، وخاصة طبقة رقيق الارض. هذا كما أن اليهود
فى الاندلس الذين ساءوا يقعون تحت ضغط القوط واغظهادهم
رحبوا بقدوم العرب وقدموا لهم، تكبير من المعونة والمساعدات
على ذلك قرر طارق بن زياد، أن يتجه مباشرة نحو عاصمة
القوط. و هى طليطلة. وعلى ذلك بعث بحملة صغيرة على رأسها
أحد موالى الامويين واسمه مغيث الرومى للاستيلاء على مدين
قرطبة، بينما اتجه هو نحو الشمال نحو مدينة طليطلة. وت
مغيث من الاستيلاء على قرطبة فى أوائل سنة ٩٣ هـ.

وهناك بعض الروايات العربية التى تقول أن أقاليم
شرق الاندلس سقطت فى الأخرى بين أيدي قواد طارق بن زياد مثل
مرنطة وقلعة مرسية.

ولكن الحقيقة هو أن أقاليم شرق الاندلس هذه لن يتم
فتحها الا على أيام عبد العزيز بن موسى بن نصير، ولم تقاوم
عاصمة القوط طليطلة أية مقاومة، وذلك أن أهلها كانوا قد
تركوها وخاصة بعد أن هجرها كبار رجال الكنيسة واستولوا

طارق ابن زياد على قصور طليطلة و أخذ الكثير من المغانم
و الذخائر من هذه القصور ، و كذلك من كنائس المدينة . وكانت
هذه المغانم موضوعا من الموضوعات التي أشارت خيال الكتّاب
العرب . والمثل لذلك تلك المائدة العجيبة التي يسمونها
مائدة سليمان .

استمر طارق بن زياد في المسير على طول نهر تاجوس
ويقال انه بلغ الى وادي الحجارة ولكن عند حلول فصل الشتاء
عاد من جديد الى طليطلة .

و بذلك انقضت حملة طارق الاولى و بدأت الحملة العربية
الكبرى التي قادها والى المغرب بنفسه وهو موسى بن نصير .

=====

حملة موسى بن نصير

=====

اختلفت الآراء في الاسباب التي دعت موسى بن نصير الى القيام بنفسه في الفتح في الاندلس و من هذه الاسباب ما يرجع الى حسد موسى بن نصير لعائده ومولاه الذي حقق كل هذه الامجاد لنفسه ورغبة موسى في أن يكون له فخر فتح هذه البلاد . وربما كان ذلك العامل الشخص صحيحا الى حد ما ولكن هناك أسباب عامة من ذلك طلب طارق بن زياد للمدد ، فهناك بعض النصوص التي تقول أن طارق هو الذي استدعى موسى و أنه كتب اليه " ان الامم تداعت اليها من كل ناحية فالغوث الغوث ، نسا اليه موسى . وبطبيعة الحال هذا السبب ربما كان هو الاقرب الى الصحة ، فالقوات التي كانت مع طارق لم تكن لتكفي فتح البلاد واقامة حاميات في الاقاليم المختلفة .

ترك موسى القيروان قاعدة افريقية وسار على رأس قوة بلغت حوالي ثمانية عشر ألف رجل واختلفت هذه القوة من قوة طارق من حيث أنها كانت قوة عربية في معظمها اشتركت فيها معظم القوات العربية الموجودة في بلاد المغرب . وصحب موسى بن نصير عدد من التابعين وهم الطبقة التي تلى طبقة الصحابة وكانت في قوات موسى بعض القبائل اليمانية ، وكذلك بعض القبائل القيسية واستخدم موسى ابن نصير في العبور نفوس المراكب التي استخدمها طارق بن زياد وهي مراكب الامير يليان الى جانب المراكب التي كان قد بدى في انشائها في طنجة وفي سبتة .

وتم نزول موسى بن نصير على الساحل الاندلسى فى شهر رمضان من سنة ٩٣ هـ ،والذى نلاحظه هو أن موسى بن نصير لم يسر مباشرة الى عاصمة القوط طليطلة حيث كان طارق بن زياد بل انه رأى أن يقوم بفتوح خاصة به وهذا جعل البعض يفسر حملة موسى بأنها كانت من أجل اغراض شخصية . وبدأ موسى بالاستيلاء على مدينة شذونة و من شذونة اتجه مباشرة نحو مدينة اشبيلية و استطاع ان يستولى على قلعتين قريبتين من اشبيلية قبل ان يضرب الحصار على المدينة نفسها . والظاهر ان مدينة اشبيلية لم تقاوم مقاومة شديدة ، اذ دخلها العرب وانسحب القوط نحو الغرب الى مدينة لبلة . ومن اشبيلية اتجه موسى الى مدينة ماردة . ولم تستسلم مدينة ماردة بسهولة وذلك أن القوط كانوا قد لجأوا اليها ،فاضطر العرب الى ضرب الحصار عليها طوال الشتاء واخيرا استسلمت فى شهر شوال سنة ٩٤هـ / يونية ٧١٣م . ووجد موسى بن نصير فى ماردة ذخائر عظيمة . ثم انه تابع مسيرة فى اتجاه طليطلة وأرسل الى طارق يطلب اليه السير للقائه ،وأرسل موسى اثناء طريقه نحو طليطلة ابنه عبد العزيز ليخمد ثورة كانت قد قامت فى مدينة اشبيلية واستطاع عبد العزيز فعلا أن يخمد الثورة ،ثم أنه قد فتح بعض المدن الموجودة فى منطقة الغرب فى جنوب البرتغال الحالية لبلة وباجة واكشبه واتجه طارق بن زياد

لملاقاة موسى ابن نصير و تم اللقاء بينهما في موضع طلبه سرية
على نهر وادي تاجه أسفل طليطلة . ويفهم من النصوص أن موسى
بن نصير استقبل طارق ابن زياد استقبالا سيئا و كال اليه
الاتهامات و بلغ الامر الى حد ضربه بالسياط .

و يفسر ذلك على أن طارق بن زياد خالف اوامر موسى بن
نصير التي كانت تتطلب منه التريث عقب انتصاره على لذريق
و عدم المغامرة في داخل البلاد خشية على المسلمين .

ولكن موسى عاد و صالح قائده الذي اتجه بعد ذلك نحو
اقليم جبل الشارات في وسط شبه الجزيرة . ويقال ان طارق بن
زياد التقى بلذريق هناك على رأس القوط وأنه قتل في اواخر
صيف سنة ٧١٣ هـ .

و بعد ذلك قضى موسى بن نصير شتاء هذا العام في عاصمة
القوط في طليطلة وسلم هناك طارق الذخائر والنفائس التي
استولى عليها . ويقال ان موسى بن نصير ضرب النقود من الذهب
في طليطلة في ذلك الوقت وذلك في دار السكة القديمة .

و كانت هذه النقود تحمل الشعارات الاسلامية منقوشة
بالحروف اللاتينية بسم الله - لا اله الا الله . واحد عليم . له
كمثله اله غيره .

وذلك من وجه . وكان منقوشا على الوجه الآخر السنتين
الهجرية والمسيحية .

وأرسل موسى بن نصير الى الخليفة يعلمه بما فتح الله
على المسلمين في الاندلس وبين له المغانم والاسلاب العظيمة
التي تم الاستيلاء عليها . وسار بهذه الأخبار الى الخليفة احدى
التابعين وهو على بن رباح اللخمى التابعى ومعه أخدموالى
بنى أمية وهو مغيث الرومى الذى رأيناه يستولى على مدينة
قرطبة .

وعندما تحسنت الاحوال الجوية خرج موسى بن نصير لتكمل
فتوح الاندلس حيث استولى على مدينة سرقسطة فى سنة ٩٥ هـ وأقا
بها أحد التابعين وهو حنثى الصنعانى من صنعاء الشام وليس من
صنعاء اليمن . وهو الذى أنشأ مسجد المدينة الجامع .

وأراد موسى بن نصير ان يستمر فى اتجاهه نحو الشمال
بخط البرانس فى اتجاه مدينة لاردة التى تقع على الطريق بين
سرقسطة وبين برشلونة ولا يعرف ان كان موسى بن نصير أراد أن
يتجاوز جبال البرانس الى أرض فرنسا . ولكن يفهم من النصو
انه توغل فى بلاد غربية على العرب حتى أن بعض العسكر بسدا
يتعامل من ذلك .

وهناك بعض النصوص التي تشير الى أن موسى بن نصير ربما فكر في العودة الى الخليفة عن طريق القسطنطينية ولكن هذه الفكرة خيالية من غير شك ولا أساس لها من الصحة .

في هذا الوقت رجع رسل موسى بن نصير من عند الخليفة والظاهر أن الخليفة الوليد كان يتعجل لقاء موسى بن نصير ليعرفه بما تم على يديه من الفتوح وليحاسبه على ما وقع بين يديه من المفانم والاسلاب اذ أنه طلب عودة موسى الى دمشق ولكن موسى بن نصير لم يستجيب لامر الخليفة مباشرة بل انه قام ببعض الفتوحات ، اذ حاول تأمين ماتم على يديه من الفتوح و كان تأخره هذا سببا في انه اتهم كما يفهم من النصوص بالخروج على طاعة الخليفة. الوليدين عبد الملك .

قرر موسى بن نصير أن يقوم بحملة في السفوح الجنوبية الغربية لجبال البرانس في الاقاليم التي عرفت باسم قشتالة القديمة ، بينما امر طارق بن زياد بالمسير من سرقطة نحو أمالي وادي الابروه والاتجاه من هناك الى بلاد الجلاقة و حقق طارق ابن زياد خلال حملته هذه عددا من الانتصارات في شمـ الجزيرة فتقدم الى مدينة ماية ونهيا ثم سار الى مدين ليون واسترجه . أما عن موسى بن نصير فإنه بعد نحو الشـ الى بلاد استوريش في اتجاه عاصمة استوريش المعروفة . وتقول النصوص العربية ان أهل البلاد التجأوا الى الاقاليم الجبلية التي اعتصموا بها هناك .

وعندما تمت هذه الفتوح قرر موسى بن نصير أن يسيّر نحو المشرق للقاء الخليفة فترك الاندلس في نهاية سنة ٩٥ هـ وترك الحكم لابنه عبد العزيز ، و سار موسى بن نصير في موكب نصر عظيم يحيط به كبار رجال القوط و كذلك زعماء البربر و معهم المغانم والاسلاب والهدايا التي أشارت خيال الكتائب العرب .

ولكن موسى بن نصير وصل الشام قبيل وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك وربما كان ذلك من الأسباب التي اسخطه الخليفة الجديد عليه وهو سليمان بن عبد الملك الذي أساء معاملته وانتهى امر الفاتح الكبير نهاية غامضة كذلك الحال بالنسبة لطارق بن زياد .

الفتوحات فيما وراء النهر :

أما عن الفتح الكبير الذى تم على أيام قتيبة فإنه بدأ بعد وفاة عبد الملك و خلافة الوليد بن عبد الملك و ذلك عندما عهد الحجاج الى والى الرى قتيبة بن مسلم بولاية المشرق و ذلك فى سنة ٨٦ هـ و بدأ قتيبة يعمل على اقرار الامور فى الولايات الواقعة على ضفاف نهر جيحون و ذلك فى منطقة بلخ و آخرون و منطقة شومان و مما يستحق الذكر هنا هو أن قتيبة بن مسلم استعان يملئه صفخانيان فى الفتح فكان ذلك بدايـة استخدام أهل تلك البلاد فى القوات العربية واستمر قتيبة بحملاته السنوية ابتداءً من تلك السنة فى بلاد ما وراء النهر وفى سنة ٨٧ هـ ٨٠٦ م اتجه الى منطقة بخارى فعبر النهر (جيحون) عند مدينة آمل واستنجد امراء المنطقة بخاقان الترك كما استنجد بطرخون الصفد و كذلك بملك بخارى ولقى قتيبة ورجاله الكثير من المعويات اذا احاط بهم المصاعب من كل جانب وانقطعت أخبارهم عن الحجاج و الخلافة مدة شهرين فكان لاينفذ له رسول ولايصل اليه خبر " وقلت الاقوات وارتفعت الاسعار ارتفاعا شديدا و قلق الحجاج فى العراق قلقا عظيما على جيشه الاموى حتى انه امر الناس بالدعاء له فى المساجد وتمكن قتيبة من الخلاص من هذا المازق بالسياسة اذ انه راسل ملك الصفد و اقنعه بترك حلفائه وانتهى الامر الى الصلح

فعلا مع ملك سمرقند و أرسل قتيبة حملاته في سنة ٨٨٨ هـ فسي منطقة بخارى . و في سنة ٨٩٠ هـ وانتهى الامر بالاستيلاء على بخارى في سنة ٩٠٠ هـ و ذلك في الحملة الخامسة التي قام بها قتيبة و كان ملك بخارى الوطني قد استنجد بقوات سمرقند و كذلك بالترك ولكن قتيبة سبقهم الى المدينة و ضرب عليها الحصار و نجح العرب في هزيمة أعدائهم و هزم الترك و جرح الخاقان و انسحب ملك سمرقند من المعركة و على ذلك فتحت المدينة ابوابها و دخلها المسلمون . و بعد أن نظم قتيبة شؤونها عاد منها الى خراسان . و شعر قتيبة بقوته و بدا يشدد في معاملته لامراء البلاد حتى خافوه و اعلنوا خضوعهم ولكنهم عادوا و نكثوا الصلح سنة ٩١١ هـ فقام قتيبة بحملة ضد امراء بلخ و الطالقان و نجح في هزيمتهم ولكنه رغم شدة الحجاج و سطوة قتيبة نجد أن سلطان العرب لم يكن قد استقر تماما في البلاد التي كانت كما نرى بين أيدي امراءها الوطنيين يحكمونها تحت اشراف العرب .

واستمر قتيبة في نشاطه و في سنة ٩٢٢ هـ حقق نجاحا هائلا وذلك انه فتح خوارزم سمرقند و كان فتح خوارزم نتيجة لاضطراب امراء البلاد الوطنيين الذين استنجد بعضهم بقتيبة فانتهر الفرصة و فتح المدينة . أما عن فتح سمرقند فكان نتيجة لعصيان ملكها و نقضه للصلح وعندما سار قتيبة و عبر

النهر حارت الى جانبه قوات امير خوارزم وقوات ملك بخارى
بينما استنجد ملك سمرقند بالترك ويملك الشاش واستعد قتيبة
للقاء اعدائه و نصبت لهم الكماثن و نجحت خيلته ففاوضوه من
اجل الصلح و تم الاتفاق على دفع فدية قدرت بمليون درهم
كما نصت شروط الصلح على ان يقدم امراء تلك البلاد عددا كبيرا
من الفرسان للعمل تحت قيادة قتيبة الرواية تقول انه—
بلغوا حوالى ثلاثين الف فارس و هناك رواية اخرى تقول انهم
بلغوا مائه الف ، كما تقرر ان تفتح المدينة ابوابها لقتيبة
والايبقى بها أحد من المقاتلة ولكن على أن يبني قتيبة مسجدا
وعلى أن يتغذى ثم يخرج من المدينة ولكن قتيبة بعد أن دخل
المدينة رفض الخروج منها فكان لهذا العمل اثره بين أهل
ذلك العصر و خاصة من رجال الدين الذين قالوا بأن قتيبة فتح
سمرقند عدرا .

والذى يهمنا من أمر هذه الفتوح بشكل خاص هو أن الصلح
مع أمراء البلاد الوطنيين لم يعد على فدية من المال بل على
تقديم عدد من المقاتلة أيضا بمعنى أن أهل هذه الاقاليم
أخذوا يساعدون العرب في فتح ما وراءهم من البلاد و العمل
على نشر الاسلام في بلاد الترك و فعلا توغل قتيبة بفضل هذه
المساعدات الى مواضع لم يسبقه اليها احد اذ انه وصل الى
فرغانه وعبر سيحون لأول مرة وفتح مدينة طشقند . على أن —

النفوذ العربى أخذ يستقر فى ولايات سيحون و كان ذلك يرضى
 طموح الحجاج بطبيعة الحال ويثير حماسه و ذلك انه اخسذ
 يوالى الامدادات الى قتيبة و يطلب منه الاستمرار فى تحقيق
 انتصارات عسكرية فى الشرق والعمل على توسيع حدود الاسلام
 فى قلب بلاد الترك .

و فعلا صار قتيبة فى سنة ٩٥ هـ نحو المشرق ولكنه عندما
 بلغ الشاس ومله نبأ نعى الحجاج فكان لذلك اثره الشديد السيء
 على معنويات الفاتح الكبير الذى كان لايجهل مايكاد يمسرق
 مركز الدولة من الخصومات السياسية والمنازعات القبلية فكان
 موت الحجاج نذير أزمة خطيرة فى توسع العرب فى المشرق . ولكن
 الخليفة الجديد الوليد بن عبد الملك عرف لقتيبة ماله من
 فضل فعمل على تشجيعه على مواصلة الفتح و كتب اليه يقول
 " قد عرف امير المؤمنين بلاءك و جدك واجتهادك فى جهاد اعداء
 المسلمين و امير المؤمنين رافعك و صانع بك الذى يجب لك فاتم
 مغازيك وانتظر ثواب ريك ولا تغب عن امير المؤمنين كتبك حتى
 كأنى انظر الى بلاءك والثغر الذى انت فيه .

و كان لتشجيع الوليد أثره فى رفع معنويات قتيبة
 الذى تماسك وواصل الفتح حتى بلغ الى مدينة كاشغر فى السنة
 التالية أى سنة ٩٦ هـ حيث هزم الحامية الصينية التى كانت

هناك ولكنه قدر لنجاح بلاد ماوراء النهر أن ينتهى نهائىة
 تعسة و ذلك آن الخليفة الوليد تولى فى سنة ٥٩٧ و خلفه
 أخوه سليمان بن عبد الملك الذى سار على سياسة مغاييرة
 فحاربى العصبة الكلبية و ناهض العصبة القيسية مما دعاه
 قتيبة الى الثورة و بفضل تدبير الخليفة انتهى الفاتح
 الكبير قتيلا بأيدى رجاله الذين طامقوا دسم الى النصر
 و الظفر .

و هكذا استمر سلطان العرب الى حدود الدولة الشرقية
 و كان قتيبة بن مسلم هو الفاتح الحقيقى لتك البلاد .

الفصل الثالث عشر

عظمة الدولة الأموية وبداية الأفلول

عظمة الدولة الاموية وبداية الاقبوال :

بلغت الدولة الاموية ذروة مجدها و عظمتها فى نهاية القرن الاول وبداية القرن الثانى للهجرة - وهو القرن الثامن الميلادى - " ففى هذا القرن وضعت جميع النظم الاسلامية وبدأت كافة الاتجاهات الفكرية ، حينما اخذت الافكار تتجاوز حدودها الاقليمية الى آفاقٍ أوسع وهو عصر تفتح الروح الاسلامية وسط شراء مبادئ غزيرة و هى كذلك الفترة الى مهدت بعد سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م للدولة العباسية أن تكون مركزا مهما للحياة العقلية^(١)

وهناك خلفاء عظام مثل : الوليد وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز تسيدوا كبر دولة اسلامية وفى الحقيقة أن الفضل فى اتساع الدولة انما يرجع الى كبار العمال من رجال الحرب والادارة الذين خدموا هؤلاء الخلفاء وأغلب الظن أن السبب فى عدم معرفتنا بأعمال خلفاء الامويين الشخصية انما يرجع الى أن ما كتب عنهم انما كتب فى العصر العباسى . ولما كان العباسيون يكتنون للامويين حقدا كبيرا كان من الطبيعى أن يصور الكتاب خلفاء الامويين تصويرا قاتما فهم يصفون الخليفة

(١) انظر «جودفروا ديمومبيين ، النظم الاسلامية ، ترجمة الدكتور فيمل السامر ، د . صالح الشماع ، دار النشر للجامعيين

الوليد بأنه مستبد ظالم ، وسليمان شره أكول (١) . ولم يسلم من النقد من الخلفاء الأمويين سوى الخليفة الورع التقى عمر بن عبد العزيز الذي يعتبره الكتاب خامس الخلفاء الراشدين ورغم الاعتراف بمكانة عمر بن عبد العزيز الذي يرجع إليه الفضل في منع سب الامام علي رضي الله عنه من على المنابر كما انه اعترف له بفضلله عندما نظر الى الاسلام نظرة تختلف عن نظرة سابقة فهو يرى ان الدولة عندما اتسعت كانت تهدف الى نشر الاسلام قبل الحصول على المكاسب المادية و أعلن رأيه هذا عندما تضاربت السياسة الدينية مع السياسة الادارية وطولب الداخلون الجدد في الاسلام بدفع الجزية مثلهم في ذلك مثل اهل الذمة (غير المسلمين من أهل الكتاب) فأمر عمر برفع الجزية عن أسلم ولهذا يعتبر عمر نموذجا للورع والعدل والحكمة . ورغم ذلك نجد ان بعض كتاب العباسيين ينالون منه كما نالوا من أقاربه و ينسب الى المنصور العباسي انه قال عندما ذكر في مجلسه : " انه اعور وسط عميان " (٢)

وبناء على ذلك نلاحظ ان الفضل في الاعمال السياسية والعسكرية التي حققها الاسلام على عهد الدولة الاموية انما

(١) انظر ، المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجواهر ، تنقيح و تصحيح شارل بلا (عن طبعة برية دي ميناروبليفين كرتاي) منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية ، بيروت

١٩٧٢ ، ج ٤ ، ص ١٣٠ .

(٢) نفس المصدر السابق والمفحة .

يرجع الى كبار رجال الدولة مثل : الحجاج بن يوسف الثقفي الذي
اشتهر بعنفه وشدته وبطشه حتى أنه عرس نراهية أهل الشام في
قلوب أهل العراق ولكن يرجع الفضل إلى قسوته في الحفاظ على
وحدة الدولة .

ونذكر أيضا من الرجال العظام قتيبة بن مسلم فاتح بلاد
ماوراء النهر والذي وسع حدود الاسلام حتى مغارب السند ثم
موسى بن نصير فاتح الاندلس .

امتد سلطان الدولة في المشرق والمغرب ولكنها لم تستطع
أن تفتح القسطنطينية فشلت المحاولات التي بذلها معاوية بن
أبي سفيان وخلفائه مثل الوليد وسليمان .

اما فيما يتعلق بالسياسة الداخلية فانه في هذه الفترة
التي شهدت فيها الدولة أقصى اتساعها حدثت تغييرات مهمة في
نظمها الداخلية و كذلك بدأ ظهور العمارات الاسلامية الفخمة
التي نفخر ونعتز بها .

كذلك ينبغي الإشارة الى المجهودات العظيمة التي قام
بها الخليفة عبد الملك بن مروان من أجل تعريب الدواوين أي
تعريب الإدارة وعمل على تغلغل هذا التعريب بين أهل الامصار
وعمل التعريب وانتشار الاسلام على تكسير الحواجز التي كانت
موجودة بين العرب وبين أهل البلاد وكان ذلك تمهيدا للقيام

المجتمع العربى الاسلامى الموحد . واستمر فى هذه السياسة حتى
التى بدأها عبد الملك ابنه الوليد و كذلك عمر بن عبد العزيز
ويرجع الفضل فى إنشاء المسجد الجامع فى دمشق الى الوليد ابن
عبد الملك الذى استجلب لبناء هذا الجامع الفنانين من بلاد
الروم و كذلك من مصر و أنفق عليه بسخاء حتى أصبح مفخرة
من مفاخر الاسلام و نموذجا من نماذج الفن الاسلامى .

وبعد أن بلغت الدولة من الناحية العسكرية أقصى اتساعها
بدأ عصر التوقف العسكرى والاقليمى و كان هذا يعنى بداية عصر
الاقول والاضمحلال .

أما فى المشرق فتحركت المسيحية ايضا فانتهى حصار
القسطنطينية الاخير بالفشل ثم أن الامبراطورية البيزنطية
خرجت من فترة الضعف التى كانت تمر بها واعتلى عرشها امبراطور
قوى هو ليو الثالث الايسورى الذى قام بحملات عسكرية فى آسيا
الصغرى و كذلك فى مناطق القوقاز و فى سنة ١٢٢ هـ تذكر الحوليات
ان ابن الخليفة هشام بن عبد الملك الذى كان قد توغل فى
الاراضى البيزنطية لقي هزيمة مروعة تشتت مقدمة جيشه وقضت هذه
الكارثة على حلم الامويين فى القضاء على بيزنطة هذا فيما
يتعلق بتوقف الفتح العسكرى .

أما فيما يتعلق بالاحوال الداخلية فى الدولة فانها لم
تكن بأحسن حالا من التوسع العسكرى . ففى كثير من الاقاليم
ظهرت ميول واتجاهات انفصالية .

الوضع فى بلاد المغرب :

فى بلاد المغرب بدأ الصراع بين العرب والبربر يظهر بشكل واضح بعد ذلك بقليل حوالى سنة ١١٦ هـ ولو أن بذور هذا النزاع ترجع الى اواخر القرن الاول الهجرى عندما ولى محمد بن يزيد القرشى افريقية فى سنة ٩٧ هـ . وعلى أيام سليمان بن عبد الملك اذ بدأت البلاد تضطرب ولكنه عندما آلت الخلافة الى عمر ابن عبد العزيز بدأ ينتهج سياسة الإصلاح والتوفيق واسرصاص اهل الامصار ومحاولة معاملتهم معاملة الند للند بالنسبة للعرب فبعد ولاية عمر يقال ان سياسته هذه نجحت فى المغرب نجاحا كبيرا بفضل واليه اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر الذى يقال انه كان خيرا . أمير وانه بفضل سياسته المتزنة العاقلة أسلم جميع البربر فى البلاد .

ولكن بعد وفاة عمر بن عبد العزيز هادت الامور الى ماكانت عليه وبدأ الاضطراب فى المغرب على أيام يزيد بن عبد الملك الذى جعل المغرب الى يزيد ابن أبى مسلم الذى كان مولى للحجاج بن يوسف الثقفى و ذلك سنة ١٠٢ هـ . ويقال أن يزيد بن أبى مسلم اساء السيرة فى المغرب وحاول ان يطبق الاجراء العنيفة التى طبقها الحجاج فى العراق وبلاد المغرب من ذلك انه اعاد تقليدا بيزنطيا قديما كان معروفا فى البلاد فوشم

حرسه على أكفهم او على راحتهم فجعل اسم الرجل في كف وكلية
 ربي في كف آخر فكان ذلك سببا في اشارة السخط بين أهل البلاد
 الذين أنكروا و تأمروا عليه فقتلوه اثناء ادائه لصلاة
 المغرب. (١)

وبعد ذلك آلت ولاية افريقية في سنة ١١٦ هـ الى عبيد
 الله بن الحبحاب القيسي ، أعاد ابن الحبحاب هذا سيرة يزيد
 بن أبي مسلم فأوصى نوابه في المغرب بمعاملة أهل البلاد
 دون رعاية . وتقول النصوص ان عامله في طنجة وفي السوس نفذ
 وصيته و غاليا فيها فطلبوا من البربر الذين دخلوا في الاسلام
 دفع الجزية و بالغوا في اهانتهم حتى انهم سبوا بناتهم
 وأخذوهن في الجزية . وكانت هذه الاجراءات العنيفة سببا في
 اشغال لهيب العداوة والحقد فانتهر أهل البلاد خروج احد نائبي
 ابن الحبحاب الى صقلية وهو حبيب بن ابي عبيد بن عقبة بن نافع
 الفهري ، واندلعت ثورة عارمة في المغرب الاقصى . واشترك في
 هذه الثورة قبائل غمارة ومكناسة وبرغواطة ومظفرة وجعلوا على
 رأسهم رجلا منهم اسمه ميسرة ويعرفه الكتاب العرب باسم ميسرة
 الحقيرو ذلك و ذلك لانه كان في بداية امرة سقاء بالقيروان
 فقاد ميسرة الذي أصبح اماما الثورة وتقدم نحو طنجة واستطاع
 ومن معه الاستيلاء على المدينة في سنة ١٢٢ هـ .

(١) انظر ، ابن عذارى ، البيان ، ج ١ ، ص ٤٨ .

وتتلخص اهمية هذه الثورة في انها لم تكن ثورة سياسية فقط بل انها كانت ثورة دينية ايضا اذ قامت هذه الثورة على أسس المذهب الخارجى الذى ينادى بالمساواة التامة بين جميع المسلمين لافرق بين عربى ولاعجمى الا بالتقوى وهو المذهب الذى ينادى بأنه يمكن ان تكون الخلافة اى رئاسة الجماعة الاسلامية لاي رجل مسلم طالما يتمتع بالاهلية اى دون أى تفرقة جنسية او عنصرية .

دخل هذا المذهب من المشرق وخاصة من العراق من البصرة الى بلاد المغرب ولقى نجاحا كبيرا بين البربر الذين كانوا يبحثون عن المذهب الصحيح والذين كانوا يشتككون فى تصرفات العرب اذ اءاهم . تلك التصرفات التى لاتتفق فى كثير من الاحيان مع المبادئ الاساسية للاسلام وانتهى الامر بأن اتخذوا المذهب الخارجى شعارا لتغطية امانيتهم فى التحرر و فى مقاومة العرب و فعلا سينجح هذا المذهب و سيقوم امارات مستقلة كتاهسرت فى المغرب الاوسط و فى جبال نفوسة و فى طرابلس حيث لازال المذهب حيا الى اليوم .

عندما علم والى افريقية بسقوط مدينة طنجة بين يدى ميسرة واتباعه من الصفرية امر نائبة فى الاندلس وهو عقبة بن الحجاج السلولى بالمسير الى الساحل الافريقى والعمل على

استخلاص المدينة و فعلا نزل عقبة الى سواحل طنجة و قتل البربر
قتل ذريعا ولكن لم ينجح في اخضاع الثورة . (١)

وقعة الاشراف :

أما عن ميسرة فتقول الروايات أن اتباعه لم يرضوا
عن سيرته وعلى ذلك فانهم تخلصوا منه وقتلوه وجعلوا امامتهم
الى رجل آخر هو خالد بن حميد الزناتي . وفي اوائل سنة ١٢٣ هـ
٧٤٠ م نجح خالد بن حميد هذا ومن معه من الخوارج من البربر
في انزال الهزيمة الدامية بالعرب و ذلك في وسط بلاد الجزائر
بالقرب من وادي شلف واستشهد في هذه الواقعة عدد كبير من
شباب العرب ولهذا السبب عرفت هذه الواقعة باسم وقعة الاشراف (٢)

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩ . أخبار مجموعة

ص ٢٩ .

(٢) انظر ، الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١١١ . ابن عذارى

، البيان ، ج ١ ص ٥٤ .

رد فعل وقعة الاشراف فى الاندلس .:

و عندما بلغت انباء هذه الكارثة الى الاندلس حدث رد فعل شديد وذلك ان عرب الاندلس شاروا بأميرهم عقبه بن الحجاج السلولى فعزلوه وولوا عبد الملك ابن قطن و كان ابن قطن هذا من أهل المدينة و أهل المدينة يكرهون أهل الشام منذ ذلك الصراع الذى حدث بينهم وبين الشاميين عقب وفاة معاوية وعلى ايام يزيد وخاصة بعد وقعة الحرة المشهورة التى استباح فيها أهل الشام المدينة حتى خرج التابعيين و خرج كثير من أهل المدينة ودخلوا فى الجيش الافريقى كما سبق ان اشرنا .

و عن هذا الطريق دخلوا الى الاندلس وهم يحتفظون فى قرارة نفوسهم بهذا الحقد والعداء المير لاهل الشام . وعلى ذلك لم يكن من الغريب ان ينظر ابن قطن بعين الارتياح الى الصعوبات التى تلقاها جيوش الشام فى المغرب ولكن الذى حدث هو أن البربر اضطربوا بدورهم فى الاندلس ويظهر أن العرب كانوا قد استأثروا بخيرات البلاد وخاصة الاراضى السهلية الفنية بينما تركوا للبربر الاقاليم الجبلية الفقيرة . ولو أن ذلك امر طبيعيا فالبربر اعتادوا السكنى فى الجبال ، كما أن استيطانهم فى المناطق الجبلية كان يحقق لهم نوعا من الاستقلال الذاتى قى أقاليمهم .

وتلقى البربر أبناء انتصارات اذرائهم فى شمال افريقية على الجيوش العربية بفرح شديد وفكروا بدويهم فى زعزعة سلطان العرب فى الاندلس وبدأت الثورة البربرية فى الاندلس فى بلاد الجلاقة والمناطق الشمالية الغربية من الاندلس عند السفوح الجنوبية لجبال و تقدم البربر نحو الجنوب يفاجئون العرب ويقتلونهم و حاول ابن قطن مواجهة الموقف واستقر العرب فى جنوب الجزيرة ولكن جهوده لم تنجح فى اخماد الثورة .

كلثوم بن عياض ووقعتى القرن والاصنام :

وصلت هذه الانباء الى مركز الخلافة فى المشرق ،وساد دمشق جو من القلق واقسم هشام بن عبد الملك أن يرسل جيوشا جراحة لقمع الثورة تكون اوائلها فى بلاد المغرب بينما يكون اواخرها مازالت فى دمشق و فعلا جهز حملة كبرى بلغ تعدادها حوالى ثلاثين الف رجل منهم عشرة آلاف فارس من أهل الشام ووصل على رأس الحملة كلثوم بن عياض القشيري و كان يصحب كلثوم ابن اخيه بلج بن بشر و ذلك على رأس الخياله التى كانت مقدمة ذلك الجيش^(١) و تحقق ماكان قد وعد به الخليفة بوصول اوائل الجيوش الى المغرب بينما يكون مؤخرته فى المشرق

(١) انظر ، ابن عذارى ، البيان ، ج ١ ص ٥٤ . وقارن الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١١ بروفسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية بالفرنسية ص ٤٣ .

وذلك بانضمام العسكر من البلاد التي كان يمر بها هذا الجيش وذلك في مصر وفي أفريقية ويظن أن ذلك الجيش الكبير لم يكن حسن التنظيم و ذلك انه انهزم في اواخر سنة ١٢٣هـ/أواخر سنة ٧٤١ م على ضفاف وادي سبو ، ولقى كلثوم حتفه في الموقعة و ستستمر الخلافة في مجهوداتها لقمع هذه الثورة و فعلا ستنجح قوات الخليفة في الايقاع بالبربر اذ لحقت بهم هزيمتين داميتين احدهما تعرف بالاصنام والاخرى تعرف بالقرن وذلك غير بعيد عن القيروان .

وكان لوقعه القرن هذه صدى عظيما في الشرق اذا اعتبرها العرب نصرا حاسما ضد البربر حتى قال بعض الكتاب ان عدد من قتل في الوقعة من البربر بلغ ١٨٠ الف رجل (١)

وكان فنيه مصر الليث بن سعد يقول : " مامن غزوة كنت أحب أن أشهدا بعد غزوة بدر أحب الى من غزوة القرن والاصنام (٢)

أما في داخل الدولة فكان من أهم الغلاقل التي أصابت الدولة ظهور الخصومات والنزاعات الدينية . فعند البدايات ظهرت الحركة الخارجية في مركز الدولة لكن بفضل جهود الحجاج

(١) انظر تفصيلات تلك الهزائم في : الرقيق ، تاريخ افريقية

ص ١١٨ - ١٢٢ - وقارن ابن عذارى ، البيان ، ج ١ ص ٥٨ - ٥٩

(٢) الرقيق ، ص ١٢٢ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ١ ص ٥٩ .

ابن يوسف الثقفي استطاعت الدولة القضاء على الخوارج ولكن،
هذا لم يكن يعنى القضاء التام على الحركة إذ انها ظهرت
و نجحت فى المشرق و فى المغرب .

و على أواخر ايام الامويين بدا الخوارج يثيرون الاضطراب
من جديد فى مركز الدولة منتهزين ضعف الحكومة ففى سنة ١٢٧ هـ
٧٤٥ م حشد الخوارج قواهم فى منطقة الكوفة برياسة ضحاك بن
قيس الشيباني و كذلك فعل الخوارج الاباضية فى جزيرة العرب
فجمعوا قواهم برياسة ابو حمزة الخارجى (١)

الى جانب المذهب الخارجى كان الشيعة مصدر قلق ايضا
للدولة خاصة فى العراق فقد استدعوا احد أحفاد على بن أبى
طالب رضى الله عنه وهو زيد بن على زين العابدين و ذلك على
أيام خلافة هشام بن عبد الملك و اعلنوا امامته . وباءت جهود
الخلافة فى دمشق بالفشل حوالى العام فى القضاء على ثورة
العراق . ولكن انتهى الامر بالقضاء على بعض المتآمرين ، ومرف
مكان زيد و تتبعته قوات الخلافة وتمكنوا من رميه بسهم فاصاب
جانب جبهته اليسرى فثبت فى دماغه . ومات زيد فى صفر من سنة
١٢٢ هـ / يناير ٧٤٠ م .

(١) انظر ، ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، تحقيق عبد الوهّاب
النجار طبعة مصر سنة ١٣٥٧ هـ ، ج٤ ، أحداث سنة ١٢٧ ص ٢٨٩ .

وبذلك خضبت يدي بنى أمية من جديد بدم حفدة الرسول
صلى الله عليه وسلم . بل ولم يحترموا جنمان زيد و كان أتباعه
قد دفنوه فى ساقية وأجروا عليه الماء خوفا من التعثيل به
ولكن القبر بنش واستخرج منه وقطع راسه و صلب ثم امر به فحرق
بالنار (١)

والى جانب النزاعات الدينية هذه كانت الخصومات
والنزاعات بين القبائل العربية نقطة من نقاط الضعف التى أدت
الى انهيار دولة الامويين و من النزاعات بين هذه القبائل
العربية ذلك النزاع الذى حدث فى سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م بين اليمنية
والقيسية (المضرية) والذى انتهى بانتصار اليمنية فى وقعة
" مرج راهط " و عمل هذا النصر على زيادة اشتعال نار الفرقة
بين العصبيتين المتناهضتين و كان على الخليفة الاموى ان
يسوس كل من الفريقين أو أن يقف الى جانب احدهما حسب الحال .

وكان انصارهم الولىد بن عبد الملك هم : الحجاج بن
يوسف الثقفى و قتيبة بن مسلم الباهلى ، فاتح ماوراء النهر

== (ذكر خروج الضحاك محكما) احداث سنة ١٢٨ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ (ذكر
قتل الضحاك الخارجى) ص ٢٩٧ (ذكر خبر ابى حمزة الخارجى
مع طالب الحق .

(١) ابن الاثير ، ج ٤ ص ٢٤٠ - ٢٤٣ احداث سنة ١٢١ هـ (ذكر طيور
زيد بن على بن الحسين) احداث سنة ١٢٢ هـ ص ٢٤٥ - ٢٤٨ (ذكر
مقتل زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب) .

وهما من العصبية القيسية وكان هذا يعنى أن الخليفة الوليد بن عبد الملك كان يتبع سياسة موالة القيسية و عندما خلفه سليمان نهج سياسة مضادة لهذه السياسة فحارب اليمانية وعلى رأسهم يزيد بن المهلب بن أبي صفرة و عصبينيه .

و عندما ولى الخلافة عمر بن عبد العزيز حاول ان يقوم الموقف ان يتبع سياسة محايدة تهدف الى التوفيق بين العصبيتين ولكن سياسته هذه لم تطل لامتد طويل اذ أنه سرعان ما اعتفد يزيد بن عبد الملك اعتمادا كليا على القيسية ثم ان هشام بن عبد الملك ذهب الى عكس هذه السياسة ثم عاد اليها ونتج عن ذلك أن اليمانية ثاروا لانفسهم من الخليفة الوليد الثاني، فتآمروا على خلعه و كانت هذه الثورة سببا فى عزلة بلاد الشام جميعا .

والى جانب العصبية القبلية نذكر حدثا له مغزاه وهذا الحدث يتمثل فى هجرة خلفاء الامويين بعيدا عن دمشق و «ننابهم الصحراء» . ويتشبه بعض الكتاب هذا الحدث بالانفصال الروحي بين الامويين وبين عصبيتهم من بلاد الشام فقد شعر آخر خلفاء الامويين بعدم اطمئنانهم من بلاد الشام و فى حاضرتهم دمشق فخرجوا الى البادية و كان اول من فعل ذلك هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذى كان يقيم فى بادية الاردن .

و من أهم القصور الصحراوية التى بناها الامويين قصر
"الرصافة" فى بادية الشام .

وقد استمر الامويون فى سكنى الصحراء - ويعدد الاثريون بقايا خمسة وثلاثين قصرا من هذه القصور . وكان الخليفة يتمتع فى قصوره الصحراوية هذه برياسة الصيد . كما يعتبر العصر الاموى عصر نهضة بالنسبة للشعر العربى ، واشتهر كثير من امراء الامويين بقول الشعر كما انهم احاطوا انفسهم بالشعراء وشاعر الامويين كما نعرف هو الشاعر النمراني . " الاخطل " والى جانب ازدهار الادب والشعر لم تحظ العلوم والفلسفة الا بحظ ضئيل من عناية امراء الامويين . ولكن ينبغى الاشارة الى ان بدايعة الجدل فى الفلسفة الاسلامية ظهر فى هذه الفترة وبدا الكلام فى مسألة القضاء والقدر و ظهور الفرقة التى عرفت باسم القدريية والتى ستكون نواة لفرقة المتكلمين والمعروفة باسم المعتزلة .

وحاول هشام بن عبد الملك أن يوقف تضخم هذه الفرقة وسار على نفس السياسة الوليد الثاني الذي راح ضحية معارضة القدرية الذين ناصرُوا أعداءه من اليمنية وأقاموا الخليفة يزيد الثالث ولكن هذا الاختيار لم يرض جميع الناس فسُـرَّت الاضطرابات في كل أرجاء الشام ، كما ظهر للخليفة الجديد مناقسون في العراق ، وتوفي يزيد بعد فترة قصيرة لم تزد على خمسة

أشهر، ورجز أخوه إبراهيم عن تقويم الموقف، وتمكن منافس الخليفة في العراق، مروان بن محمد، من التقدم نحو الشام واستطاع أن يكسب القيسية إلى جانبه، وفي صفر عام ١٢٧هـ / ٧٤٥م استطاع أن يستولي على دمشق .

مروان بن محمد آخر خلفاء الامويين :

وهكذا تمكن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي من انتزاع الخلافة من أبناء عمومته وكان يلقب بالحمار لصبره في الحروب .

والظاهر أن مروان كان يحن إلى العراق وعلى ذلك فهو ينقل مقر الحكم إلى حران ^(١) في أرض الجزيرة و كان هذا يعني الانفصال النهائي بين الامويين وبين أهل الشام .

و نشبت الثورات في كل مكان واضطر مروان أن يهدم تحصينات بعض المدن الكبرى في بلاد الشام وذلك لكي يخضعها في سرت الثورات ليس في الشام فقط بل في العراق والحجاز أيضا .

واستطاع مروان أن يقضى على الثورة التي قام بها سليمان بن هشام بن عبد الملك الذي فر إلى حمص ثم إلى الكوفة

(١) عن انتقال مروان إلى حران انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤

واضطرب مروان الى هدم اسرار حمص^(١) و اتبع ذلك بالقضاء على تحصينات دمشق و بيت المقدس و غيرها من مدن الشام .

و كان على مروان بعد ذلك ان يقضى على القلاقل والاضطرابات التى اثارها الخوارج فى العراق و فى بلاد العرب اذ يفهم من الروايات أن الضحاك ابن قيس الشيباني الخارجى اغتتم فرصة انقسام الامويين بعد مقتل الوليد بن يزيد ، ثم بعد ان عزل مروان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عامل العراق وولى مكانه النضر بن سعيد الحرشى ، فلم يسلم ابن عمر اليه العمل واعتصم بالحيرة ، عندئذ انتهر الضحاك ذلك و أقبل الى الكوفة فى سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م . وزادت جموعه والحقوا الهزيمة بالامويين ثم تقدم الضحاك بعد ذلك الى الموصل واستولى عليها وكورها و منها اتجه الى نصيبين و كان معه " ماييزيد على مائه الف " وهزم جيشا أمويا بقيادة عبد الله بن مروان . بن محمد . ثم ان مروان سار اليه وتمكن من الحاق الهزيمة والقضاء عليه عند مارديين و ذلك فى سنة ١٢٨ هـ^(٢)

(١) انظر ، ابن الاثير ، ج ٤ ص ٢٨٦ (ذكر انتفاض أهل حمص) ذكر خلاف أهل الغوطة) ص ٢٨١ (ذكر خلاف أهل فلسطين) ص ٢٨٧ وما بعدها (ذكر خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك مروان بن محمد) .

(٢) انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ احداث سنة ١٢٨ هـ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ (ذكر قتل الضحاك الخارجى) .

وقام أبرحمة الخارجي (المختار بن عرف الازدي السلمي البصري) في جزيرة العرب . و كان كما تقول الرواية مــــن الخوارج الاباضية و كان يفد في كل سنة الى مكة يدعو الناس الى خلاف مروان بن محمد . ثم تحالف مع عبد الله بن يحيى المعروف يطالب الحق في اواخر سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥م و خرج معه الى حضر موت حيث بايعه على الخلافة ، وفي السنة التالية (١٢٩ هـ / ٧٤٦م) خرج ابو حمزة الى مكة والمدينة و تمكن من الحاق الهزيمة بالحامية الاموية و دخل المدينة واقام بهــــنا ثلاثة أشهر ثم سار نحو الشام . ولكن مروان انتخب من عسكره جماعة جدوا المسير اليها وتمكنوا من الحاق الهزيمة بــــه و القضاء عليه في وادي القرى . ثم سار عبد الملك بن محمد ابن عطية السعدي ، قائد مروان الى المدينة ومنها الى اليمن حيث قاتل عبد الله بن يحيى طالب الحق و قتله و حمل راسه الى مروان بالشام (١)

وقبل هذا الوقت شار الشيعة في الكوفة (في سنة ١٢٧هـ) واقاموا عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر امامهم ولكن الى العراق الاموي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز تمكن من هزيمتهم . وسار المطالب بالخلافة الى فارس و تغلب عليها في سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٦م و كثرت جموعه و أقام بإصفهان ثم اصطخر و مد نفوذه على ولايات خوزستان ، وفارس و كرمان و هاجم والي (١) انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ٢٩٧ ، ٣٠٧ ص ٣٠٨ ، ص ٣١٤ - ٣١٦

عراق عبد الله بن معاوية لايرائه الخوارج الذين هزمهم
 مما اضطر ابن معاوية الى الهرب الى خراسان حيث قتله ابي
 مسلم لانه كان يشكل خطرا عليه (١)

و هكذا ظهر مروان بن محمد بمظهر الرجل النشيط
 الكفوء الحديبر القادر على تقويم الموقف واقرار الامور
 تهدئتها في الدولة . ولكن الخطر على الدولة كان يكمن
 في الشرق في بلاد خراسان .

=====

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧

الفصل الرابع عشر

الدعوة الشيعية العباسية

١. أبجدعوة الشيعة العباسية

أحوال خراسان في آواخر العصر الأموي :

بدأت الولايات الإيرانية ، في الخروج على سلطان الخلافة في بلاد الشام منذ عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، و ذلك عندما ظهرت مشكلة الدخول في الاسلام و دفع الجزية . فكمما يفهم من الروايات كان من سياسة عمر بن عبد العزيز رفع الجزية عن اسلم ، نجح عماله في نشر الاسلام . ولكن نقص الموارد المالية دفع الدولة الى اتخاذ اجراءات شديدة كانت ترمي الى اثبات الدخول في الاسلام ثبوتاً قاطعاً ، كما انها لم تعف الكثيرين من الداخلين في الاسلام من دفع الجزية و بمفصلة خاصة على عهد والي خراسان لهشام بن عبد الملك أشرس بن عبد الله السلمي (١٠٩ - ١١١ هـ / ٧٢٧ - ٧٢٨ م) (١)

(١) انظر عن ولاية اشرس ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٠٠ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ص ٢٠٦ ، ص ٢١ - ٢١٩ ، حيث يقول النص (اجلداث سنة ١١٠ هـ) ، في هذه السنة أرسل اشرس الى اهل سمرقند و ماوراء النهر يدعوهم الى الاسلام على أن توضع عنهم الجزية وأرسل في ذلك ابا الصيدا ، سالم بن طريف مولى نبي صبة و الربيع بن عمران التميمي ، فقال ابو الصيدا انما أخرج شريطة أن من أسلم لا تؤخذ منه الجزية وانما خراج خراسان على رؤوس الرجال ، فقال أشرس : نعم . فشنقوا الى سمرقند و عليها الحسن بن الحر بن الكندي على حربها . وخراجها فدعا ابو الصيدا اهل سمرقند ومن حولها الى الاسلام على أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس فكتب

في ظل هذه الظروف كانت الفرصة مواتية لقيام حركة مناهضة
للامويين رغم أن رواية الطبري تذكر أن الدعوة الشيعية
العباسية بدأت في خراسان منذ أيام خلافة عمر بن عبد العزيز
في سنة مائة للهجرة (١)

ولكن هناك رواية أخرى للطبري تعرف منها أن أول من " لبس
السواد في خراسان - ودعا إلى كتاب الله وسنه ونبيه والبيعة
للرضا " في سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م هو الحارث بن سريح . وقبل
الحارث عرض والي خراسان عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي
أن يكتبها إلى هشام يسألانه العمل بكتاب الله وسنه ونبيه
صلى الله عليه وسلم فإن أبى اجتماعا عليه " . وكان رد الخليفة
هو خلع عاصم الهلالي وتقليد ولاية خراسان إلى أسد بن عبد
الله القسري وفيها إلى العراق لـ " تكون موادها ومعونتها
من قريب لتباعد أمير المؤمنين وتباطى " غياثة " .

== إلى أشرس أن الخراج قد انكسر فكتب أشرس إلى ابن العمر
ظه أن في الخراج قوة للمسلمين وقد بلغني أن أهل المقعد
وأشباههم لم يسلموا رغبة انما أسلجوا تعودا من الجزية فانظر
من اختتن وأقام الفرائض وحسن اسلامه وقرأ سورة من القرآن
فأرفع خراجه ثم عزل أشرس ابن العمر ظه عن الخراج وصيره
إلى هاني " بن هاني " فمنعهم أبو الصياد من أخذ الجزية
بمن أسلم فكتب هاني إلى أشرس : أن الناس قد أسلموا وبنو
المساجد فكتب أشرس إليه وإلى العمال خذوا الخراج ممن
كنتم تأخذونه منه فأعادوا الجزية على من أسلم " .
(١) انظر ، الطبري ، تاريخ الرسل ، والملوك طبعة دار المعارف ==

و ظل أسد فى الولاية من سنة ١١٧ هـ حتى سنة ١٢١ هـ (٧٣٥ - ٧٣٨ م)^(١) و بعودة أسد من جديد عادت سياسة الشدة والقسوة تقبض أسد على جماعة من دماء بنى العباس فقتل بعضهم ومسل بعضهم ، وحبس بعضهم . وواصل القتال ضد الحارث بن سريح . وبعد موت أسد ولى خراسان نصر بن سيار الكناني الذى كان يعرف " بشيخ مضر فى خراسان " وعلى أيامه " عمرت خراسان عمارة لم تعمر قبلها و أحسن الولاية والجبابة " ^(٢) فقد عمل نصر على رفع الجزية التى كان يدفعها المسلمون الى غير المسلمين ^(٣)

ولكن نصر لم ينجح فى إيقاف العداء التقليدى بين العصبية المضربية و العصبية اليمينية ولما كان نصر من العصبية المضربية على عكس أسد - الوالى السابق - فانه حابى المضربية فى بداية امرته و قلدهم الاعمال ، قالنص يقول : فلم يستعمل أربع سنين الامضرياء " ^(٤)

== مصر (مجموعة ذخائر العرب) ج٧ أحداث سنة ١٠٠ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٥٩ (ذكر ابتداء الدموه العباسية)

(١) ابن الاثير ، ج ٤ ص ٢٣٨ .

(٢) ابن الاثير ، ج ٤ ص ٢٣٩ .

(٣) ابن الاثير ، ج ٤ ص ٢٤٣ .

(٤) ابن الاثير ، ج ٤ ص ٢٣٩ .

ولكنه عاد و حاول نهج سياسة متزنة حتى يتألف اليمنية
ولكن اليمنية ثاروا بزعامة الكرمانى (جديع بن على الازدى)
الذى " اظهر الخلاف لنصر بن سيار " فى سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م (
و كان الكرمانى كما تقول الرواية قد احسن الى نصر فى ولاية
أسد بن عبد الله ولكن بعد أن تقلد نصر امرة خراسان " عزل
الكرمانى عن الرياسة وولاهما غيره " (١) ولذلك فقد حدثت جفوة
بينهما . وقد اغتنم الكرمانى الموقف الذى حدث بين نصر ابن
سيار و بين خلافة دمشق بعد مقتل الوليد الثانى و نستشف من
الرواية أن الكرمانى كان لايتورع عن سلوك أى السبل من أجل
تحقيق اطماعه فالنص يقول " لو لم يقدر على السلطان والملك
الا بالنصرانية واليهودية لتنصر و قهود " (٢) وقد قام نصر
باعتقال الكرمانى و حبسه ولكن الكرمانى تمكن من الهرب من
الحبس بمساعدة انصاره والتف حوله الازد .

أما عن العراق فقد عزل الخليفة يزيد بن الوليد بن
عبد الملك واليه منصور ابن جمهور - و كان نصر بن سيار قد
امتنع من تسليم عمله اليه من قبل - واستعمل عليهم عبد الله
بن عمر بن عبد العزيز . وقد اقر ابن عمر نصر على خراسان
فغضب الكرمانى لابن جمهور - وكان نصر قد عرض له فى خطبته

(١) ابن الاثير ج ٤ ص ٢٧٥ .

(٢) ابن الاثير ، ج ٤ ص ٢٧٥ .

وَأَمَّا مَا نَصَرَ (١)

في حياة الخلافة مات يزيد بن الوليد بن عبد الملك
(يزيد الثالث) وحدثت فتن وقلقل في البلاد إلى أن خلاص
الأمير الحروان بن محمد (سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤م) ، فاستعمل يزيد
بن عمر بن هبيرة والياً على العراق في سنة (١٢٨ هـ / ٧٤٥م)^(٢)
فاقرب نصر بن سيار على خراسان و بذلك أغفى عليه صفة الشرعية
و أطلق نصر هبيرة للخليفة مروان^(٣) و لكن الحارث بن سريج
الذي كان قد سبق أن حصل له نصر على الأمان من الخليفة يزيد
بن الوليد ، عاد من بلاد ماوراء النهر - و كان متحالفاً مع
الترك - إلى خراسان حيث استقر مع اتباعه في منطقة ميسرو
رفض مبايعة مروان و خرج على نصر الذي أرسل إليه " يدموه
إلى الجماعة و ينهاه عن الفرقة و أطماع العدو"^(٤) و طلب
الحارث من نصر أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه و أن يعزله

(١) ابن الأثير ، ج ٤ ص ٢٧٦ .

(٢) انظر ، خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق سهيل
زكار ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي

دمشق ١٩٦٨ ، ج ٢ ص ٥٧٨ .

(٣) انظر ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٦١٧ ، ابن الأثير ج ٤

ص - ٢٩٢ .

(٤) ابن الأثير ، ج ٤ ص ٢٩٢ .

عماله و يئلد عميالا نرهاء^(١) و تمكن داعيته جهم بن صفوان
(راس الهمية) من لم الجمع له .

و في نفس الوقت كان الكرمانى يدعو الى عزل نصر وتعيين
والى آخر عوفه فالتقت مصالحهما واتفقا على الحارث والكرمانى
على حرب نصر ، وقد حاقت الهزيمة بالحارث الا أن نصرا اضطر
بند تقدم انصار الكرمانى الى الانسحاب الى نيسابور و دخل
الكرمانى الحارث قدينة سرور . ولكن وقع الخلاف بينهما و قتل
الكرمانى الحارث فى سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م " وصفت مرو لليمى^(٢) "
الا أن الكرمانى لم يهنا طويلا بانتصاره ، فقد بدا نصر يجمع
قواته لاعادة استخلاص مرو من منافسه الكرمانى و القضاء
عليه .

ولقد كانت كل هذه الظروف فى صالح الدعوة الشيعية
العباسية .

(١) ابن الاثير ، ج ٤ ص ٢٩٢ .

(٢) انظر ، ابن الاثير ، ج ٤ ص ٢٩٢ - ٢٩٤ .

الدعوة العباسية :

المعروف أن الدعوة العباسية شيعية الأصل ، وأن الدعوة الشيعية التي قامت باسم آل البيت والتي نادت بأن العلويين هم الورثة الطبيعيون لخلافة النبي وجدت في خراسان أرضاً لبذر بذورها (١)

والحقيقة أن عرب الفتوح الأولى الذين توغلوا في خراسان ، التي تمثل كل الهضبة الإيرانية حتى بلاد ما وراء النهر كانوا منعزلين في هذا المشرق البعيد ، مما جعلهم يتميزون عن عرب الأمصار الأخرى بصفات خاصة . ولم يكن المتزوجون منهم قد عبروا الجبال التي تحد إيران ، بل كان غير المتزوجين منهم ، هم الذين وصلوا إلى هناك في جماعات ، وتزوجوا من نساء أهل البلاد ويقدر فلهوزن أن الحد الأقصى لعدد هؤلاء كان لا يتجاوز المائتي ألف رجل ابان الثورة العباسية .

وكان الاندماج تاماً بين سكان خراسان حتى يصعب التمييز في كتب التاريخ ، إلا بمعوبة ، بين العرب الذين انصبغوا بالصبغة الإيرانية وبين أهل البلاد الذين دخلوا في الإسلام والذين عرفوا بالموالي وكانوا يحتفظون بذكریات حضارتهم القديمة ، وتراث الأسرة السابقة . وكان هؤلاء الموالي يشعرون بالمساواة مع العرب ، وسنرى أنهم عملوا في القرن التالي على (١) د.د. سعد زغلول ، تاريخ الدولة العربية ، طبع بيروت ، ١٩٢٧ ص ١٦ .

أيام العباسيين على اثبات تفوقهم الفكرى فى كل العلوم
التي عرفها العرب .

وكان الخراسانية ، منذ العصر الأموى ، يحاربون فى صفوف
الجيش الاسلامى للدفاع عن البلاد ضد الترك ، وكان جميع أهل
الأقليم يعيشون فى وئام : من العرب الفاتحين الى الموالى
الذين دخلوا فى الاسلام بل وأهل البلاد الذين بقوا على ديانتهم
الهندية ، وعلى أيام زياد بن أبيه بدأ تهجير أعداد كبيرة
من شيعة العلويين من مدينتى العراق الكبيرتين : الكوفة والبصرة
الى منطقة بلغ فى أقصى خراسان ، على حدود ما وراء النهر
واستمرت سياسة نفي العناصر العلوية الى المشرق على أيام
الحجاج بن يوسف . وفى نفس هذا الوقت أوقفت هجرة أهل الشام
الى المشرق ، حيث لم يكونوا يشعرون بالأمن هناك . ولأنه
العلويين وشيعتهم وجدوا فى الأقاليم الإيرانية أرضا صالحة
لنشر أفكارهم عن الإمام المنتظر . وهو المهدى ، وذلك أن الموالى
من الفرس كانوا لا يزالون يشعرون بالحاجة الى حاكم مطلق يمتلك
من الصفات ما هو فوق مستوى البشر بحيث يَكُنْ له التحكم فى
توزيع الرزاق ، فهو الذى ينشر السعادة بين الناس أو التعاسة ،
وعن طريقه يكون انتشار الخصب فى الأرض أو القحط .

وكانت العلاقات الوثيقة بين خراسان من جهة وسين البصرة
والكوفة ، وهما مركز الاضطراب العلوى من جهة أخرى سببا فى

أن اعتنق كل أهل إيران الآراء العادية للدولة العربية التي كان الأمويون يحاولون تنظيمها وإقرار تراتيبها، والتي رغم تحولها إلى ملكية وراثية فإنها ظلت محافظة على طابعها العربي أو البدوي .

كل هذا يغسر النجاح الذي صادفته الدعاية العلوية منذ بدء تنظيمها في العراق ، وإرسال دعائها إلى خراسان. ومنذ مطلع القرن الثاني الهجري كان دعاة الشيعة يظهرون في خراسان ما بين الحين والحين ، وبشكل منتظم حسب أوامر الكوفة ، دون أن يعرف لحساب من يعملون (١) .

(١) انظر ، أ. د. د. سعد زغلول ، تاريخ الدولة العربية ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

عهد أبي هاشم إلى محمد بن علي :

تكاد تجمع المصادر التاريخية على أن مطالبه العباسيين بالخلافة وادعائهم لها قد انتقل اليهم من أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (أحد أبناء علي رضي الله عنه) (١) . فـ رواية صاحب " اخبار الدولة العباسية " تقول : " وكان تشيع العباسية أصله من قبل محمد بن الحنفية وإلى ذلك دعـسـا

- (١) لقد قالت فرقة الكيسانية من الشيعة بإمامة محمد بن الحنفية ، وزعمت أنه لم يبق بعد الحسن والحسين أحد أقرب إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام من محمد بن الحنفية لأنه كان صاحب رؤية أبيه يوم البصرة ، فهو أولى الناس بالإمامة ، كما كان الحسين أولى بها بعد الحسن من ولد الحسن ، فمحمد هو الامام بعد الحسين ، وقالوا أن محمد بن الحنفية هو الامام المهدي ، لما مات بالمدينة في المحرم سنة ٨١ هـ قالوا انه لم يمست وأنه مقيم بجهال رضوى - بين مكة والمدينة - وأنه الامام المنتظر الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم وآله الذي سيملا الأرض عدلا وقسطا . هذا ولو أن هناك فرقة أخرى قالت أن محمد بن الحنفية مات وأن الامام بعده ابنه عبد الله وكان يكنى أبا هاشم .
- انظر: 'النويعتى' فرق الشيعة طبع المطبعة الحيدرية ، النجف ، سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م ، ص ٢٢ ، ص ٢٦ - ٣٠ .

أبو مسنم ... " (١) وتذكر أيضا أن محمدا بن علي أخذ العلم على يدي أبي هاشم وكان محمد يبجله ويجله فكان إذا قام أبو هاشم يركب أخذ له الركاب " فلما مرض أبي هاشم مرضه الذي مات فيه وكان بأرض الشراة من بلاد الشام وذلك عند فقوله من لقاء سليمان بدمشق عدل إلى محمد بن علي بن عبدالله بسن عباس وكان بالحميمة ، وعهد له بحقوقه في سنة ٩٨ هـ / ٧١٧ م (٢) وألحق إليه بأسراره وقال له : " أوصيك بتقوى الله فانها خير ما تواصى بها العباد ، ومن يعد ذلك فان هذا الأمر الذي تطلبه وتسعى فيه وتطلبه آخرون وسعوا فيه فيك وفي ولدك " (٣) .

هذا ما تقوله الرواية العباسية ، أما الشيعة فانهم قالوا : ان أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (٤) . وهو الذي نادى به الشيعة في الكوفة . اماما على عهد مروان بن محمد ، وبعد انهزامه أمام المروانية ، اتجه إلى فارس واصفهان وأصطخر ، وانتهى الأمر بمقتله على يدي الداعية العباسي أبي مسلم الخراساني ، كما سبق القول .

(١) انظر ، مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، وفيه أخبار العباس وولده ، تحقيق الدكتور عبدالعزيز البندوري ، الدكتور عبد الجبار المطليبي ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٧١ ، ص ١٦٥ (أخبار الامامة) حيث يقول النص : " قالت الكيسانية بامامة محمد بن علي ، ونكروا أن أباه أوصى إليه ، والكيسانية منسوبون إلى المختارين أبي عبيد وكان يلقب كيسان ، وهو أول من قال بامامة محمد بن علي وبها كان يقول علي بن عبد الله وولده الأيام المهدي " .

(٢) مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ١٨٥

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٤) انظر ، النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٣٢ .

تنظيم الدعوة :

يعتبر محمد بن علي العباس أول منظم للدعوة العباسية السرية . أما ابنه ابراهيم الامام فكان المفجر لهذه الدعوة حيث نقلها من دعوة سرية الى علنية ولكنه لم يحن شمار عمله حيث قتل قبل أن يحقق العباسيون الانتصار فكان أبو العباس عبد الله بن محمد العباس أول خليفة لبنى العباس .

ويمكن تقسيم الأدوار التي مرت بها الدعوة الى :

١ - الدور السري التحضيري ويبدأ من سنة ٩٧ هـ / أو سنة ٩٨ أو سنة ١٠٠ هـ على اختلاف الروايات التاريخية وكان مقر الدعوة الحميمة ونشاطها في الكوفة ثم قمر - ولم تكن تنظيماتها قد تبلورت في بادئ الأمر وجابهت انتكاسات قوية هزتها مثل حركة خدائش والقبض على بعض الدعاة العباسيين .

٢ - الدور العلني الثوري ويبدأ بارسال الامام ابراهيم أبا مسلم الخراساني الى مرو سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م حيث أعلن الثورة ضد الأمويين سنة ١٢٩ هـ . بعد أن اختمرت الحركة السرية العباسية . وينتهي هذا الدور باعلان أبا العباس عبد الله نفسه خليفة في مسجد الكوفة سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م .

وعندئذ أعلنت الحركة السرية عن صبغتها العباسية (١)
(١) انظر د. فاروق عمر "طبيعة الدعوة العباسية ٩٨هـ/ ٧١٦م - ١٣٢هـ/ ٧٤٩م دراسة تحليلية لواجهات الثورة العباسية وتفسيراتها طبع دار الارشاد، بيروت ، طبعة أولى ، سنة ١٩٧٠ ، ١٥٣ .

ويفهم من النصوص انه عندما آلت مقاليد قيادة الحركة الهاشمية (نسبة الى أبى هاشم) الى محمد بن على العباسي - الامام الجديد - بدأت مرحلة أكثر تنظيماً من سابقتها فتعرف على حامة أبى هاشم (١) عرفه عليهم سلمة بن بجير، وطلب منهم أن يثبت أسماءهم ، ليعرفهم ويستظهر بهم على أمره (٢) ، فكتب محمد بن على العباسي فيهم سجلاً . ومن هؤلاء كما تنص الرواية سالم بن بجير - حفص بن سليمان وهو أبو سلمة الخلال - حفص الأسير - ميسرة الرجال - موسى بن سريح السراج ، زياد بن درهم الهمداني ، معن بن يزيد الهمداني ، المنذر بن سعيد الهمداني (٣)

وكما تذكر الرواية فان الاتباع الأوائل كانوا ينتمون الى قبيلة بنى مسلية ومواليها، وكذلك من قبيلة همدان (أى من اليمينية) . وقال لهم الامام : " امسكوا عن الجسد فى أمركم حتى يهلك أشج بنى أمية (عمر بن عبد العزيز) . . ولا تكثروا من أهل الكوفة ، ولا تقبلوا منهم الا أهل النيسابور المحيطة " (٤) .

(١) انظر ، أخبار الدولة العباسية ، ص ١٨٨ - ١٩٠ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٤) نفس المصدر ص ١٩٣ - ١٩٤ .

وكان لا يعرف محمد بن علي بنسبه واسمه الاشيعه الكوفة
 وهم حوالى ثلاثين رجلا ، فاذا سئلوا عن اسمه قالوا : **آمرنا**
بكتمان اسمه حتى يظهر " (١) وكانت دعوتهم الى الرضا من آل
 محمد (٢) .

ثم قرر الامام عملا بنصيحة كبار شقاته نقل مركز النشاط
 للدعوة الى خراسان مع الاحتفاظ بالكوفة كنقطة ارتباط بيـن
 مرو (خراسان) والحميعة مقرا الامام (٣) .

وأرسل الامام أبا عكرمة زياد بن درهم السراج الى
 خراسان وطلب منه السير على نهج بكير بن ماهان فى تأليف
 الاتباع ، وأوصاه بقوله : " وان دعوت أحدا من العامة فلتكن
 دعوتك الى الرضا من آل محمد ، فاذا وثقت بالرجل فى عقله
 وبصيرته فاشرح له أمركم ، وقل بحجتك التي
 لا يعقلها الا أولو الألباب ، وليكن اسمى مستورا عن كل أحد
 الا عن رجل عدلك فى نفسك فى ثقتك به ، وقد وكدت عليه
 وتوثقت منه وأخذت بيعته ، وتقدم بمثل ذلك الى من توجه من
 رسلك ، فان سئلتهم عن اسمى فقولوا : نحن فى تقية ، وقد أمرنا
 بكتمان اسم امامنا . واذا قدمت مرو فأحلل فى أهل اليمين

(١) أخبار الدولة العباسية ، ص ١٩٤ .

(٢) نفس المصدر ص ١٩٤ .

(٣) انظر د . فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ١٩٧ .

وتألف ربيعة ، وتوق مضر ، وخذ بنصيبك من ثقاتهم ، واستكثر من الأعاجم ، فانهم أهل دعوتنا وبهم يؤيدها الله " (١) .

هذا ولقد كان اختيار محمد بن علي العباس لخراسان كمقر للدعوة موفقا ، لأنها تنفرد بموقف خاص ، دون غيرها من أمصار الدولة العربية الإسلامية ، يتضح ذلك من وصيته لاتباعه من رجال الدعوة حين تباينت الآراء حول المكان المناسب للدعوة .

" أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة على ولده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما الجزيرة فحرورية بارقة وأعراب كاعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى ، وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا بل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، وعدوة لنا راسخة .. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سالمة وقلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم تتوزمها النحل ولم تشعلها ديانة ، ولم يقدح فيها فساد . ليست لهم اليوم همم العرب ، ولا فيهم كتجارب الاتباع للسادات . ركتحالف القبائل وعصبية العشائر . وبعد فكانى أتفاءل الى المشرق والى مطلع سراج الدنيا ومصباح هذا الخلق " (٢)

(١) أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٠٤ .

(٢) انظر ، أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

ونظم بكير بن ماهان - الذي قال عنه الامام : اسمعوا منه وأطيعوا وافهموا ... هو لسانى اليكم وأمينى فيكم فلا تخالفوه ولا تقضوا الأمور الا برأيه ، وقد آثرتكم به على نفسي لثقتى به فى النصيحة لكم واجتهاده فى اظهار نور الله فيكم^(١) أتباعه السبعين ، فقسمهم الى اثنا عشر نقيبا يرأسهم سليمان بن كثير الخزاعي وذلك سنة ١١٨ هـ . وأكد على وجوب مناصبته أمامهم فى السر والعلانية ، وألا يطلعوا على أمرهم أحدا خافوا ناحيته ولم يثقوا به " (٢)

والنقباء الاثنا عشر هم :

من خزاعة :

- ١ - أبو محمد سليمان بن كثير الخزاعي ثم الأسلمى .
- ٢ - أبو نصر مالك بن الهيثم .
- ٣ - أبو منصور طلحة بن زريق مولى طلحة الطلحات .
- ٤ - زياد بن صالح (مولى خزاعة) .

من تميم :

- ٥ - موسى بن كعب (أبو عيينة) .
- ٦ - عيسى بن كعب .

(١) اخبار الدولة العباسية ص ٢١٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٢٢ .

٧ - لاهز بن قريظة .

٨ - أبو سهل بن مجاشع .

من طيء :

٩ - أبو عبد الحميد قحطية بن شبيب الطائي .

ومن شيبان :

١٠ - أبو داود خالد بن إبراهيم الدهلي .

ومن بجيلة :

١١ - أسلم بن سلام .

ومن مولى بني أسد :

١٢ - أبو علي شبل بن ظهمان .

وفكرة النقباء الاثنى عشر - ونلاحظ أن اكثريتهم كانوا عربا - والدعاة السبعين فيها اقتداء بنقباء بنى اسرائيل وبنقباء الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيعة العقبة فأنتم يقول : " بسم الله الرحمن الرحيم ، ان السنة في الأولين والمثل في الآخرين ، وان الله يقول " واختار موسى قومـه سبعين رجلا لميقاتنا" ثم قال في آية أخرى : " وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا" ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافاه ليلة العقبة سبعون رجلا من الأوس والخزرج فبايعهموه

فجعل منهم اثني عشر نقيباً (١) .

وهناك (نظراء النقباء) (٢) ، وقد روى أن عددهم
أحد وعشرون (٣) . وهناك الدعاء ودعاة الدعاء (٤) .

ويفهم من الرواية أن أهل الدعوة وشيعة الإمام كانوا
يرسلون اليه الأموال والحلى حتى يتقوى بها في "أحياء الحق
وإمالة الباطل " (٥) .

موت محمد بن علي وولاية ابنه إبراهيم الإمامة :

إعلان الثورة :

مات محمد بن علي العباسي في سنة ١٢٥ هـ بالشراسة من أرض
الشام (٦) ، وكان قد أوصى لابنه إبراهيم بالإمامة من بعده إذ قال
لخاصته : " فلکم فیہ خلف صدق منی " . كما أوصى بكير بسنن
ماهان بأن يعهد برياسة الدعوة في الكوفة إلى أبي سلمه حفص
بن سليمان خلال .

(١) أخبار الدولة العباسية ، ص ٢١٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٢٠ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٥) انظر ، أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ص ٢٣٧ .

(٦) أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٣٩ .

وثنسب الرواية الى ابراهيم انه امام بتتجاز السواد
 شعارا للعباسيين وذلك لأن راية الرسول صلى الله عليه وسلم
 كانت سوداء ، وكانت راية علي بن أبي طالب سوداء . وهو
 اختيار يتفق مع ما تورده الملاحم والنبوءات على أن لسون
 الرايات المقبلة من المشرق للقضاء على ظلم الأمويين وانهاء
 دولتهم (١) .

ومن هنا سميت الدولة العباسية بدولة المسودة .

وأمر ابراهيم بكير بن ماهان بالمضى الى خراسان وأن
 يأمر الشيعة بتسويد الثياب والرايات ، وكتب معه كتابا
 الى الشيعة . نعى اليهم فيه أباه ووعظهم " (٢) ، فبايع
 الجميع الامام الجديد (٣) . ثم قفل بكير وبرفقته بعض الشيعة
 العباسية الذين التقوا بالامام ابراهيم وتعرفوا عليه وطلبوا
 منه التعجيل بالثورة وقالوا له :

" حتى متى تأكل الطير لحم أهل بيتك وتسفك دماهم :
 تركنا زيدا مملوبا بالكناسة وابنه مطردا في البلاد ، وقصد
 شعلكم الخوف وطالت عليكم مدة أهل بيت السوء " (٤) .

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ ، ٢٤٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

الجهور أبي مسلم في خراسان :

قرر الامام ابراهيم في سنة ١٢٨ هـ (١) اختيار مولاة ابي مسلم الخراساني وذلك بعد أن عرش الأمر على سليمان بن كثير وعلى قحطبة فرفض (٢) ليمثله في خراسان . وكتب معه السبي شيعة كتابا قال فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم صدق وعد الله لأولياؤه ، وحقت كلمة الله على أعدائه ، ولا تبدل لكلمات الله ، لن يخلف الله الميعاد . أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ... أما بعد فقد وجهت اليكم مجد الدهر عبد الرحمن بن مسلم مولاي ، فألقوا اليه أزمة أموركم ، وحملوه أعباء الوزر لها والصبر في محاربة عدوكم ، وعاهدوا الله على الطاعة وكونوا بحبله معتصمين . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات وليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون " (٣) .

وكان تعرف أبي مسلم للمرة الأولى على الدعوة العباسية حينما التقى ببعض النقباء العباسيين الذين زاروا بعض

(١) اخبار الدولة العباسية ، ص ٢٧٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

العجليين فى سجن الكوفة وهم فى طريقهم الى اداء فريضة الحج وكان أبو مسلم يخدم هؤلاء العجليين (من بنى معقل) فى السجن ، فتوسموا فيه نجابة وعقل وأدب فضموه الى دعوتهم واصطحبوه معهم الى ابراهيم الامام بعد أن استأذن مولاه عيسى ابن ابراهيم السراج (١) وأعجب الامام أخلاقه ومنطقه ورأيه (٢) وغير اسمه الى عبد الرحمن وكناه بأبى مسلم وظل فى خدمته يستعمله فى حمل رسائله الى الكوفة وخراسان حتى سنة ١٢٨ هـ .

حين اشخصه الى خراسان .

وكان أبو مسلم على معرفة بأحوال خراسان - التى كانت الفتنة قد طالت فيها بين نصرين سيار وعلى بن الكرمانى ومن كان بها من العرب حتى أضجر ذلك كثيرا من أصحابها وجعلت نفوسهم تطلع الى غير ما هم فيه والى أمر يجمعهم فتحركت الدعوة يدعو اليمانى من الشيعة اليمانى والربعى الربعى ، والمضرى المضرى حتى كثر من استجار . وكفوا بذلك عن القتال فى العصبية (٣) - حيث اختلف اليها قبل ذلك بأمر من الامام

(١) المرجع السابق ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٦ .

(٣) انظر: اخبار الدولة العباسية ، ص ٢٤٨ .

ابراهيم ، وكانت احداها مع ابي سلمة خلال الذي التقى
 بالشيعة وقال لهم : " قد حضر أمركم فأعدوا واستعدوا... (١) .
 كما تقول رواية صاحب أخبار الدولة العباسية على لسان ابي
 مسلم : " أمرني الامام أن أنزل في أهل اليمن وأتألف ربيعة ،
 ولا أدع نصيب من صالح مضر وأحذر أكثرهم من أتباع بني أمية
 وأجمع إلى العجم واختصهم " (٢) .

ووصية ابراهيم الامام لابي مسلم تتلخص في الاعتماد
 على قبائل العرب من اليمنية في خراسان ، وكان هؤلاء يمثلون
 على أواخر أيام الأمويين حزب المعارضة لعرب الدولة ، وأن
 يتألف ربيعة ، ويحذر ويشك في العرب من المضرية ، وهم
 عصبية وإلى خراسان ، نصر بن سيار - إلا ما صلح منهم .

والحقيقة أن انقسام العرب على أنفسهم في خراسان
 كان السبب في نجاح أبي مسلم ، فأثناء الصراع بين نصر بن
 سيار العنزي والكرماني اليمني ، انضم أبو مسلم إلى الكرماني
 وعندما حذر نصر زعيم اليمنية الكرماني من خطورة الداعية
 العباسي وطلب إليه الاتفاق ووافق الكرماني كان جزاءه أن

(١) نفس المصدر ، ص ٢٦٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٨٥ .

قتله نصر (١).

املان الثورة :

لما فشا خبر أبى مسلم أقبلت الشيعة من كل فج، وقدم
الدعاة بمن وافقهم من اخوانهم ، وتكاثر عددهم يوما بعد
يوم (٢) . وكان أبو مسلم قد نزل فى منطقة مرو (لأنها أصلح
مكان لاعلان الثورة) ومن هناك أخذ يرسل النقباء الى مختلف
الأقاليم فى طخارستان ومرو الروذ والطالقان وخوارزم ، وحدد
أبو مسلم شهر رمضان لاطهار الدعوة ولكنه ترك للنقباء حرية
التصرف " . فمن أعجله العدو منهم دون الوقت ، بالأنى والمكروه
فقد حل لهم أن يدفعوا عن أنفسهم ويجردوا السيوف " ، وكذلك
من شغله منهم عدوهم عن الوقت فلا خرج عليهم أن يظهروا بعد
الوقت " (٣) .

وترك أبو مسلم مكانه فى فنين ونزل فى قرية سفيذنج "
وبث دعاية فى الناس وأظهر أمره " (٤) ، فسارعت الأعاجم ، وكثير
من أهل اليمن وربيعة الى الدعوة من بين متدين بذلك أو طالب
بدخل (شار) أو موتور يرجو أن يدرك بها شاره ، وأتاه عددة
من ذوى البصائر من مضر " (٥) .

(١) انظر ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٥٩٠ (أحدث سنة ١٢٠هـ)

ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٧٧ .

(٣) انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٠٠ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٠٠ .

(٥) أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٨٥ .

وتقول الرواية أن أبا مسلم بعث إلى نصر وفداً ٠٠ وكتب معهم إلى نصر كتاباً يدعوهم فيه إلى الطاعة والدخول فيما دخل فيه أهل الدعوة ، ويعلمه أن هذه الرايات السوداء التي أظهرها هي التي لم يزل يسمع بها ، ويحذر من أن يكون من هؤلاء (١) .

واستعمل نصر ضد شيعة العباسيين دعائية دينية قوية حيث قال : هذه المسودة وهي تدعو إلى غير ملتنا ، وقد أظهرنا غير سنتنا ، وليسوا من أهل قبلتنا ، يعبدون السنانير ، ويعبدون الرؤوس ، علوج وأغنام وعبيد وسقاط العرب والعوالى (٢) .

وأجابة الناس وظاهره على حرب أبي مسلم . وكتب نصر إلى ابن هبيرة وإلى العراق يستمده ، فلما استبدت به الأمور كتب إلى مروان الحمار يشكو له ابن هبيرة وبخيره بعظم الأمر من قبل أبي مسلم ، وكتب إليه .

أرى خلل الرماد وميض نار	ويوشك أن يكون لها فرام
فان النار بالعودين تذكى	وان الحرب بيدوها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعري	أ أ يقاظ أمية أم نيام (٣) -
فان يك قومنا أضحوا نياما	فقل قوموا فقد حان القيام

(١) انظر ، اخبار الدولة العباسية ، ص ٢٨٦ .

(٢) اخبار الدولة العباسية ، ص ٢٩٠ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(١) فصرى عن رجالك ثم قولى على الاسلام والعرب السلام

وكتب يعفله أمر أبى مسلم ، وكثرة الدعوة ، ومييل
اليغانية وربيمة اليه ، ثم بعث للخليفة رسولا . وظل نصر
ينتظر العدد أن يأتية ، " وقد فسد عليه أهل خراسان الامن
كان معه من مضر خاصة " وكتب نصر الى ابن هبيرة يستمده فلم
يمده (٢) فكتب الى الخليفة مروان ثانية يستنجد به بقوله :
" كتبت الى أمير المؤمنين ولم يبق منى شيء أستعين به على
عدو أمير المؤمنين لا فى رجالى ولا فى مالى ولا فى مكيدتى ،
ولو كنت أمددتنى بألف فارس من أهل الشام لاكتفيت بهم ، ولقطعت
دأبر القوم الظالمين . انى حين كتبت الى أمر المؤمنين قد
أخرجت من جميع سلطانى ، فأنا واقف على باب دارى ، وان لم
تأتنى مواد أمير المؤمنين ووكلنا الى ابن هبيرة طردت من باب
دارى ، ثم لا رجوع اليها الى ملتقى الحشر (٣) .

ثم ان نصرا كما يقول صاحب " أخبار الدولة العباسية " جمع
وجوه أصحابه وأهل الرأى والمشورة منهم ولم يجتمعوا على
شيء . وهنا اضطر نصرا الى الاستنجد بالخليفة مروان ثانية
يستحثه على امداده ويستنفره بقوله : " أما بعد فانى ومن

(١) أخبار الدولة العباسية ، ص ٣١٠ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ، ص ٣١١ - ٣١٢ .

معى من عشيرة أمير المؤمنين فى موقع من مرو على مجمع الطريق
ومحجة الناس العظمى من مختلف القوافل والرسل والجنود من
العراق ، فى حائط قد خندقت فيه على نفس ومن معى ، وعن يمينى
وشمالى قرى بنى تميم وسائر أحياء مضر ليس بشوبهم غيرهم الا
قرى على حدهم خاملة الذكر فيها خراعة وفيها حل طاغيتهم أبسو
مسدم ، فنحن حين كتبت الى أمير المؤمنين فى أمر هائل بتكفأ
بنا تكفو السفينة عند هبوب العواصف ونحن من أخواننا اليمانية
وأضامهم ورماعهم ، فيما نتوقع من سفهم ، ولما قد شملهم
من ورائهم الخبيث ... وأنا معتم بطة أمير المؤمنين وقد
أملنا غياث أمير المؤمنين ومواده وورد خيله وفرسانه ليقمع
الله بهم كل مصر على غشه وساع فى خلافة ، فلا يكونن مثلنا
يا أمير المؤمنين قول الأول :

لا أعرفنك بعد اليوم تندبني وفى حياتى مازودتنى زادى (١)

ثم قال نصر شعرا يحرض فيه العرب على الهاشمية :

أبلغ ربعة فى مرو واخوتهم	ليفضبوا قبل ألا ينفج الغضب
ما بالكم تنصبون الحرب ببيكم	كان أهل الحجى عن رأيكم غيب
وتتركون عدوا قد أظاف بكم	فأين غاب الحجى والرأى والأدب
لروا التفرق والأحقاد واجتهدوا	ليوصل الحبل والاصهار والنسب
أن تبعدوا لأزد منا لا نقر بها	أو تدن نحمدكم يوما لا اقتربوا

(١) أخبار الدولة العباسية ، ص ٣١١ - ٣١٢ .

اتخذ لون اذا احتجنا وننصرهم ليئس والله ماظنوا وما حسبوا (١)

وظهر أبو مسلم وأعلن اسم الامام من أعلى المنبر في صلاة الجمعة وأسفل المنبر علق علما أسود ان كان قد بعث بهما الامام من الكوفة أحدهما سمى الظل والآخر السحاب . وكان أبو مسلم وهو يعقد اللواءين يتلو : اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . وتأول الظل والسحاب فقال : ان السحاب يطبق الأرض وأن الأرض كما لاتخلو من الظل كذلك لاتخلو من خليفة عباس الى آخر الدهر (٢) .

(١) انظر ، أخبار الدولة العباسية ، ص ٣١١ - ٣١٢ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٠٠ ، وقارن مؤلف مجهول العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، النسخة المصورة بالافست ، المثنى بغداد ، عن طبعة بريل ١٨٦٩ ص ١٨٦ حيث يقول النص : " وكانت الراية التي نفذها ابراهيم تدعى السحاب ونفذ لواء يدعى الظل وتأويل هذين الاسمين الظل والسحاب أن السحاب يطبق الأرض وكذلك دعوة بني العباس وتأويل الظل أن الأرض لاتخلو من الظل أبدا فكذا لاتخلو الأرض من خليفة هاشمي أبدا الدهر " .

وكذلك لبس أبو مسلم السواد هو وأتباعه ، كما أنه غير في بعض الشعائر . لما حضر عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يلقى بالشيعية وأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير آذان وألا إقامة ، وكان بنو أمية يبدأون بالخطبة قبل الصلاة وبالآذان والإقامة .

وهكذا بدأ أبو مسلم نشاطه في منطقة قبائل خراة - كما تقول النصوص - ولكنه عندما اصطدم باتحاد قبائل العرب ضده خرج إلى قرية الماخوان وخذق بها . ثم عاد إلى نشاطه . ورغم أن أصبح من المشكوك في أمرهم من جانب العرب إلا أن هؤلاء كانوا مشغولين بنزاعاتهم ، فلم يستمروا اتحادهم طويلا بل أن عرب اليمنية تحالفوا معه عندما أرسل إلى ابن الكرماني واستماله إلى جانبه . أما عن أنصار أبي مسلم فكانوا خاضعين له تماما ، كما كان جنده مطيعين لقوادهم . أحسن الطاعة .

سقوط مرو :

وبفضل انقسام العرب على أنفسهم وتماسك حزب أبي مسلم نجح هذا الأخير في الاستيلاء على مدينة مرو عاصمة الأقليم الواقعة على نهر المروغاب ، وكان دخولها بفضل ميالة اليمنية وعلى رأسهم ابن الكرماني (١) .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٠٩ .

ودخل أبو مسلم مرو من باب قنوشير فقتل هذه الأيكة
 دخل المدينة على حين غفلة من أهلها " إلى آخر الأيكة ،
 ثم سار إلى دار الإمارة فنزلها ، وعلى بن الكرماني معه ، ثم
 أعوا الناس للبيعة فلم يتخلف عنها أحد من أهل مرو . ثم خرج
 إلى بن الكرماني وأبو مسلم إلى المسجد فصعد على المنبر
 وجعل أبو مسلم يبايع الناس ، وأقام أبو مسلم ثلاثة أيام
 يأخذ البيعة على أهل مرو وهرب نصر من المدينة يوم الجمعة
 ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٠ هـ (١) ، وبصحبه امرأته المرزبانسة ،
 التي اضطرت إلى تركها في الطريق ، واتجه إلى مدينة سرخس ،
 ومنها إلى طوس ثم إلى نيسابور .

فتح طوس :

مقتل تميم بن نصر :

ومن مرو أخذ أبو مسلم يدير الحرب ضد نصر . وكان يدير
 العمليات العسكرية في جانب السودة عدد من كبار القادة العرب
 فأول من قام بمهاجمة القوات الأموية في خراسان كان قحطبة
 بن صالح وهو من قبيلة طيء العربية . فلقد بدأ قحطبة بهزيمة
 تميم بن نصر بن سيار في طوس ، وكان أتباع الضحاك الشيباني
 من الخوارج ، فقد لحقوا بابن نصر هناك . وانتهت المعركة

(١) انظر ، أخبار الدولة العباسية ص ٣١٦ - ٣١٨ .

بمقتل تميم بن نصر واستباحة عسكره (١).

ويذكر صاحب " أخبار الدولة العباسية " أن نصر بن سيار قال يرثي ابنه تميما لما بلغه نبأ مصره •

نفى عنى العزاء وكنت جلدا	نكوب فجائع الحدك العظيم
وهم أورث الأحشاء وجددا	لاجلاء الفوارس عن تميم
ومصره على قضب الأعادي	يدب عن الجماعة والحريم
وفاء للخليفة وابتذالا	لنفس من أخى ثقة كريم
فان يك نهرنا أودى مداه	بفارسنا المقاتل فى الصميم
وان يشمت بنكبتنا عدو	فما أنا بالضعيف ولا السخوم (٢)

فتح نيسابور :

أما عن تصرفاته هرب من نيسابور الى جرجان ، وتمكن بذلك أبو مسلم من دخول مدينة نيسابور فى شوال سنة ١٣٠ هـ / يونيو ٧٤٨ م . وبعد أن تحقق لأبى مسلم هذا النجاح الكبير تخلص من زعيمى اليمنية من العرب وهما : على بن الكرمانى وأخوه عثمان اذ قتلها غدرا (٣) .

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٣٢٣ - ٣٢٦

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٢٦ •

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣١٢ •

فتح جرجان (وأخذ السرى) :

وعندما استغاث نصر بن سيار بوالى العراق ، ابن هبيرة أرسل اليه هذا جيشا بجرجان ، ولكن قحطبة خرج اليه وهزمه فى نى الحجة من نفس السنة ، بعد أن فتح جرجان وأوقع الهزيمة بأهلها الذين حاولوا الثورة حتى قيل أنه قتل منهم ما يزيد على ثلاثين ألفا . وبسبب تردد والى العراق ابن هبيرة ساء موقف نصر الذى مات وهو يفر أمام قحطبة بالقرب من الرى ؟ وكان مريضا يحمل حملا " . وبعد وفاة نصر أخذت مدينة الرى ، وصاير أبو مسلم أملاكهم لأنهم كانوا سفيانية كما تقول النصـوص . وأحاط الحسن بن قحطبة ببقية جيوش أهل الشام فى نهاوند وعندما خرج جيش شامى كبير لفك حصارهم بقيادة عامر العسرى والكرمان وداود بن يزيد بن هبيرة ، فى آواخر سنة ١٢١ هـ / ٦٤٩م هزمه قحطبة وهو يتقدم قرب أمفهان - وتقول النصـوص : " أمر قحطبة بمصحف فنصب على رمح ونادى يا أهل الشام انا تدموكم الى ما فى هذا المصحف ، فشتموه وأفحشوه فى القول " وأنه هزم داود بن هبيرة " وأصابوا عسكره ، وأخذوا منه ما لا يعلم قدره من السلاح والمتاع والرقيق والخيل ، وما روى عسكر قط كان فيه من أصناف الأشياء ما فى هذا العسكر كأنه مدينة ، وكان فيه من البرابط ، الطنابير ، والهمزات والخمر ما لا يحصى " (١)

(١) انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣١٦ - ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ .

حصار نهاوند:

واستراح قحطبة بعض الوقت بأصفهان ثم قدم على ابنه الحسن بن نهاوند . وبعد عدة أشهر من القتال استسلم الشاميون بنهاوند ، دون أن يفكروا في مصير اخوانهم بخراسان ، وهؤلاء قضى عليهم دون شفقة أو رحمة وبذلك انفتح طريق العراق أمام الخراسانية .

مسير قحطبة الى ابن هبيرة بالعراق :

وخرج قحطبة من نهاوند وتوجه الى العراق ، واضطر في أول الأمر الى الانسحاب أمام يزيد بن هبيرة ، والى الاقلية ، الذي خرج للقاءه وراء دجلة ولكنه عاد واتجه نحو الكوفة وتبعه ابن هبيرة وتمكن من مفاجأته في ذي الحجة سنة ١٣٦هـ / أغسطس ٧٤٩ م ، في معسكره قرب الأنبار ، مما اضطر قحطبة الى الانسحاب الى واسط . وأثناء القتال الذي كان يدور ليلا سقط قحطبة في النهر (الفرات) ومات غرقاً (١) ، في ليلة الأربعاء ٨ من محرم سنة ١٣٢ هـ (٢) . ولكن القوم اجتمعوا واجمعوا على الرضا بحميد (الحسن) بن قحطبة ، في رواية ابن الأثير " فبايعوه وسلموا له الأمر " (٣) .

(١) ابن الأثير ، ج ٤ ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ، ص ٣٧١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٧١ تاريخ خليفة ج ٢ ص ٥٨٢ أحداث سنة ١٢٩ .

فتح الكوفة :

تقدم الحسن بن قحطبة الى الكوفة فى الجنود ، واستولى جيشه عليها بعد أن هزم ابن هبيرة . ويفهم من النصوص أن الكوفة أخذت بسهولة ، إذا كان محمد ابن خالد القسرى قد خرج فيها على الأمويين الذين انسحبوا منها و" سود " أى أعلن دخوله فى دعوة العباسيين وكتب بذلك الى قحطبة (١) .

ظهور أبى سلمة بالكوفة :

وأرسل أبو سلمة الى حميد بن قحطبة أن يدخل الكوفة بأحسن هيئة ، وأن يظهروا زينتهم ، ويشهروا سلاحهم وأعلامهم وقرشهم ، ففعل وظهر أبو سلمة وأعلن أمره ، وكان ظهور أبى سلمة وتولييه للأمور يوم الجمعة ١٠ من المحرم سنة ١٢٢ هـ وتولى إدارة مقاليد الأمور (٢) .

موت ابراهيم الامام :

وتقول النصوص أن الخليفة مروان بن محمد كان قبل ذلك بقليل قد أمر بالقبض على الامام ابراهيم الذى أخذ وأنفقد الى حران وحبس . والظاهر انه قتل هناك . وتختلف الروايات فيما يتعلق بنهايته ، إذ يقال أن مروان وجه قوما فدخلوا السجن ليلا فغموا ابراهيم ، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز، فلما

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٢١ .
(٢) أخبار الدولة العباسية ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

أصبحوا وجدوهما ميتين (١)

(٢) و فى رواية أخرى " هدم مروان على ابراهيم بيتا فقتله
و خرج ابو العباس الذى كان ابراهيم قد أوصى له وعهد اليه
بالامامة الى الكوفة هو و أخوه أبو جعفر فوصلوها فى ربيع
الاول من سنة ١٢٢ هـ / أكتوبر ٧٤٩ م حيث اعلنت امامة ابى
العباس (٣)

(١) أخبار الدولة العباسية ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ ، ص ٣٩٦ حيث يقول
النص " وذكروا ان ابراهيم قدم به على مروان ، فدفعه الى
ابنه عبد الله بن مروان و هو عامله على الجزيرة فحبسه
فلما أراد مروان السير الى الزاب أمر بابراهيم فجعل
رأسه فى جراب نوره ، شقه عبد الله بن عمر بمرفقة جعلت
على وجهه فماتا ، تاريخ . خليفة ج ٢ ص ٥٨٢ احداث سنة ١٢٩ ،
وفاة المسعودى مروج الذهب ، ج ٤ ص ٨٤ - ٨٥ .

(٢) انظر : نفس المصدر ص ٣٩٧ .

(٣) انظر اخبار الدولة : العباسية ص ٤٠٢ و نص الوصية يقول :
" حفظك الله يا أخى بحفظ الايمان .. كتابى النيل من حران
وأنا على شرف الامر الذى لا بد منه فاذا كان ذلك فانت الامام
الذى تقيم امرنا و ترعى حرمه اوليائنا و دعائنا .. " .

وقعة الزاب ونهاية مروان بن محمد :

كان مروان بن محمد حتى ذلك الوقت يدافع عن خلافته كما أن يزيد بن هبيرة لم يكن قد استسلم بعد و كان لابنـند للمسودة من القضاء عليها .

و كانت الجيوش العباسية التي تعمل في أعالي دجلة تحت قيادة ابي عون عبد الملك بن يزيد الازدي الذي عينته قحطبة ولكنه بعد سقوط الكوفة أعفى القيادة التي أعطيت الى عم الخليفة ابي العباس ، عبد الله بن علي بن عباس . وتقدم مروان بن محمد على رأس جيش قوى للقاء الخراسانية الذين وصلتهم الامدادات من ابي سلمة الخلال ، و من ابي العباس و التقى بهم على الضفة اليسرى لنهر الزاب ، ودام القتال بين الطرفين تسعة ايام أحرز مروان خلالها بعض الانتصارات ، ولكن الامر انتهى بوقوع الاضطراب في جيشه اذ كانت كل عصبية تريد أن تتقدم العصبية الاخرى و أعقب ذلك هزيمة مروان نتيجة لخطأ استراتيجي ، اذ عقد جسرا على النهر و عبره رغم معارضة وزرائه في ذلك وترتب على هذا الخطأ أن انقطع الجسر عند الانهزام " و كان من غرق يومئذ اكثر ممن قتل " وذلك في ١١ جمادى الثاني من سنة ١٢٢ هـ ٢٦ يناير ٧٥٠ م " .

و فر مروان الى الموصل بعد هزيمة الزاب ، ولكنه استقبل استقبالا سيئا ، فسار الى حران ، و أقام بها اكثر من عشرين

يوما . وعندما تبعه عبد الله بن علي الى هناك مضى الى حمص
ولكن مدن الشام كانت قد بدأت تخلع طاعتها بالنسبة للامويين
و تسقط بين أيدي العباسيين ، مدينة بعد أخرى ، مثل : قنسرين
وحمص وبعليبك ، و لم تدافع الادمشق بعض الوقت ، فدخلت عنوة
في ٥ رمضان سنة ١٣٢ هـ / ١٧ نوفمبر سنة ٧٥٠ م ، بعد أن حوصرت
وضيق عليها الخنفاق .

وتابع العباسيون مطاردة مروان ، اذ سار في أثره
صالح بن علي من أبي فطرس الى العريش الى النيل ثم واصل
سيره الى صعيد مصر . و في بلدة بوصير من قرى الفيوم ، حاول
مروان الاختفاء في إحدى الكنائس^(١) ولكنهم " بايتوه وهجموا
على عسكره و ضربوا بالطبول و كبروا ونادوا بالشارات ابراهيم
فطن من بعسكر مروان أن قد احاط بهم سائر المسودة^(٢) ، فقتل
مروان في ١٧ من ذي الحجة سنة ١٣٣ هـ / ١٧ أغسطس سنة ٧٥٠ م
واحتز رأس آخر خلفاء الامويين وأرسل الى صالح بن علي الذي
مثل به فقتل لسانه ، وسيره الى أبي العباس الذي كان بالكوفة^(٣)

(١) انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ص ٨٧ .

(٣) ابن الاثير ، ج ٤ ص ٣٣١ .

استسلام ابن هبيرة في واسط ومقتله .

بالقضاء على مروان بن محمد لم يبق للامويين من قوة ولا حول الا قوات ابن هبيرة التي لجأت بعد انهزامها امام ابن قحطبة الى واسط ، المدينة الاستراتيجية التي بناها الحجاج في مستنقعات دجلة ، ودافعت عن نفسها ما يقرب من العام بدا بمناوشات خارج المدينة بين أهل و جيوش الحسن بن قحطبة وانتهت بانهم اهل الشام والتجأهم الى المدينة و تحصنهم بها و أصبح القتال رميا وتراشقا من بعيد .

ورغم الانقسامات بين اليمنية والقيسية في صفوف ابن هبيرة بعد أن كاتب ابو العباس السفاح اليمنية من أصحاب ابن هبيرة فان هذا الاخير لم يدخل في مفاوضات مع العباسيين الا عندما علم بموت مروان . و في هذه الاثناء كانت قيادة القوات العباسية المحاصرة بواسط قد انتقلت من يدى الحسن بن قحطبة الى أبى جعفر أخى الخليفة . وهذا يبين أن الخليفة بدا ينفج سياسة جديدة تهدف الى وضع مقاليد الامور وخاصة القيادات العسكرية بين يدى افراد أسرته و كتب السفاح الى الحسن بن قحطبة " ان بالمعسكر عسكري و القواد قوادك ولكن احببت ان يكون اخى خاضرا فاسمع له و اطع و احسن مؤازرته (١)

(١) أنظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

وبعد أن علم المحاصرون بمقتل مروان طلبوا الصلح
و جرت السفراء بين أبي جعفر وابن هبيرة و طالّت المفاوضات
بين الطرفين و كتب أبو جعفر كتاب امان لأبي هبيرة ، لبث ابن
هبيرة يشاور فيه العلماء اربعين يوما حتى ارتضاه وأرسله
الى أبي جعفر الذي أنفذه الى اخيه السفاح فأمره بامضائه
و أمضى السفاح المعاهدة ولكنه لم يحترمها بعد أن اعترض أبو
مسلم على نصوصها و كتب الى السفاح ان الطريق السهل اذا القيت
فيه الحجارة فسدلا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة " (١)

و انتهى الامر بقتل اغراد الحامية المستسلمة واغتيا
ابن هبيرة وباستسلام واسطثم القضاء على القوات الاموية
النظامية ، ونهج العباسيون سياسة ترمى الى استئصال شائبة
الامويين واستخدام العنت والقسوة ضد أفراد الاسرة التعسفة
ولم يتورعوا في ذلك عن استعمال الغدر والخيانة (٢)

مذبحة ابي فطرس :

من أهم المذابح التي غدر فيها عبد الله بن علي عم
الخليفة وقائد القوات العباسية في الشام بعدد كبير من افراد
الاسرة الاموية والتي تسمى بمذبحة ابي فطرس ، وذلك بعد أن آمنهم

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٣٣ .

ودعاهم الى الطعام . ويقال أنه بعد قتلهم غيلة امر بالبسط
ففرشت على جثثهم فأكل عليها ، وهو يسمع أنين بعضهم (١)

و طارد العباسيون الامويين في الشام و في فلسطين
والعراق و بعد مطاردة الاحياء انتهكوا حرمة الاموات ، فتبشّست
قبور الخلفاء في دمشق ، بأمر عبد الله بن علي ، ونثر تراب
جثثهم في الهواء ، و لم يستثن الاقبر عمر بن عبد العزيز ولم
ينجح من الامويين الا حفيد الخليفة هشام ، وهو عبد الرحمن بن
معاوية الذي هرب الى الاندلس ، حيث انشا دولة اموية جديدة (٢)
كما سنرى فيما بعد - واستصفيت اموال الامويين و هدمت قصورهم
و خربت مصانع المياه التي كانوا قد اقاموها حتى لا يبقـى
لذكرهم اثر .

=====

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢٢ .

(٢) انظر ، اخبار مجموعة في فتح الاندلس .

الفصل الخامس عشر

الفرق السياسية

الخوارج :

ظهرت فرقة الخوارج بعد موقعة صفين أى لأسباب سياسية

وقد عرفت الجماعة الأولى التى خرجت على على رضى الله عنه اثر معركة صفين عند الكتاب باسم الحرورية (نسبة الى حروراء من نواحي الكوفة وهو المكان الذى ظهروا فيه)^(١) كما عرفوا أيضا باسم الشراة (أى الذين اشتروا من الله أنفسهم بأن لهم الجنة) - خرجت على على لقبوله التحكيم ورفعت شعار " لا حكم الا لله ولهذا سموا أيضا " بالمحكمة^(٢)

وقد اجتمع الخوارج تحت قيادة عبد الله بن وهب الراسبي وهو أول من بويح بالامامة^(٣) ولحقوا بالمدائن فقتلوا عامل على رضى الله عنه عليها ، واشتد على فتى قتالهم وقتل عبد الله بن وهب الراسبي^(٤) ولكنهم بايعوا اماما آخر وتجمعوا فى منطقة البصرة وفيها انتشروا فى بلاد العرب - وقد وقفوا ضد كل من على ومعاوية الا أن ما أثاروه من اضطراب وقلاقل كان سببا فى ضعف الحزب العلوى مما ساعد

(١) انظر، الشهرستانى ، الملل والنحل ، ص ١٥٧ .

(٢) الشهرستانى ، ص ١٥٧ ، ص ١٦٠ .

(٣) الشهرستانى ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٤) المسعودى ، ج ٣ ، ص ١٥٥ - ١٥٧ .

على انتصار الأمويين . كما كانوا بعد ذلك سببا لانتصار العباسيين على الأمويين . وقد جلبوا على أنفسهم نقمة الدولة بسبب عنفهم ، فجدت في حربهم ، والقضاء عليهم حتى يمكن القول أنهم اختفوا فعلا من مسرح الأحداث من أواخر القرنين الثاني الهجري ، الثامن الميلادي . هذا ، مع بقاء جماعات منهم من الإباضية في عمان وزنبار والمغرب (في طرابلس وتونس والجزائر) .

ولقد قوى الخوارج بانضمام كثير من الموالى (أى من غير العرب) اليهم . وقد جوزوا أن تكون الإمامة (الخلافة) في غير قريش (عكس أهل السنة والشيعة) بمعنى أنهم أصحاب فكرة الحكومة الجمهورية التى يجوز أن يصل فيها الى مركز الرياسة أى مسلم دون تفرقة عنصرية - طالما توفرت فيه شروط الاهلية - " فيجوز ان يكون عبدا أو حرا أو نبطيا أو قرشيا (١) . وان غير السيرة وحاد أو عدل عن الحقيق وجب عزله أو قتله (٢) . وهم يبجلون ويجلون كلا من أبى بكر وعمر ، بينما يقفون من عثمان موقفا وسطا فهم يعترفون

(١) الشهر ستانى ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

(٢) الشهر ستانى ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

بخلافته في سنواتها الاولى وينكرونها في سنواته الاخيرة
ولكنهم ينكرون خلافة علي ومعاوية .

وقد انقسم الخوارج الى فرق عديدة من أشهرها فرقة
الازارقة ، أصحاب أبي راشد نافع بن الازرق ، وهم من غلاة
الخوارج وأكثرهم تعصبا - وخرجوا نافع من البصرة الى
الاهواز - في أيام عبد الله بن الزبير - فغلبوا عليها
وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان . وهم يكفرون
من ليس بفرقتهم من المسلمين . وهم لا يجيبونهم اذا دعواهم
الى صلاة ، ولا يتزوجون منهم ، ولا يأكلون ذبايحهم . وقالوا
عن بلادهم أنها " دار حرب " : فيجوز قتالهم وقتل أطفالهم
ونسائهم . وقد أسقط نافع حد الرجم عن الزاني ، وأسقط
حد القذف ممن قذف المحصنين من الرجال مع وجود الحد على
قاذف المحصنات من النساء . " ولكنهم قطعوا يد السارق من
المنكب " . وهم يرون أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر
ملة خرج به عن الاسلام جملة ويكون مغلدا في النار (١) .

(١) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ ،
وعن قطع يد السارق ، انظر ، ابن حزم ، الملل في الملل
والأهواء والنحل ، ج ٤ ، ص ١٨٩ (ذكر شنع الخوارج)

ولقد قويت شوكتهم فى جنوب فارس ، ولكن قضى عليهم آواخر القرن الأول الهجرى (نهاية القرن السابع) بعد عدد من الحملات العنيفة .

أما الفرقة الثانية فهى الصفرية ، أتباع زياد بن الأصغر ، وهؤلاء اتخذوا موقفا وسطا بين الأزارقة والأباضية فقبلوا وقف الحرب مؤقتا ضد غيرهم من المسلمين وأجازوا التقية (ستر العقيدة) " فى القول دون العمل " ، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين (١) .

وانتشروا فى آواخر أيام الدولة الأموية فى كل البلاد خاصة فى المغرب حيث عملوا مع الأباضية على إثارة المغاربة (البربر) ، وألحقوا بالدولة هزائم منكرة ، كما قتلتهم جيوش الخلافة قتلا ذريعا .

وسندمج الصفرية فى جماعة الأباضية ، والأباضية يمثلون الفريق المعتدل من الخوارج ، وهم أصحاب عبد الله بن أباض التميمى الذى خرج فى أيام مروان بن محمد ، فى جزيرة العرب ، وعملوا بذلك على انتصار العباسيين ، ولما طردوا

(١) انظر ، الشهر ستانى ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

من الحرميين ، ظلوا فى عمان وانتشروا فى بلاد زنزبار، والمغرب حيث عملوا مع الصفرية على نشر مذهبهم بين البربر. فأقاموا الامارة الرستمية فى تاهرت التى عاشت أكثر من ١٣٠ سنة الى ظهور الفاطميين ، فانسحب الخوارج الى الصحراء ومازال البيت جماعاتهم فى جربة ، وجبل نفوسة ، وخاصة فى بلاد الزاب وهم على اتصال بجماعات الخوارج فى عمان وزنزبار.

ويعتبر الاباضية آخر بقايا الجماعات الخارجية التى اشتد الحجاج وقواده فى قتالها . ولا بأس من الاشارة الى أن الحركة الخارجية لم تكن ضد التطور والازدهار الفكرى فعلى عهد الدولة العباسية ظهر كثير من علمائهم وأدبائهم ، كما كان لهم شعراء وخطباء .

أما عن تعاليم الخوارج فهى لم تدون ولم تقنن — مما جعلها عرضة للتحويل والتغيير ، الا أنها كانت ذات أثر واضح فى تقدم الفكر الدينى عند المسلمين بعد أن وثقت علاقاتها بالمعتزلة واستخدمت أسلوبهم فى الكلام .

وقد ظهر الخوارج بمظهر المحافظين على الشرع الذين يرغبون فى العودة بالمجتمع الاسلامى الى وحدته الأولى، وبالاسلام الى نقائه الاول : والقرآن بالنسبة لهم هو كلام الله الأزل

غير المخلوق ، وهو يحتوى على كل علم ، وينبغى أن يفسر
حرفيا . وقد وصفوا بأنهم أهل صيام وصلاة ، وهم لا يقرؤون وجود
العقيدة إذ لم تصحبها الأعمال التى تثبتها ، فالشخص السدى
يرتكب معصية كبيرة ليس بمؤمن بل وينبغى فى رأى المتطرفين
منهم عزله من الجماعة الاسلامية ، بل وقتله هو وعائلته .

الشيعة

الشيعة لغة هم الأصحاب والأتباع ، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي عليه رضی الله عنهم (١) .

وأصول الشيعة الرئيسية سياسية : والخلفاء الثلاثة الأول غير شرعيين ، أما عن الأمويين والعباسيين فانهم مغتصبون . فالأساس الشيعي في السياسة هو فكرة "الشرعية" فعلى رضی الله عنه أمام مفترض الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله واجب على الناس القبول منه والأخذ ، ولا يجوز غيره ، الذي وضع عنده النبي صلى الله عليه وآله من العلم ما يحتاج اليه الناس من الدين والحلال والحرام ، وجميع منافع دينهم ودنياهم . . . وجميع العلوم جليلها ودقيقها واستودعه ذلك كله ولذا استحق الإمامة . لعصمته وطهارة مولده وسابقتها وعلمه وزهده وعدالته في رعيته وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نص عليه ، وقلد الأمة إمامته ، وعقد له عليهم أمرة المؤمنين وجعله أولى الناس منهم بأنفسهم في موازن كثيرة (٢) . وقد أوصى النبي صراحة أمام جمع من

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٤٨ .

(٢) النوبختي ، فرق الشيعة ، طبع النجف ، سنة ١٩٣٦ ، ص ١٨-١٩

الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

صحابته بخلافته الى على ، وذلك فى غدير أئناء حجة الوداع
 فيقولون ان النبى خلب الناس فقال : " أنست أولى بالمؤمنين
 من أنفسهم : قالوا بلى يارسول الله . قال فمن كنت مولاه
 فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه وانصر من
 نصره واخذل من خذله ويحتفل الشيعة بذكرى هذا اليوم ،
 ويسمونه عيد الغدير (١) .

وفى نظر الشيعة يعتبر على وسلالته الاثنا عشر هم
 الخلفاء حقيقة أو الاثمة بوجه أصح ، اذ الامام عندهم وريث
 النبى صلى الله عليه وسلم . ويتم تعيينه بطريق الهى بفضل
 وصية سرية تنتقل منذ آدم من امام الى آخر اذ انتقل النور
 الالهى الذى حل فى آدم والأنبياء من بعده واحدا بعد آخر
 حل كذلك فى آباء محمد وعلى وانتقل اليهما والى ذريتهما
 من بعد ، وبالتالي فقد تجلى هذا النور نفسه فى أبناء على
 من غير فاطمة أيضا ، وهم جميعا من " أهل البيت " (٢)

وكما يقول الشيعة فان الاثمة الاثنا عشر معصومون ،
 وأن لكل واحد منهم آياته وكل منهم عندما يحس بالموت يوصى
 (١) انظر ، الشهر ستانى ، ج ١ ، ص ٢٢٠ حيث نص الحديث : " من
 كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
 وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه

(٢) ديمومبين ، النظم الاسلامية ، ص ٤٥ .

لآخر ليخلفه كامام ، وذلك الى آن نصل الى الحسن بن علي العسكري فان هذا يعهد بالامامة الى ابنه محمد ويعلن انه المهدي وأنه سيد الزمان ، وولد محمد بن الحسن بسامرا سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م . ، ويقال أنه اختفى هناك في سرداب بدارهم وتغيب حين اعتقل مع أمه وغاب هناك ، وهو يخرج آخر الزمان فيملا الأرض عدلا ، ويشيرون بذلك الى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي ، وهم الى الآن ينتظرونه — ويسمونه المنتظر لذلك (١)

وجود الامام ضروري لكل زمان . وظل التشيع على عهد الأمويين حزب المعارضة ضد عدم شرعية الحكم . وأصبح للتشيع حياة مستترة عملت بيز أتباعه على ظهور المييل الى ستر أو عدم الكشف عن معتقداته ، والاخذ بمبدأ (التقية) ورغم أن التقية أو الكتمان معروف لدى أهل السنة والخوارج إلا أنه سيصبح من أهم مميزات فرق الشيعة الغلاة .

والزيدية هم أكثر الشيعة اعتدالا وأقربهم الى أهل السنة ، ولقد أسسوا في اليمن امامة مستقلة .

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٥٢ .

والزيدية نسبة الى زيد بن علي زين العابدين حفيد الحسين الذي قتله الأمويون سنة ١٢٣ هـ / ٧٤٠ م ، وهم ——— يعترفون بشرعية خلافة أبى بكر وعمر فيقولون بجواز امامة المفضول مع وجود الأفضل . وهم ينكرون زواج المتعة (الزواج المؤقت) كما ينكرون فكرة حلول روح الله فى الامام ولا ينتظرون عودة الامام الغائب فمن رأيهم أنه منذ صارت الامام زيد ينبغى أن تكون الخلافة انتخابية وليست وراثية (١) .

وعلى عكس ذلك فان الامامية وهم أغلبية الشيعة يجعلون فى رجعة الامام المستتر أصلا من أصول العقيدة . فالامام الثانى عشر وهو محمد ينبغى ان يعود فى الوقت المناسب وأنه المهدي . وسيصبح التشيع فيما بعد المذهب الرسمى لایران . وانتصر التشيع بدخول البويهيين بغداد . وعلى أيامهم ألفت مجموعات الأحاديث الشيعية التى تعادل مجموعات أهل السنة .

والامام عند الزيدية يتمتع بالتوجيه الالهى بمعنى انه يتقلد شلطانه من الله ، ولكن الامامية يعتبرون أن الامام يحمل شيئا من نور الله أى انه متأثر بحلول جزئى تعطيه (١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٥٠ (عن الزيدية) وكان ينص عليه (أى زيد) مذاهب المعتزلة وأخذها اياها من واصل بن عطاء . وعن جواز امامة المفضول ، انظر ابن حزم الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ج ٤ ، ص ١٦٣ ، والشهرستاني ج ١ ، ص ٢٠٩ ، وعن الزيدية ، ص ٢٠٧ ف ٢٠٨ .

شيئا من القدسية ، أما الغلاة ففي نظرهم أن هذا الحلول نام
فالله يتخذ بالامام اتحادا أساسيا حتى أن الصفة الإلهية
تغلب على الصفة الانسانية لدى الامام (١) .

وفكرة عودة الامام هي التي تمخضت عن الحركات المهدية
التي عرفت في تاريخ الاسلام . ففكرة المهدي الذي يملأ الأرض
عدلا قبل آخر الزمان ظهرت في وقت متأخر بعض الشيء .

ويمكن القول أن التشيع أحسن استغلال لفكرة المهدي .
فعلى لدى الشيعة الغلاة يتحول الى اله يتحكم في السحاب
بالرعد صوته والبرق سوطه . وهكذا يصبح المهدي شيئا فشيئا
أحد أفراد بيت علي . أي يصبح الامام الغائب أو سليمان
فاطمة (الفاطمي) المنتظر . استفاد عبيد الله المهدي
من هذه التقاليد الشيعية واستطاع أن يؤسس الدولة الفاطمية
في أواخر القرن الثالث الهجري / العاشر الميلادي . وبعد
قرنين ظهر مهدي آخر هو محمد بن تومرت مؤسس دولة
الموحدين ، وهي الدولة السنية وان قبلت فكرة المهدي (٢) .

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٥١ .

(٢) كلمة المهدي اسم مفعول من هدى ، يقال هداه الطريق أي
عرفه ودله عليه وبينه له فهو مهدي . ووردت في القرآن
كلمة المهتدي : مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ .

ويذكر ابن خلدون أن أهل الحلة كانوا يقفون كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب السرداب ، الذي اختفى فيه محمد بن الحسن العسكري الامام الثاني عشر الملقب بالمهدي ، وقد قدموا مركبا فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ، ثم ينفضون ، ويرجعون الأمر الى الليلة التالية وهم على ذلك لهذا العهد (١) . (أى عندما كان يكتب ابن خلدون فى نهاية القرن الثامن الهجرى) .

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٥٢ .

الملاحق

ذكر ما قيل لأمنة عند حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويزعمون - فيما يتحدث الناس والله أعلم - أن أمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث .

أنها أتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها : انك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقللى : أعيدة بالواحد من شر كل حاسد ثم سمي^(١) محمدًا و رأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام .

(١) لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم وبقرب زمانه و أنه يبعث في الحجاز ، ان يكون ولدا لهم ، وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع ، جد جد الفرزدق الشاعر والآخر : محمد بن أحيدة بن الجلاح بن الحريش بن جحجى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاول ، والآخر : محمد ابن حران بن ربيعة ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك و كان عنده علم من الكتاب الاول فأخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وبأسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امراته حاملا ، فتذكر كل واحد منهم ان ولد له ذكر ان يسميه محمدًا ، ففعلوا ذلك (راجع الفصول لابن فورك ، والروض الانصف) .

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد العطلب^(١) ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

أن هلك و أم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به ^(٢)

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاعته

قال ابن اسحاق :-

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول عام الفيل^(٣)

(١) كذا في أ . وفي سائر الاصول : " قال حدثنا ابو محمد عبد الملك بن هشام . قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي

عن محمد بن اسحاق المطلبى قال ... الخ "

(٢) أكثر العلماء على أن عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المهد ، ابن شهرين او أكثر من ذلك وقيل بل مات عبد الله عند أخواله بنى النجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان و عشرين شهرا . ويقال انه دفن في دار النابغة في الدار الصغرى اذا دخلت الدار على يسارك فى البيت (راجع الطبرى و الروض الانسف) .

(٣) اختلف فى مولده صلى الله عليه وسلم ، فذكر انه كان فى ربيع الاول وهو المعروف ، وقال البيهقي : كان مولده فى رمضان وهذا القول موافق لقول من قال : ان امه حملته فى أيام التشريق و يذكرون ان الفيل جاء مكة فى المحرم و أنسه صلى الله عليه وسلم ولد بعد مجئ الفيل بخمسين يوما ، وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم بالشعب وقيل بالدار الى عند الصفا وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها ==

قال ابن اسحاق : حدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزوم عن أبيه عن جدة قيس بن مخزوم قال :-

ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم مام الفيل
فنحن لدان (١).

وقال ابن اسحاق / وحدثني صالح بن ابراهيم (٢) بن عبد الرحمن بن عوف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصاري . قال حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت قال :- " والله اني لفلام (٣) يفعه . وابن سبع سنين أو ثمان ، أمقل كل مسمعت ، اذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أظمة (٤) بيثرب : يا معشر يهود حتى اذا اجتمعوا اليه قالوا له : ويلك ؟ مالك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

زبيدة مسجدا حين حجت راجع الروض الأنف والطبقات الكبرى لابن سعد والطبري .

(١) كذا في أ . ولدان : منى لدة ، والدة : الترب والهاء فيه عوض عن الواو الذاهية من أوله ، لانه من الولادة و في سائر الاصول : " لدتان " ولم تذكر كتب اللغة .

(٢) وهو صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بن عمران الزهري المدني روى عن ابيه و أنس ومحمود بن لبيد والاعرج وغيرهم وعنه - غير ابن اسحاق ، ابنه سالم والزهري ويونس بن يعقوب الماجشون وجماعة . مات بالمدينة في خلافة هشام بن عبد الملك (من تراجم رجال) .

(٣) غلام يفعه : قوى قد طال قده ، مأخوذ من اليفاع وهو العالي من الارض

(٤) الاظمة (بفتحتين) : الحصن .

قال محمد بن اسحاق :

فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقلت : ابن كم كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؟ فقال : ابن ستين (سنة)^(١) وقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين .

قال ابن اسحاق :

فلما وضعت أمه صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى جده عبد المطلب : أنه قد ولدك فلزم ، فأتته فانظر إليه ، فأتته فنظر إليه وحدثته بمارات حين حملت به ، وما قيل لها فيه و ما أمرت به أن تسميه .

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقال يدعوه الله ويشكر له ما أعطاه ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها^(٢) والتعن الرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعا .

(١) زيادة عن أ .

(٢) وفي رواية أخرى أن عبد المطلب عوذه بشعر منه الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الاردان قد ساد في المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذي الاركمان (راجع الروض الانسف) .

واسم ابيه الذى أرضعه صلى الله عليه وسلم : الحارث
 بن عبد الغزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن قضية (١) بن نصر
 بن سعد بن بكر بن سوارن (٢)

قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة .

قال ابن اسحاق :

واخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت

(١) كذا فى م هنا . وفى سائر الاصول : " قضية " بالقاف . وهو
 تصحيف "

(٢) ويقال ان الحارث قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 بمكة حين أنزل عليه القرآن فقال له قريش الا تسمع
 يا حارث ما يقول ابنك هذا ؟ فقال : وما يقول : قالوا : يزعم
 ان الله يبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من
 عصاه ويكرم من أطاعه ، فقد شئت امرنا وفرق جماعتنا فأتاه
 فقال : أى بنى بالله ولقومك يشكونك ويزعمون انه تقول :
 ان الناس يبعثون بعد الموت ، ثم يصيرون الى الجنة و نار
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أزعم ذلك
 ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت لقد اخذت بيدك حتى أعرفك
 حديثك اليوم ، فأسلم الحارث بعد ذلك و حسن اسلامه و كان
 يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابنى بيدى فعرفنى ما قال
 لم يرسلنى ان شاء الله حتى يدخلنى الجنة (راجع الروض
 الانف) شرح المواهب والاصابة .

الحارث و حذافة (١) بنت الحارث ، وهى الشيماء (٢) غلب ذلك على اسمها فلا تعرف فى قومها . الا به ، وهم لحليمة بنت أبى نؤيب عبد الله بن الحارث ، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها (٣) اذا كان عندهم (٤) .

قال ابن اسحاق : وحدثنى جهم بن أبى جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحى عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . أو عن حدثه عنه قال :

(١) فى الإصابة : " خدامه " وهى بكسر الخاء المعجمة كمانه على ذلك السهيلى وأبو ذر ، وقد ذكر السهيلى وأبو ذر وابن حجر ما أثبتناه رواية أخرى و انفرد أبو ذر بالتنبيه على أنه والصواب ، وفى آ . والطبرى : والطبقات " خدامه " وبها جزم ابن سعد فى الطبقات على أنها " خدامة " بالجيم والبدال المهملة .

(٢) ويقال انها : " الشيماء " بلام (راجع شرح المواهب) .

(٣) كذا فى الطبرى . وفى الاصول : الامة " .

(٤) ويقال أن أول من أرضعته صلى الله عليه وسلم : ثريبته أرضعته بلبن ابن لها يقال له : مسروح ، أياما قبل أن تقدم حليمة . وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب المخزومى كما أرضعت عبد الله بن جحش ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك لتوبية و يصلها من المدينة فلم افتتح مكة سأل عنها وعن منها مسروح ، فأخبرانها ماتا وسأل عن قرابتهما فلم يجد احدا منهم حيا و كانت ثوبية ==

كانت حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية . أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته ، تحدث : أنها خرجت من بلدها مع زوجها ، وابن لها صغير^(١) ترضعه في نسوة من بنى سعد بن بكر تلتبس الرضعا قالت : وذلك في سنة^(٢) شهباء . لم تبقي لنا شيئا . قالت : فخرجت على اتان لي قمراء^(٣) معنا شارف^(٤) لنا وان ماتبض^(٥) بقطرة و ماننام لنا أجمع من صبينا الذي معنا من يكائه من الجوع ، ما في ثديي مايغنيه ، وما في شاربنا منا يغذيه - قال - قال ابن هشام ويقال يغذيه^(٦) ولكننا كنا نرجو الغيث و الفرج . فخرجت على أتاتى تلك ، فقد أدمت^(٧)

= جارية لأبى لهب . كما يقال انه صلى الله عليه وسلم رضع أيضا من غير هاتين .

(راجع الطبرى والروض الانف والاستيعاب وشرح المواهب) .

(١) يقال ان اسمه عبد الله بن الحارث (راجع شرح المواهب و المعارف و الطبقات) .

(٢) كذا في الطبرى ، و في أ : " و في سنة .. الخ ، وفي سائر الاصول : " و هي في سنة ... الخ .

(٣) القمرة (بالضم) : لون الى الخضرة او بياض فيه كـدرة يقال حمار أقمر و اتان قمراء ..

(٤) الشارف : الناقة المسنة .

(٥) ماتبض : ماترشح بشيء .

(٦) وماذكره ابن هشام اتم في المعنى من الانتصار على ذكر السر الغداء دون العشاء ، ويروى " مايعذبه " أى مايقنعه ختلى يرفع رأسه و يتقطع عن الرضاعة " .

(٧) كذا في أ . ولقد شرحها ابو ذر فقال : فلقد ادمت بالركب أى أظلت عليهم المسافة لمهلهم عليها ، مأخوذ من الشئ الدائم

بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا^(١) حتى قدمنا مكة
 نلتمس^(٢) الرضعا فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فتأباه ، اذا قيل لها انه يتيم و ذلك أنا
 انما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى ، فكنا نقول : يتيم ، وما
 عسى أن تصنع أمه وجده ، فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت مראה قدمت
 معى الا أخذت رضيعا غيرى ، فثبنا أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى :
 والله انى لا اكره ان أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا ، والله
 لاذهبن الى ذلك اليتيم فلاخذته ، قال : لا عليك ان تفعلنى عسى
 الله أن يجعل لنا فيه بركة .

رئى سائر الاصول : " أدمت " وأدمت بالركاب :. أعيت وتخلقت
 عن جماعة الابل ، ولم تلحق بها يريد أنها تأخرت بالركب أى
 تأخر الركب بسببها .

(١) العجف : الهزال .

(٢) يذكرون فى دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب اولادهم الى
 المراضع أسبابا ، احدها : تفرغ النساء الى الأزواج ، كما
 قال عمار بن ياسر لام سلمة رضى الله عنها و كان أخاها
 من الرضاعة حين انتزع من حجرها زينب بنت أبى سلمة فقال
 دعى هذه المفيوحة الشفوحة التى أذيت بها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وقد يكون ذلك منهم لينشأ الطفل فى
 الأفراب فيكون أفصح لسانا و أجلد لجسمه واجدر الا يطارت
 الهيئة المعدية ، كما قال عمر رضى الله عنه : تمعدوا
 تمعزوا واخشوثنوا . ولقد قال عليه السلام لابى بكر رضى
 الله عنه حين قال له : ما رايت أفصح منك يا رسول الله
 فقال وما يمنعنى أنا من قريش وأرضعت فى بنى سعد .

قالت (١) : فذهبت اليه فأخذته ، وما حملتني على أخذه إلا أنسى
 لم أجد غيره . قالت : فلما أخذته رجعت به الى رحلي ، فلما
 وضعته في حجري (٢) أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، فشرب
 حتى روى و شرب معه أخوه حتى روى (٣) ، ثم ناما و ما كنا ننام
 معه قبل ذلك وقام زوجي الى شاربنا تلك ، فاذا انها لحافل
 فحلب منها ما شرب و شربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا ، فبتنا
 بخير ليلة ، قالت : يقول صاحبني حين أصبحنا : تعالى (٤) واللله
 يا حليلة لقد أخذت نسبة مباركة ، قالت : فقلت : والله انسى
 لأرجو ذلك . قالت ثم خرجنا وركبت (أنا) (٥) أتاني و حملتني
 عليها معي . فوالله لقطعت بالركب ، ما يقدر عليها (٦) شيء من

= فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعا الى الممرضات
 الامرابيات ، وقد ذكر ان عبدالملك بن مروان كان يقول :
 أضربنا حب الوليد . لان الوليد كان لحانا وكان سليما
 فصيحاً لان الوليد اقام مع امه وسليمان و غيره من اخوته
 سكنوا البادية فتعربوا ثم ادبوا فتأدبوا (ارجع الروض الانف
 وشرح المواهب .

(١) كذا في : وفي سائر الاصول : "قال" ولعل تذكير الفعل على معنى
 الشخص

(٢) ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقبل ، الاعلى
 ثدي واحد وكان يعرض عليه الثدي الاخر فيأباه كأنه قد اشعر
 عليه الصلاة والسلام ان معه شريكا في لبانها (راجع الروض الانف)

(٣) كذا في أكثر الاصول والطبرى ، وفي الروض الانف : " روي "

(٤) كذا في اصول ، يريد : اعلمني ، وفي الطبرى : " أتعلمين .. الخ .

(٥) ريادة عن .

(٦) في أ . : " على "

حمرهم حتى ان صواحبى ليقتلن. لى : بابنه ابى ذؤيب و يحك اربعى^(١)
 علينا أليست هذه آتاك التى كنت خرجت عليها ، فاقول لهن
 بلى والله ، انها لهن هى ، فيقلن : والله ان لها لسانا ، قالت
 ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد ، و ما علم أرضا من أرض الله
 أجذب منها ، فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شباعا
 لبنا ، فنحلب و نشرب ، و ما يحلب انسان قطرة لبن ، ولا يجدها فى
 ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم و يلکم
 اسرحوا حيث يسرح رامى بنت ابى ذؤيب فتروح اغنامهم جياعا ما
 تبض بقطرة لبن ، و تروح غنمى شباعا لبنا . فلم نزل نتعرف من
 الله الزيادة والخير^(٢) حتى مضت سنتاه^(٣) و فصلته و كان يشب
 شبابا لا يشبه العلماء ، قلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا^(٤)
 قالت : فقدمنا به على أمه و نحن أحرص شء على مكثه فينسا
 لما كنا نرى من بركته فكلمنا أمه و قلت لها : لو تركت بنى
 عندى حتى يغلط فانى أخشى عليه و بآ مكة^(٥) قالت : فلم أنزل
 حتى رده معنسا .

(١) اربعى : اقيمى وانظرى : يقال : ربع فلان على فلان اذا اقام
 عليه وانتظره ومنه فيقول الشاعر :-
 " عودى علينا واربعى يافاطمما " .

(٢) كذا فى أكثر الاصول ، وفى أ : " الريادة والحيرة " وفى
 الطبرى : " زيادة الخير " .

(٣) فى الطبرى : " سنان " .

(٤) الجفر : الغليظ الشديد .

(٥) الوبأ (يهمز ويقصر) والوباء (بالمد) : الطامون

قالت : فرجعنا به : فوالله انه بعد مقدمنا (به) (١) .
 بأشهر مع أخيه لقي بهم (٢) لنا خلف بيوتنا ، اذ اتانا أخوه
 يشتد (٣) ، فقال لي ولابيه : ذاك أخى القرشى قد أخذه رجسلا
 عليهما ثياب بيض فأضجعه فشقا بطنه فهما يسوطانه (٤) . قالت
 فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائما منتفعا (٥) وجهه
 عالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يا بنى قال
 جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعانى وشقا بطنى ، فالتمسا
 (فيه) شيئا لأدرى ماهو ، قالت : فرجعنا (به) (٦) الى
 خبائنا .

قالت : وقال لي أبوه يا حليلة ، لقد خشيت ان يكون هذا
 الغلام قد اصاب بالحقيه بأهله قبل ان يظهر ذلك به ، قالت
 فاحتملناه فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما اقدمك به يائس (٧)

-
- (١) البهم : الصغار من الغنم واحدها : بهمة .
 (٢) اشتد فى عدوه : أسرع .
 (٣)
 (٤) يقال : سطت اللبن أو الدم أو غيرهما اسوطة : اذا ضربت
 بعضه ببعض ولم اعود الذى يضرب به : السوط
 (٥) منتفعا و جهة : أى متغيرا ، يقال : انتفع وجهه وامتقع
 (بالبناء للمجهول) : اذا تغير .
 (٦) زيادة عن أو الطبرى .
 (٧) الظئر (بالكسر) : العاطفة على ولد غيرها المرفعه
 له فى الناس وغيرهم ، فهو أعم من المرفعه لانه يطلق على
 الذكر و الانثى .

وقد كنت حريصة عليه و على مكثه عندك ؟ قالت فقلت (١) : قد بلغ الله يابنى و قضيت الذى على و تخوفت الاحداث عليه فاديته اليك (٢) كما تحبين ، قالت : ما هذا شأنك ، فاصدقيني خبرك ، قالت : فلم تدعنى حتى اخبرتها ، قالت : افتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت كلا ، والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وان لبنى لشأنا ، أفلا اخبرك خبره قالت : " قلت " بلى ، قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء (٣) الى قصور بصرى (٤) من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رايت من حمل قط كان أخف (على) ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وانسه الواضع يديه بالأرض رافع رأسه الى السماء ، دعبه عنك وانطلقى راشدة .

قال ابن اسحاق و حدثنى ثور (٥) بن يزيد عن بعض اهل العلم

(١) كذا فى او الطبرى : وفى سائر الاصول : " فقلت : نعم قد بلغ الخ .

(٢) كذا فى الطبرى ، وفى الاصول : " عليك " .

(٣) كذا فى او الطبرى وفى سائر الاصول : أضاء لى به قصور... الخ .

(٤) بصرى (بالضم والقصر) من أصل دمشق بالشام و هى قصة

كورة حوران ، مشهورة عند العرب ذيما و حديثا ولهم فيها

أشعر كثيرة (راجع معجم البلدان) .

(٥) هو ثور بن يزيد الكلاعى ، ويقال الوحى أبو خالد الحمصى أحد

الحفاظ العلماء روى عن خالد هذا وحبیب بن عبید و صالح

بن يحيى و غيرهم وروى عنه ابن تبارك و يحيى الفطان ، وخلق

كثير و كان يرى القدر و مات سنة ثلاث وخمسين و مئة وهو =

ولا احبه الا عن خالد بن معدان (١) الكلاعى .

أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : يا رسول الله : أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم . أنا دعرة ابى ابراهيم (٢) و بشرى (أخى) (٣) عيسى ، و رأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام (٤) واسترضعت من بنى سعد بن بكر ، فبينما أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهماننا اذا أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب معلوءة تلجا ثم اخذانى فشقا بطنى ، واستخرجا قلبى فشقاه ، فاستخرجا منه علقه سوداء فطرحاها ، ثم غسلا قلبى و بطنى بذلك الثلج حتى أنقياه (٥) ثم قال أحدهما لصاحبه رنه بعشرة من أمته .

(١) هو خالد بن معدان بن أبى كريب الكلاعى ابو عبد الله الشامى الحمصى ، روى عن توبان وابن عمرو وابن عمر وغيرهم وروى عنه سعيد و محمد بن ابراهيم بن الحارث وغيرهما : توفى سنة ١٠٣ ، وقيل سنة ١٠٤ ، وقيل سنة ١٠٨ .

(٢) كذا فى اكثر الاصول والطبرى . وفى أ : " دعوة ابراهيم " .
(٣) زيادة عن الطبرى .

(٤) و تأويل هذا النور ما فتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بنى أمية واستقامت تلك البلاد وغيرهما بنوره صلى الله عليه وسلم ، ويحكى ان خالد بن سعيد بن العاصى رأى قبل البعث بسير نورا يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر فى نخيل يثرب ، فقصها على أخيه عمرو ، فقال له : انها حفيرة عبد المطلب وان هذا النور منهم ، فكان ذلك سبب مبادرته الى الاسلام (راجع الروض الانف) .
(٥) كذا فى أ . وفى سائر الاصول : " قال : ثم قال : .. الخ " .

فوزننى بهم فوزتنهم، ثم قال ، زنة بمئة من أمته ، فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال : زنة بألف من أمته ، فوزننى بهم فوزنتهم فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها (١)

قال ابن اسحاق :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من نبى الا وقد رعى الغنم ، قيل : وأنت يا رسول الله قال : و أنا

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : أنا أعربكم ، أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد بن بكر .

قال ابن اسحاق :

وزعم الناس فيما يتحدثون ، والله اعلم : أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أصلها فى الناس وهى مقبلة به نحو أهله فالتسمية فلم تجده ، فأبت عبد المطلب ، فقالت له : انى قد قدمت بمحمد هذه الليلة . فلما كنت بأعلى مكة أضلنى فوالله ما أدرى أين هو : فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده . فیزعمون أنه وجدته ورقة بن نوفل بن أسد ورجل آخر

(١) وزاد الطبرى بعد هذا : " قال ثم ضمونى الى صدرهم وقبلوا رأسى و ما بين وما بين عينى ، ثم قالوا : يا حبيب ، لم تترع انك لو تدرى ما يراد بك من الخبر لغرت عينك " .

من قريش^١، فأتيا به عبد المطلب، فقالا له : هذا ابنك و جدناه
بأعلى مكة ، فآخذه عبد المطلب فجعله على عنقه و هو يطفو
بالكعبة يعوده و يدعو له ، ثم أرسل به الى أمه آمنة .

قال ابن اسحاق : و حدثني بعض أهل العلم :
أن معا هاج أمه السعدية على ردة الى أمه ، مع ذكرت لامه
معا أخيرتها عنه ، أن نفراً من الحبشة نصارى ، راوه معها حين
رجعت به بعد فطامه ، فنظروا اليه وسألوها عنه وقلبوه ، ثم
قالوا لها : لناخذن هذا الغلام ، فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا
فإن هذا غلام كافن له شأن نحن نعرف أمره فزعم الذي حدثني
أنها لم تكذب تنفلت به منهم (١)

(١) انظر ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا
وابراهيم الأبياري ، طبع دار احياء التراث العربى ، بيروت
ج ١ ص ١٦٦ - ١٧٧ .

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانجيل

قال ابن اسحاق :

وقد كان ، فيما بلغنى عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله فى الانجيل لاهل الانجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أثبت يحسن الحوارى لهم ، حين نسخ لهم الانجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام ، فى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة ولكن من الان بطروا وذنوا انهم يعزوني^(١) وايضا للرب ، ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس : انهم ابغضوني مجانا^(٢) أى باطلا . فلو قد جاء المنحمننا هذا الذى يرسله الله اليكم من عند الرب وروح^(٣) القدس^(٤) ، هذا الذى من عند الرب خرج فهو شهيد على و أنتم ايضا ، لانكم قديما كنتم معى ، فى هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا .

والمنحمننا (بالسريانية) : محمد و هو بالرومية

البرقليطس ، صلى الله عليه وسلم و على آله وسلم .

(١) يعزوني : يغلبوننى ، يقال : عز الرجل الرجل ، اذا غلبه .

(٢) و كذلك جاء فى الحكمة : يابن آدم ، علم مجانا ، أى بلا

ثمن .

(٣) زيادة عن أ .

(٤) كذا فى اكثر الاصول ، والقدس : التطهير ، وفى أ . " القسط "

و القسط : العدل .

عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً

قال ابن اسحاق (١) :

ذلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه (٢) الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً وحنان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له : والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " وأخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ، ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري " أى ثقل ما حملتكم من عهدي " قالوا أقررنا قلنا فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين " . فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له والنصر له من خالفه ، وأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

(١) كذا في أ . وفي سائر الأصول : " قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحاق الملقب قال ... الخ .

(٢) ويقال ان بعثه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ، ويستدلون على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لبلال : لا يفتك صيام يوم الاثنين ، فأنى قد ولدت فيه ، وبعثت فيه ، وأموت فيه وقيل غير ذلك .

(راجع شرح المواهب ، والروض) .

قال ابن اسحاق : فذكر الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها حدثته :

أن أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة :

حين أراد الله كرامته ورحمة العباد ، الرؤيا الصادقة لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه الا جاءت كفلق الصبح . قالت : وحبب الله تعالى اليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب اليه من أن يخلو وحده .

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، وكان واعية (١) ، عن أهل العلم .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله بكرامته وابتدأه بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر (٢) عنه البيوت ويفضي الى شعاب (٣) مكة ويطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر الا قال : السلام عليك يا رسول الله (٤) . قال : فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى الا الشجر

(١) واعية : حافظا ، والتاء فيه للمبالغة .

(٢) تحسر عنه البيوت : تبعد عنه ويتخلى عنها .

(٣) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال .

(٤) قال السهيلي : " وهذا التسليم الأظهر فيه أن يكون حقيقة وأن يكون الله أنطقه انطاقا ، كما خلق الحنين في الجذع =

والحجارة . فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يـسرى
ويسمع ، ماشاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام
بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء فى شهر رمضان .

قال ابن اسحاق : وحدثنى وهب ^(١) بن كيسان ، مولى آل الزبير
قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن
قتادة الليثى : حدثنا يا عبيد ، كيف كان بدء ما ابتدئ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل
عليه السلام ، قال : فقال عبيد وأنا حاضر يحدث عبد الله ابن
الزبير ومن عنده من الناس - كان رسول الله صلى الله عليه

ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف ، الحياة والعلم
والارادة ، لأنه صوت كسائر الأصوات ، والصوت عرض فى قول
الأكثرين ، ولم يخالف فيه الا النظام ، فإنه زعم أنه جسم
وجعله الأشعرى اصطكاكا فى الجواهر بعضها لبعض . وقال
أبو بكر : ليس الصوت نفى الاصطكاك ، ولكنه معنى زائد عليه
.. الى أن قال : ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر
والشجر ، والصوت عبارة عنه ، لم يكن بدا من اشتراط الحياة
والعلم مع الكلام ، والله أعلم أى ذلك كان : أكان كلاما
مقروا بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمنا ، أو كان صوتا
مجردا غير مقترن بحياة ، وفى كلا الوجهين هو علم من
أعلام النبوة . . . وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مفاة
فى الحقيقة الى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ويعمرونها ، فيكون
مجازا من باب قوله تعالى :- " واسأل القرية " .

(١) هو وهب بن كيسان القرشى مولى : آل الزبير أبو نعيم العدنى
المعلم المكى روى عن أسماء بنت أبى بكر وابن عباس
وعمر وابن الزبير وغيرهم . وعنه هشام بن عروة وأيوب وعبيد
الله بن عمر وغيرهم . وتوفى سنة سبع وعشرين ومئة ، وقيل سنة تسع
(راجع تهذيب التهذيب) .

وسلم يجاور^(١) في حراء من كل سنة شهرا ، وكان ذلك مما تحنت به قريش في الجاهلية ، والتحنث التبرر .

قال ابن اسحاق : وقال أبو طالب :
وثور ومن أرسى شبيرا مكانه وراق ليرقى في حراء ونازل

قال ابن هشام : نقول العرب : التحنث والتحنف ، يريدون الحسنة ، فيبدلون الفاء^(٢) من التاء ، كما قالوا جدث وجدف ، يربدون القبر . قال رؤبة ابن العجاج .
لو كان أحجاري مع الأجداث^(٣)

يريد الأجداث . وهذا البيت في أرجوزة له . وبيت أبي طالب في قصيدة له ساذكرها ان شاء الله في موضعها .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول : فم ، في موضع ثم يبدلون الفاء من التاء .

(١) وفي الرد على ابن هشام : قال أبو ذر : "والجيد فيه أن يكون فيه التحنث هو الخروج من الحنث : أي الاثم ، كما يكون التآثم ، الخروج عن الاثم ، لأن تفعل قد تستعمل في الخروج من الشيء ، وفي الانسلاخ عنه ، ولا يحتاج فيه إلى الابدال الذي ذكره ابن هشام" .

(٢) في هذا الشعر شاهد ورد على ابن جني حيث زعم أن "جدف"

بالفاء لا يجمع على أجداث (راجع الروض) .

(٣) زيادة عن أ .

قال ابن اسحاق : وحدثني وهب بن كيسان قال قال عبيد :

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به ، إذا انصرف من جواره الكعبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر (شهر) (١) رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءني جبريل ، وأنا نائم بهيمد (٢) من ديباج فيه كتاب (٣) ، فقال : اقرأ ، قال : قلت ما أقرأ (٤) قال : ففتنني (٥) به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال

(١) زيادة عن أ .

(٢) النمط : وعاء كالسقط .

(٣) قال بعض المفسرين : في قوله تعالى : " ألم ذلك الكتاب

لا ريب فيه " أنها إشارة إلى الكتاب الذي جاء به جبريل

حين قال له : اقرأ (راجع الروض) .

(٤) كذا في الأصول والطبري . وفي شرح العواهب : " ما أنا بقارىء

يريد أن حكى كسائر الناس من أن حصول القراءة إنما هو

بالتعلم ، وعدمها بعدمه .

(٥) كذا في الأصول والطبري ، والفتن : حبس النفس ، وفي المواهب : " فغطني "

وهي بمعنى غت .

أقرأ، قال قلت : ما أقرأ : قال : فغنتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا أقرأ ؟ قال : فغنتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني (١)، فقال : اقرأ ، قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك الا اقتداً منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي ، فقال : " اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم " قال : فقرأتها ثم أنتهى فانصرف عني وهببت من (٢) نومي ، فكانما كتبت في قلبي كتاباً . قال فخرجت حتى اذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء

(١) لعل الحكمة في تكرير : " اقرأ " الإشارة الى انحصار الايمان ينشأ عنه الوحي بسببه في ثلاث : القول ، والعمل والنية ، وأن الوحي يشتمل على ثلاث : التوحيد والأحكام والقصص (راجع شرح المواهب .

(٢) قال السهيلي : " قال في الحديث : فأتاني وأنا نائم، وقال في آخره : فهمت من نومي فكانما كتبت في قلبي كتاباً ، وليس ذكر الثوم في حديث عائشة ولا غيرها ، بل في حديث مروية ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بمسورة " اقرأ " كان في اليقظة ، لأنها قالت في أول الحديث : أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة ، كان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبيب اليه الخلاء ... الى قولها حتى جاءه الحق ، وهو بفار حرا ، فجاءه جبريل ، فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي عليه السلام بالقرآن، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل في المنام قبل ان يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به ، لأن أمر النبوة عظيم وعملها ثقیل والبشر ضعيف .

يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال : رفعت رأسي الى السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل قال : فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي منه في آفاق السماء ، قال : فلا أنظر في ناحية منها الا رأيته كذلك ، فما زلت واقفا ما أتقدم أماما وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبني ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا اليها وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

وانصرفت راجعا الى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست السى فخذها مضيفا (١) اليها : فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لى ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشر ابن عم وأثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة .

ثم قالت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتاب ، وسمع من أهل التوراة والانجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه رأى وسمع ، فقال ، فقال ورقة بن نوفل : قدوس (٢) ، (١) مضيفا : ملتصقا ، يقال : أضفت الى الرجل ، اذا ملست نحوه ولصقت به ، ومنه سمي الضيف ضيفا . (٢) قدوس قدوس : أى طاهر طاهر ، وأصله من التقديس ، وهو التطهير .

والذى نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتينى ياخديجة لقد جاءه
الناموس (١) الاكبر الذى كا يأتى موسى ، وانه لنبى هذه
الامة ، فقولى له : فليثبت . فرجعت خديجة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف ، صنع كما كان
يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقية ورقة بن نوفل وهو
يطوف بالكعبة فقال : يا بن أخى ، أخبرنى بما رأيت وسمعت
فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له ورقة :
والذى نفس بيده ، أنك لنبى هذه الامة ولقد جاءك الناموس
الأكبر الذى جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذبنه ولتخرجنه
ولتقاتلنه (٢) ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا
يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه قبل يافوخه (٣) ، ثم انصرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى منزله .

- قال ابن اسحاق : وحدثنى اسماعيل بن أبى حكيم (٤) مولى
آل الزبير ، انه حدث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت
الناموس (فى الاصل) : صاحب سر الرجل فى خبره وشره ، فعبّر
(١) عن تلك الذى جاءه بالوحى به .
(٢) الهاء فى هذه الأفعال للسكت .
(٣) اليافوخ : وسط الرأس .
(٤) هو اسماعيل بن أبى حكيم القرشى ، روى عن سعيد بن
العسيب والقاسم بن محمد وعبيدة بن شعبان الخضرى
وغيرهم ، وعند مالك وابن اسحاق واسماعيل بن جعفر وأبو
الأسود وغيرهم ، وكان عاملا لعمر بن عبد العزيز وتوفى
سنة ١٣٠ . (راجع تهذيب التهذيب) .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أى ابن عم ، أتستطيع ان تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك ؟ قال : نعم قالت : فاذا جاءك فأخبرنى به . فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : ياخديجة ، هذا جبريل قد جاءنى ، قالت : قم يا بن عم فاجلس على فخذى اليسرى ، قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، قالت : هل تراه : قال : نعم ، قالت : فتحول فاجلس على فخذى اليمنى ، قالت : فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذه اليمنى ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحول فاجلس فى حجرى ، قالت : فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليه وسلم فجلس فى حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قال فتحسرت وألفت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جلس فى حجرها ، ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا ، قالت يا بن عم ، أثبت وأبشر ، فوالله انه لملك وما هذا بشيطان . قال ابن اسحاق : وقد حدثت عبد الله (١) بن حسن هذا الحديث فقال :

(١) هو عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، وأمه فاطمة بنت الحسن أخت سكينه ، واسمها آمنه وسكينه لقب لها ، التى كانت ذات دعابة ومزح ، وفى سكينه وأمزح ، وفى سكينه وأمه الرباب يقول الحسين بن على : (أى زارت قومها ، وهم بنو عليم بن جناب بن كلب) وعبد الله بن حسن هو والد الطالبين القاشمين على بنى العباس وهم : محمد ويحيى وادريس ، مات ادريس فى افريقية فارا من الرشيد ، (راجع الروغى) .

قد سمعت أمى فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عسى
خديجة، إلا أنى سمعتها تقول :

" أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين
درعها ، فذهب عند ذلك جبريل ، فقالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم : ان هذا لملك وما هو بشيطان -

تَمَجِّدُنِي وَيَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ
 وَمُتَّبِعِي يَهْدِي إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ " شَهْرُ رَجَبٍ هَذَا الَّذِي كُنَّا
 فِيهِ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِأَنفُسِنَا وَبِأَنفُسِ آبَائِنَا وَقَالُوا
 تَسْمَعُونَ " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ " وَمَا أَفْكَرَ مَا تُكَلِّمُونَ
 فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ الشَّجَرَةَ
 وَالْأَرْوَاحَ فِيهَا بِلَدْنِ رَبِّهِمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَالْكِتَابُ
 الْمُنِيرُ " وَقَالَ تَعَالَى " هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ فِيهِ
 فِي لَيْلَةِ بَيْرُكَةِ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ " فَهِيَ الْبَيْتُ الَّذِي كُنَّا فِيهِ
 أَنْزَلْنَا مِنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ " إِنَّ فِي هَذَا
 لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى عَبْدِنَا إِلَّا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ
 فَتَقَرَّبْ " وَذَلِكَ مُلَاقَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ
 وَالْمُشْرِكِينَ يَبْذُرُهُ

قال ابن اسحاق وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين :
 أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « هو المشركون
 بيوم الجمعة صبيحة سمع نشرة من الله »

قال ابن اسحاق :

ثم تتام الوحي الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيسلم ويحسب
مؤمن بالله مصدق بما جاءه من ربه ، وتحتسب

منه ما حمل على رضا العباد وسخطهم . والنبوة أثقال ومؤنة ،
لايحملها ولا يستطيع بها الا أهل القوة والعزم من الرسل
بعون الله تعالى وتوفييقه ، لما يلقون من الناس وما يـرد
عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال فمضى رسول الله عليه وسلم على أمر الله ، على
ما يلقي من قومه من الخلاف والآلئ (١) .

(١) انظر ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٥٤٩ - ٢٥٦ .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع :

- (١) ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الجزري ، توفى سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٢٣ م .
- الكامل في التاريخ ، طبعة القاهرة ، ٤ أجزاء .
 - اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٥ أجزاء ، طبعة المعارف ، القاهرة ٨٥ ، هـ .
- (٢) ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ، توفى سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ٤ أجزاء القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .
- (٣) ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، توفى سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م .
- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، والدكتور ناصر الدين الاسد ، طبع دار المعارف ، مصر (مجموعة تراث الاسلام) .
 - جمهرة انساب العرب ، تحقيق ليفي بروفنسال طبع دار المعارف ، سنة ١٩٤٨ (مجموعة ذخائر العرب)
- (٤) ابن حوقل ، أبو القاسم محمد ، توفى سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م .
- كتاب صوره الارض ، نشر تريبندر .
- ليدن ١٩٣٨ ، في جزئين

(٥) ابن شاذلي، أذيه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله

توفي سنة ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م .

— المسالك والممالك : نشر وجوييه تيسر .

(٦) ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن

خلدون ولي الدين التونسي الحضرمي ، الملقب بالملك المنصور

توفي في سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م .

— العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب

والعجم والبربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان

الأكبر ، ٧ أجزاء ، بولاق ١٣٨٤ هـ .

— مقدمة ابن خلدون ، طبعة التجاريد

— التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، نشر

محمد بن تاوريت الطنجي ، القاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م .

(٧) ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، نشر

محمد محيي الدين عبد الحميد ، في ٦ أجزاء ، القاهرة

١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ / ١٣٦٩ - ١٩٥٠ م .

(٨) ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن مناة توفى

توفي سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م .

— كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق الدوارد سحر ، ٨ أجزاء

ليدن ١٩٠٤ - ١٩١٧ .

(٩) ابن الشباط ، محمد بن علي بن محمد المصري التوزري

توفي سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م .

— صلة السمط وسمة المرط

نشر القسم الخاص بالأندلس ، أحمد مختار العبادي

معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٧١ م .

(١٠) ابن مبد النيس القرطبي ، يوسف ، المنطوي ، توفي سنة ٤٥٩

هـ / ١٠٦٦ م .

— الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، نشر علي شامس

الاصابة في أخبارهم ، في أخبارهم ، والمنشأة السجيرة

بالأوقاف ، المثنى ، ١٩٦١ م .

(١١) ابن عبد السلام ، عبد الرحمن ، ابن عبد الله بن عبد الحكيم

ابن اعيان بن ليث أبو القاسم القرشي ، ولد في الحجاز

سنة ١٨٧ هـ ، توفي سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م .

— فتوح مصر والمغرب والاندلس ، نشر شارل تورنر ،

طبعة ليدن ١٩٢٠ .

— نشرة جزئية جديدة بمعرفة عبد المنعم عامر ، القاهرة

١٩٦١ .

(١٢) ابن عدري المراكشي ، أبو العباس أحمد بن محمد ، كان

حياته ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م

- البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، (الجزء
الاول ، تاريخ افريقية والمغرب من الفتح الى
القرن الرابع الهجرى " ، نشر وتحقيق كولان وبروففال
لندن ١٩٤٨ م .

(١٣) ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد ، توفى سنة ٢٩٠ هـ /
٩٠٣ م .

- كتاب البلدان ، نشر هجوبية ، ليدن ١٨٨٥ م .
(١٤) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، توفى سنة
٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م .

- كتاب المعارف ، طبع القاهرة ١٩٣٤ -

- الامامة والسياسة ، القاهرة ١٣٢٢ هـ .

(١٥) ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم ، توفى سنة
٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م .

- ميعون الأخبار .

- الشعر والشعراء .

(١٦) ابن القوطية ، محمد بن عمر ، توفى سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م .

- تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق عبد الله انيس

الطباع ، طبع بيروت ١٩٥٧ م .

(١٧) ابن الكردبوس ، (آخر القرن السادس الهجرى / ١٢ م)

- تاريخ الاندلس ، تحقيق احمد مختار العبادى ،

مجلة معهد الدراسات الاسلاميه بمديرية ١٩٧١ .

(١٨) ابن النديم ، محمد بن اسحاق ، توفى ٢٨٣ هـ / ٩٩٣ م .

- الشهريست ، طبعة التجارية .

(١٩) ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب

الحميرى ، توفى سنة ٢١٨ هـ .

- السير النبويه ، تحقيق مصطفى الدقا ، ابراهيم

الابيارى ، عبد الحفيظ شلبى ، ١٩٨٤ ، طبع

دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان

(٢٠) ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم

الخرجى الافريقى ، توفى سنة ٧١١ هـ / ١٣١١ م .

- لسان العرب ، طبع بولاق ١٢٩٩ - ١٣٠٨ هـ ، فى فشرين

مجدا .

(٢١) الاصطخرى ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى ، توفى

سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م .

- كتاب المسالك والممالك نشر جويته ، ليدن ١٩٢٧ .

(٢٢) بروفسال ، تاريخ اسبانيا الاسلاميه ، بالفرنسية ، طبع

الجمعية الفرنسيه للآثار الشرقيه ، القاهرة ١٩٤٨ .

(٢٣) البغدادى ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر ، توفى سنة

٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م .

- الفرق بين الفرق ، طبع القاهرة ١٢٢٨ هـ / ١٩١٠ م .

(٢٤) البكرى ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز توفى

سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م .

- المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر

رسلان ، باريس ١٩١١ .

(٢٥) البلاذرى ، أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر، توفى

سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م .

- كتاب فتوح البلدان ، طبع ليدن ١٨٦٦ م .

(٢٦) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، توفى سنة ٢٢٢ هـ /

القاهرة ١٢٢٢ هـ / ١٩١٤ م .

- كتاب البيان والتبيين ، ٤ أجزاء ، القاهرة

١٩٢٨ .

(٢٧) الجهمشيارى ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، توفى

٣٣١ هـ / ٩٤٢ - ٩٤٣ م .

- الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم

الابيارى ، وعبد الحفيظ شلبى ، طبع القاهرة ١٩٣٨ .

(٢٨) خليفة بن خياط ، تولى سنة ٢٤٠ هـ / ٩٥١ م .

- تاريخ خليفة بن خياط (رواية بقي بن مخلد) تحقيق

سهيل زكار ، في تبيين ، منشورات وزارة الثقافة

والسياحة ، الارشاد القومي ، دمشق ١٩٦٧ - ١٩٦٨ .

(٢٩) ديمومبين (جوب شريفا) ، النظم الاسلامية ، ترجمة

الدكتور فيصل السليمان ، الدكتور طه حسين ، دار

النشر للجامعيين ، بيروت ١٩٦١ .

(٣٠) الحسيني ، محمد ، الدين ابو عبد الله ، دار ابن كثير ، دمشق

تولى سنة ٧٨٤ هـ / ١٢٤٧ - ١٢٦٨ .

- تذكرة الحفاظ ، ج ١ ، دار الفكر ، القاهرة الثانية ١٩٦٨

ابو الحسن الذهبي ، ١٢٦١ هـ

(٣١) الرقيق القيرواني ، ابو القاسم ابراهيم ، تولى سنة

سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م .

- تاريخ الرقبة والمغرب ، تحقيق المنجي الخبيبي ،

تونس ١٩٦٨ .

(٣٢) الزبيرى ، ابو عبد الله الزبير بن بكار ، ابن احمد بن

مصعب ، تولى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م .

- كتاب نسب قریش ، تحقيق ليفس بروفستال نشر دار المعارف

مصر ١٩٥٢ (مجموعة ذخائر العرب) .

(٣٣) سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ الدولة العربية ، طبع
بيروت ١٩٧٧ .

— في تاريخ العرب قبل الاسلام ، طبع بيروت ١٩٧٥ .

(٣٤) الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم ، توفى
سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م .

— الملل والنحل ، ٥ أجزاء ، القاهرة ١٣١٧ هـ .

(٣٥) الطبي ، ابو جعفر محمد بن جرير ، توفى سنة ٣١٠ هـ /
٩٢٣ م .

— تاريخ الأمم والملوك ، طبعة دار المعارف ، ٧ أجزاء
(مجموعة ذخائر العرب) .

(٣٦) القاضي عياض ، ابو الفضل بن موسى اليحصبي ، توفى سنة
٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م .

— ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة اعلام
مذهب مالك ، تحقيق محمد بن محمد ، ٤ أجزاء ،
طبع بيروت .

(٣٧) فاروق عمر ، طبعة الدعوة العباسية ٩٨ هـ / ٧١٦ م — ١٢٢ هـ /
٧٤٩ م (دراسة تحليلية لواجهات الثورة العباسية
وتفسيراتها ، طبع دار الارشاد ، بيروت ، طبعة أولى سنة
١٩٧٠ .

(٣٨) القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي

القلقشندي المصري، توفى سنة ٨٦٦ هـ / ١٤١٨ م .

— أصبح الأعشي في نشاطه في سنة ٨٦٦ هـ من ١٤ طبع دار الكتب

المصرية ١٩١٣ م . طبع في سنة ١٩١٣ م . الطبعة

الأميرية . القاهرة .

— توفى في القاهرة في سنة ٨٦٦ هـ . طبع في سنة ١٩١٣ م .

— توفى في سنة ٨٦٦ هـ . طبع في سنة ١٩١٣ م .

(٣٩) الكندي، أبو جعفر محمد بن يوسف، توفى سنة ٢٥٠ هـ /

١٢٦١ م .

— توفى في القاهرة في سنة ٢٥٠ هـ . طبع في سنة ١٢٦١ م .

— القاهرة .

(٤٠) الماوردي، أبو عبد الله علي بن أحمد بن محمد بن أبي العباس

توفى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٩ م .

— الأحكام السلطانية ، طبع القاهرة ١٢١٧ هـ .

(٤١) مجهول

العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، النسخة المصورة

بالأوفست ، الممثلة بخداد ، من طبعة بريل ١٨٦٩ .

(٤٢) أخبار الدولة العباسية وفيها أخبار العباسي وولده

تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري ، والدكتور عبد

العباسي ، طبع بيروت ، سنة ١٩٧١ .

(٤٣) مجهول :

- أخبار مجموعة فى فتح الإندلس وذكر أمرائها والحروب
الواقعة بينهم ، مريد ١٨٦٧ م .

(٤٤) المصعودى ، أبو الحسن على بن الحسين ، توفى سنة

٢٤٥ هـ / ٩٥٦ م .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين
عبد الحميد ، ٤ أجزاء ، طبع التجارية ١٩٥٨ .
وطبعة بريه دى مينار وبافيه دى كرتاى ، منشورات
الجامعة اللبنانية ، قسم الدراسات التاريخية ، بيروت
١٩٧٣ .

(٤٥) مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، توفى

سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م .

- الجامع الصحيح ، ٨ أجزاء ، طبع القاهرة ١٣٢٩ -
١٣٣٢ .

(٤٦) محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد

النبوى والخلافة الراشدة ، طبع القاهرة سنة ١٩٥٦

(٤٧) النوبختى ، أبو محمد الحسن بن موسى ، توفى سنة

٢٣٢ هـ / ٨١٧ م .

- كتاب فرق الشيعة ، طبع المطبعة الحيدرية ، النجف
سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م .

(٤٨) النويرى ، ابو العباس احمد بن عبد الوهاب بن محمد
شهاب الدين ، توفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م نهاية الابد فى
فنون الادب .

(٤٩) الاهدانى ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف
بن داود ، توفى سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م .

— صفة جزيرة العرب ، جزءان ، طبعة دافيد ميلر ،
ليدن ١٨٩١ .

(٥٠) الواقدى ، ابو عبد الله محمد بن عمر ، توفى سنة
٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م كتاب المغازى ، ٣ أجزاء ، تحقيق
الدكتور مارسدن جونز منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات
بيروت ، لبنان .

(٥١) ياقوت ، شهاب الدين ياقوت من عبد الله الرومى ، توفى
سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م .

— معجم البلدان ، فى ٦ اجزاء ، نشر وستنفلد ، لينبرج
١٨٦٦ — ١٨٧٣ .

— ونشر محمد الخانجى ، القاهرة ١٩٠٦ — ١٩٠٧ ، ١٠ اجزاء .

(٥٢) اليعقوبى ، احمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب ، توفى
سنة ٧٧٨ هـ / ٨٩١ م .

— كتاب البلدان ، نشر دجويه ليدن ١٨٩٢
— تاريخ اليعقوبى ، فى جزئين ، طبع بيروت ١٩٦٠

الفهرست

الصفحة	الباب الاول :	عصر الرسول والخلفاء الراشدين
٧	الفصل الاول :	التعريف بالمصادر
٣٧	الفصل الثانى :	جغرافية بلاد العرب
٤٥	الفصل الثالث :	فى بيان ما يقع عليه اسم العرب وذكر
		انواصهم
٥٣	الفصل الرابع :	أحوال بلاد احجاز قبل الاسلام
٦١	الفصل الخامس :	الرسول (صلى الله عليه وسلم)
٩٥	الفصل السادس :	عصر الخلفاء الراشدين
١٤٣	الباب الثانى :	الدولة الاموية
١٤٩	الفصل السابع :	معاوية بن أبى سفيان
١٨١	الفصل الثامن :	خلافة يزيد بن معاوية
٢٠٥	الفصل التاسع :	معاوية الثانى (بن يزيد)
٢٠٩	الفصل العاشر :	مروان بن الحكم
٢١٥	الفصل الحادى عشر :	خلافة عبد الملك بن مروان
٢٣٥	الفصل الثانى عشر :	خلافة الوليد بن عبد الملك
٢٦٣	الفصل الثالث عشر :	عظمة الدولة الاموية وبداية الأتول
٢٨٥	الفصل الرابع عشر :	الدعوة الشيعية العباسية
٣٣٧	الفصل الخامس عشر :	الفرق السياسية

تابع الفهرست

الصفحة

٢٤٢

الملاحق

- ذكر ما قيل لأمنة عند حملها رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاعته
- صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانجيل
- مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا
- ابتداء تنزيل القرآن

٢٧٥

المصادر والمراجع

To: www.al-mostafa.com